الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
معهد الترجمة

في ترجمة وإعادة ترجمة المصادر العربية إلى الفرنسية: الشريف الإدريسي، ابن بطوطة والحسن الوزان الفاسي نموذجا

أطروحة لنيل درجة دكتوراه علوم
تخصص :عربي-فرنسي-عربي

إعداد الطالبة: ليندا توشي بن منصور إشراف: أ د يمينة تومي سيتواح

السنة الجامعية 2020/ 2021

إلى ولَدايّ الحبيبين عبد الكريم وعادل

شكر وعرفان

لا يسعني وقد انتهيت من إعداد هذه الأطروحة إلاّ أن أتقدّم بخالص الشكر والعرفان إلى:

التي رعت هذا البحث منذ أن كان أفكارا متشـــتّتة، إلى أن وصـــل إلى ما هو عليه اليوم، إذ لم تبخل عليّ بنصـــائحها القيّمة، مشـــرفتي الدؤوبة وأســـتاذتي الفاضـــلة الدكتورة يمينة تومي ســـيتواح، التي أشـــكر لها طول النفس في تحمل مشـــاق التحقيق والتصـــحيح والمناقشة العلمية لكلّ ما ورد في هذه الأطروحة.

إلى مدير مركز الدراســـات الأســـقفي بالجزائر العاصـــمة "الأب غيوم" عرفانا منّي بالجميل على ما زوّدني به من وثائق قيّمة وكتب مرجعيّة في بداية العمل الاســـتقصـــائي والبحث الببليوغرافي، كما أشـــكره على دعوتي إلى تقديم أوّل محاضـــرة في موضـــوع الأطروحة وكان ذلك حافزا كبيرا لمواصلة مسار البحث.

إلى الزميل الكريم السـيد بوردوز عبد ناصـر، أسـتاذ بحث في الأنثربولوجيا الثقافية، الذي تحمّل عناء تصـــحيح هذه الأطروحة اســـتنادا إلى كلّ ما يملكه من معرفة لســـانية وتجربة واسعة في مجال الثقافة الشعبية الجزائرية والترجمة الثقافية.

إلى الزميل الكريم الســـيد نجيب فرحات، مدير بحث في علم الجيولوجيا وما قبل التاريخ ومستشـار التراث الثقافي، عرفانا مني بالجميل لمسـاندته المعرفية القيّمة وتشـجيعه الدائم لمواصلة مشوار البحث.

ولا يفوتني أن أتوجه بشكر خاص إلى الصديقة والزميلة السيدة جلّيد عقيلة، أستاذة بحث في علم الخزف والإثنوغرافيا، عرفانا لما قدمته لي من إرشادات وتوجيهات نيّرة

ومناقشات علمية ودعم معنوي لا يستغنى عنه وذلك منذ أن كان هذا العمل مجرّد فكرة بسيطة.

كما أشكر الصديقة الكريمة السيدة "هانية" التي كانت لي سندا قويّا طيلة الثماني سنوات التي أمضيتها في إنجاز هذه الأطروحة وأتوجه بالشكر الجزيل:

إلى الزميل السيد خالد محمد، أستاذ بحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية الذي لم يبخل على هو الآخر بالتفسير اللغوي لبعض المصطلحات العربية القديمة والمصطلحات الثقافية المغربية التي وردت خاصة في نص "الرحلة".

إلى الزميلة السيدة كاتيا جاما، أستاذة بحث في الأركيولوجيا، لتفسيراتها الصائبة لبعض الصور الأيقونية الرومانية الواردة في الترجمة الأولى لوصف إفريقيا.

وأخيرا أتوجه بالشكر إلى زملائي وأصدقائي في العمل بالمركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ، علم الإنسان والتاريخ على دعمهم المعنوي والعلمي وحسن تفهّمهم وأخصّ بالذكر: الزميلة والصديقة السيدة بكرية يمينة، ملحقة بالهندسة، على عملها القيّم في المنجز الشكلي الجمالي لهاته الأطروحة ودعمها المستمر، والسيدة فريدة بولقرون، رئيسة مصلحة العلاقات الخارجية والمنشورات وتثمين نتائج البحث، والسيدة أمينة بن عودية، مكلفة بالإعلام العلمي والتكنولوجي، والسيدة صفيّة أوبراهم، مكلفة بالأعلام العلمي والتكنولوجي، وكلّ طاقم مصلحة المنشورات والتجهيز في الإعلام الآلي التابع للمركز، وأخصّ بالذكر رئيس المصلحة السيد فؤاد شهاب، والسيد شايمي رياض، مهندس دولة في الإعلام الآلي، وزملائي في البحث الأنثربولوجي: السيدة نُهى سبيقا، والسيد عادل عصام والسيد سليم دادا، وزميلتي في البحث الأركيولوجي والتافونوميا السيدة رزيقة شلّي شيهاب، والصديقة والزميلة مركوندا إيشعلالن على مساعدتها القيمة في إتمام الإنجاز الشكلي لهذه الأطروحة ودعمها المعنوي الدائم.

مقدمة

إذا كانت فلسفة الترجمة تقترح نقاشات أساسية حول طبيعة الترجمة وقدرتها على الالتحاق بالحقل المعرفي، فالدراسات حول الترجمة والمترجم في السياق المزدوج عربي–فرنسي لا تزال ضئيلة نسبيا ولا تزال أكثر ندرة منها تلك المخصّصة لظاهرة **إعادة الترجمة** في ذات السياق المزدوج. وربما كان السبب في ذلك حيرة الباحثين في الترجمة أمام الانقطاعات الإبستمولوجية المتتالية التي شهدها هذا الحقل المعرفي، والتي تعزى إلى تعدد المناهج والتأثر بتخصّصات علمية ذات صلة مباشرة، كاللسانيات والفلسفة، أو غير مباشرة كالأنثربولوجيا وعلم النفس. لكنّنا رأينا في عودة **التأويلية (الهرمنوطيقا أو الهرموسية)** إلى مجال البحث الفلسفي وتطبيقاتها الجديدة على الترجمة، فرصة في تقديم بحث ترجمي يركز على المترجم باعتباره متلفّظ – متلقّي، وعلى الترجمة كفضاء مفتوح للإبداع. ومن بين التطبيقات الجديدة التي نعرضها اليوم في سياق هذه الأطروحة، موضوع إعادة الترجمة، وهو من المواضيع الذي يفتقر إليها البحث الترجمي المقارن في المجال العربي–الفرنسي. وقد أثبتت دراستنا الحالية أن إعادة الترجمة تسمح عبر "أركيولوجية نصية" بتقريب القارئ من النص الأصلي لغة وثقافة، وتمكّنه من معرفة السياق الشامل الذي تمت فيه ومن خلاله الكتابة الأولى؛ وكذا كل التحويلات التي أدخلت عليه بفعل الترجمة، من أسباب وأغراض ومواقف ترجمية تخصّ هذه التحويلات. والحديث عن إعادة الترجمة في مثل هذه النصوص، يبرز دور المترجمين المختلفين والمتعاقبين للنص الواحد، أي النص الأصلي، عبر الاستراتيجيات المختلفة المستعملة وأغراضها المتباينة.

ومن بين أغراض هذه المنهجية الجديدة، المتمثلة في **التفكير في الترجمة من زاوية إعادة الترجمة**، نجد عرض مواقف جديدة في تعليمية ترجمة الأدب التاريخي والجغرافي وأدب الرحلة على وجه الخصوص ما من شأنه أن يفيد التبادل بين الثقافات. ومثل هذه

البحوث يحفّز على الدراســـات الترجمية التوليفية بين النظرية والتطبيق، والمنهج العلمي الديناميكي الذي يستدعي التعددية في التخصصات ومبدأ البينية.

وباعتبارها ظاهرة متكررة للممارســة الترجمية، تشــكّل إعادة الترجمة فضــاء معقّدا يستدعي وجهة نظر خاصة ضمن المجال النظري للترجمة. فمن بين ما نسعى إليه من أطروحتنا الحالية، هو معرفة مدى تطابق منطق فرضية إعادة الترجمة، التي اشترك في وضــعها العالمان اللســانيان والمنظران للترجمة: بول بن شــمعون وأنطوان برمان بأمثلة لغوية حيّة. وقد اخترنا في ســبيل ذلك مدوّنة من المصـــادر العربية القديمة (من القرن الوسيط إلى عصر النهضة في إيطاليا) وترجماتها الفرنسية المتعاقبة: كتاب **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** المعروفة بالنزهة، وكتاب **تحفة النظار في غرائب الأمصـــار وعجائب الأسـفار** المعروفة بالرحلة، وكتاب **وصـف إفريقيا** (من القرن الســادس عشــر إلى أواخر القرن العشرين). وتشكّل ترجمة كتاب وصف إفريقيا حالة خاصة من الترجمة المعادة وهي ما أسميناها بالترجمة العكسية المستردّة للنص الأصلي، أي أنّها ترجمة من الفرنسية إلى الأصل العربي.

ويعود سبب اختيارنا لمثل هذه المدونة أوّلا: إلى الأهمية التي تكتسيها بالنسبة للبحث الأركيولوجي بما تقدمه الترجمات الجديدة من إضـــافات موســـوعاتية وتعاليق نقدية حول الترجمات السابقة التي تقرّب القارئ المتلقي من النص الأصلي من جهة، وتسمح للباحث الأركيولوجي من معرفة الأخطاء والهفوات، بل وتسمح له أيضا بنقد النصوص الأصلية؛ هذا دون أن ننسى دور المصادر العربية الكبير وخاصة منها نصوص الجغرافيا التاريخية، وأدب الرحلة في تعريفنا بتاريخ المغرب القديم: المدن القديمة، تأسيسها وتطورها، التواريخ والمســارات، أســماء الأماكن والأعلام، التركيبة الاجتماعية للقبائل البربرية، لغة الأفارقة، حياتهم الاجتماعية والثقافية والدينية، والبيئة الطبيعية للقارة الإفريقية. وتكون مقارنة البيانات الميدانية بمحتويات النصــوص المترجمة، منهجا يعتمده الباحث الأركيولوجي في

إثبات بعض الفرضيات أو دحضها. كما تشكّل المصادر العربية نقطة انطلاق في التفكّر الأركيولوجي وموضوع دراسات أكاديمية معمّقة في تخصص الجغرافيا التاريخية.

أمّا السبب الثاني وهو الأهمّ بالنسبة لهاته الأطروحة، فيعود إلى كثرة اهتمام المترجمين المختصين في التاريخ والجغرافيا التاريخية وأدب الرحلات بترجمات المصادر العربية القديمة إلى يومنا. وهذا يطرح إشكالا من نوع خاص:

إنّ الإشكالية المطروحة في هذا البحث متعددة الأوجه والأبعاد، وصفة الشمولية فيها تجعلها معقدة ومبهمة إلى حدّ ما: فكيف يمكن للترجمات الفرنسية للمصادر العربية أن تفرز برادغمات جديدة لتفسير ظاهرة إعادة الترجمة المعقدة؟

يرى غالبية النقاد والدارسين لهذه الظاهرة أن المسألة تاريخية في جوهرها، إذ مع مرور الزمن، تتغير الاحتياجات والمعارف والمفاهيم ومعايير اللغة، وعليه يصبح من الضروري تحيين الترجمات الأولى. هل هي إذن مسألة تحيين بسيط تفرضه التغييرات في التداول اللغوي والمعايير الأدبية و"القِدم" المفترض لكل ترجمة دون استثناء؟ وهل يكون هذا التحيين كافِيا لاعتبار الترجمة المعادة ترجمة جديدة؟

لقد استندت أغلبية الأعمال البحثية حول موضوع إعادة الترجمة، سواء أكان ذلك بصفة صريحة أو ضمنية، إلى فرضية المنظر الفرنسي أنطوان برمان A. Berman (1990) الذي كان أوّل من عرض مسألة إعادة الترجمة " كفضاء للاكتمال". وهذا يعني بالنسبة له أن سلسلة الترجمات المتعاقبة لنص واحد تميل إلى الاقتراب منه من أجل الوصول إلى " الحقيقة" الموجودة في طيّاته . وهذه الفرضية تحصر ظاهرة إعادة الترجمة في مبدأ الخطية التاريخية وهي مستوحاة من مراحل الترجمة الثلاثة لغوتيه Goethe (1819) .

ولم تكن الغاية من تلك الأعمال دحض هذه الفرضية بقدر ما كانت تسعى إلى إبراز نقاط ضعفها وحدودها، ببناء خطاب جديد على أساس التجريب والمقارنة على مدونات من

اللغات الحية. وربما كانت أعمال أني بريسيه Brisset (2004) وإيف غامبييه Gambier (2011) أبرز تلك الأعمال وأكثرها انتقادا لمنطق أنطوان برمان التجريدي.

فما سبب تشكيكنا نحن في فرضية أنطوان برمان؟ بُنيت هذه الأخيرة على فكرة أساسية وهي أنّ الترجمة الأولى تجنيسية وإدماجية بطبعها، لكن الترجمات المعادة للمصادر العربية تثبت أنّ الترجمة لا تعتمد بالضرورة على سابقتها أو سابقاتها، وكثيرا ما نجدها ترجع إلى النص الأصلي، وأفضل مثال على ذلك يتجسّد في الترجمة الأولى لنص "الرحلة" التي جاءت قريبة جدا من النص الأصلي، على الأقل من حيث "الكمّ" والأسلوب. ولئن كان قياس القرب بالنص الأصلي صعبا ولا ينحصر في الأسلوب وحده. أمّا ترجمات "نزهة" الإدريسي" فتؤيّد تماما الفرضية البرمانية. في حين أنّ الترجمة العكسية لـ "وصف إفريقيا" حالة غير واردة على الإطلاق في النموذج البرماني، وهي كالصفحة البيضاء التي ينحو فيها الفكر نحو مساءلة جديدة لإعادة الترجمة. ونقول اليوم في سياق هذه الأطروحة أنّ الفرضية البرمانية لم تعد كافية لوصف جميع الترجمات المعادة.

وماذا يعني صدور ترجمات فرنسية جديدة للمصادر العربية القديمة إلى غاية القرن الواحد والعشرين؟ هذا يرغمنا على مساءلة مفهوم إعادة الترجمة بالتركيز على عناصر جديدة كالمسافة الزمنية الفاصلة بين كل ترجمة ودرجة "استيعاب" كل مترجم للنص الأصلي، وخياراته الإبستمولوجية، ومواقف الناشرين المتجددين من كل نصّ مصدر، ومواقف المترجمين من بعضهم البعض.

كلّ هذه العناصر تثبت أنّ "الدراسة الشمولية" لظاهرة إعادة الترجمة وحدها تمكّن من توسيع نطاقها لتشمل مفاهيم ومرجعيات أخرى نستخلصها عن طريق التجريب على أكبر عدد ممكن من اللغات والمدونات، علما أنّ البحوث السابقة لم تهتم بدراسة الترجمات الفرنسية للمصادر العربية على كثرتها وأهميّتها. فكان النقد محصورا في النص الأدبي واللغات ذات الأصل اللاتيني على وجه خاص.

وهل تكون دراسة النصوص وحدها كافية لإزالة الغموض عن مفهوم إعادة الترجمة؟ نقول هنا أنّ استخلاص تعاريف أو أوجه جديدة للظاهرة يستلزم تعدّي حدود النصوص إلى حواشيها وعتباتها من جهة، والبحث فيما وراء النصوص من سياق تاريخي وظروف إنتاج وتراجم المؤلفين والمترجمين والناشرين، من جهة أخرى. وهذا السبيل الجديد في البحث يضمن الوقوف على دور العتبات والحواشي في العثور على أسباب خارجية لإعادة الترجمة غير تلك التي حددتها فرضية أنطوان برمان والتي ترتبط في جوهرها بقدم النصوص المترجمة وضرورة تحيينها. كما يسمح هذا المنحى بتعدّي حدود الخطاب المتمركز على اللوغوس (الذي يفرض هيمنة الكلمة أو النص) من أجل التعرّف على وضعية الأدب المترجم وغيره من النصوص المترجمة داخل النظام الثقافي الشامل الذي تتصارع فيه الأصناف المتعددة من أجل الوصول إلى المركز (وفقا لمبادئ نظرية النظم المتعددة).

وبفضل الدراسة الشمولية كذلك تمكّنا من استخلاص وجه جديد للترجمة العكسية وهي ما أطلقنا عليها "الترجمة العكسية المستردة للنص الأصلي المفقود"، وهي حالة استثنائية أو طفرة أملتها الظروف التاريخية والسياسية للمغرب في أواخر القرن الماضي.

هذا وتأول بنا خصوصيات "إعادة الترجمة" إلى تجاوز حدود النظريات التقليدية للترجمة، من خلال استكشاف مسارات جديدة، وموجّهات جديدة للمعرفة. فالقراءة النقدية لهذه النظريات تسمح بتوليد مفاهيم جديدة كعدم الاكتمال والتعدد والانفتاح والتشويش في الحدود بين الأصل والترجمة. وهذا العنصر الأخير، أي التشويش، قد تجسّد في الترجمة العكسية لكتاب "وصف إفريقيا".

ودائما على أســاس التعددية التي أشــرنا إليها في الإشــكالية، اعتمدنا في الجانب المنهجي لهذه الدراســة على ثلاثة مناهج أملتها علينا ماهية النصــوص محل الدراســة: المنهج الاســتقرائي الذي يســتنطق المادة (النص والكتاب معا)؛ ومنهج التحليل التقابلي الذي يتيح تحديد الثوابت والمتغيرات اللســانية والأســلوبية بين النص الأصــلي وترجماته

المتعاقبة و/أو المتزامنة؛ ومنهج الفرضية الاستنباطية الذي يسمح بقياس درجة " **القرب**" (proximité) بين النص الأصلي وترجماته المتعاقبة و/أو المتزامنة.

هذا وقسّمنا هذه الرسالة إلى قسمين، أوّلهما نظري والثاني تطبيقي. وإذا كان عدد الفصول متساويا في كلا القسمين، فمحتوى القسم التطبيقي جاء أوفر بكثير ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة البحث الذي يرتكز على الدراسة الوصفية لمدونات عديدة وتعدّد المقاربات.

وأشرنا في مقدمة الفصل الأول إلى تحوّل التنظير الترجمي من فرع "ثانوي للسانيات" إلى علم قائم بذاته في ظلّ فكر ما بعد الحداثة. بحيث تعدّت نظرية الترجمة حقل اللسانيات إلى حقول نظرية أخرى. ومن بين المفاهيم الأساسية التي اعتمدناها في تطوير الفكر حول الترجمة، مفهوم الانزياح عن المركز أو اللاتمركز (décentrement)، الذي يمكّن المترجم من قبول ثقافة الغريب " الآخر" كي يوفّق في فهمها كما هي، بعيدا عن معايير ثقافته الشخصية. وأخيرا، سمح الفكر ما بعد الحداثي بتطوير مفهومي الشك وعدم الاكتمال (سنرى لاحقا أنّ هذين العنصرين الأخيرين مركزيان في فعل إعادة الترجمة).

ونقطة التحول الإبستمولوجي في ظلّ نظريات الترجمة لما بعد الحداثة، تكمن في **تحوّل مادة البحث من النص الأصلي إلى النص المترجم**. كما تشكل دراسات الترجمة الوصفية نقطة تحوّل هامة في سياق التطور التاريخي لنظريات الترجمة.

إنّ ظهور مدارس جديدة منذ أواخر سبعينيات القرن الماضي سمح بتغيير وجهة النظر حول الترجمة بعيدا عن دغمائية (dogmatisme) الحداثة والنظريات التقليدية، وجاءت المقاربة الوصفية لتبيّن حدود المقاربات التقليدية. وهذا ما جعلنا نتطرق في المبحث الأول إلى تعاريف نظريات الترجمة لما بعد الحداثة، وفق منطق التعاقبية الزمنية: نظرية النظم المتعددة، المقاربة الوظيفية، الدراسات ما بعد الكولونيالية (postcoloniales)، الاستشراق، والمنعطف الثقافي.

بدأنا الفصـــل الثاني بطرح إشـــكالية إعادة الترجمة كظاهرة اجتماعية قديمة، لنأتي بعد ذلك على أسبابها ومكانتها في الأنظمة الأدبية السائدة، وضمن النسق الثقافي العام لمجتمع ما، ونركّز بعد ذلك على إشكالية إعادة ترجمة نصوص الأدب الرحلي بالاستناد إلى «فرضية إعادة الترجمة" لأنطوان برمان. ولقياس مدى صحّة هذه الفرضية، وضع هذا الأخير نموذجا تحليليا يمكّن من قياس الميويل التحريفية حســـب التعبير البرماني (tendances déformantes) التي تعتري النصـــوص الأدبية عند ترجمتها. ومن هذا المنطلق، ســيهدف بحثنا أســاســا إلى الربط بين الجانب النظري للمقاربة البرمانية التي تعطي الأولوية "للحرف" في الترجمة، والجانب التطبيقي على الفعل الترجمي، في محاولة لمعرفة مدى تجسيد مفهوم "الحرفية" في نصوص الأدب الرحلي.

بعد تعريف مفهوم القرب في بعض الحالات الدراسية السابقة، بدأنا في خطوة أولى بقياس القرب اللساني بين النص الأصلي العربي وترجماته الفرنسية المتتالية وفق نموذج (l'analytique) أنطوان برمان. ولمّا أثبتنا حدود هذا النموذج عن طريق التحليل اللســاني والأســلوبي، ارتأينا توســيع البحث إلى حواشـــي النص (paratexte) وما وراء النص (hors-texte). وكان هدفنا الأول من تحليل عناصـــر المناص، معرفة أســباب إعادة الترجمة بالدرجة الأولى، والمواقف الأيديولوجية الصريحة أو الضمنية لكلّ مترجم. وحاولنا تركيز الدراسة على المناص الترجمي وفق نموذج جيرار جينيت وفيليب لان الذي تبيّن لنا بعد التحليل أنّه أجحف في حقّ الترجمة حين صـــنّفها في باب التعليق (la traduction comme commentaire) على النصـــوص الأصـــلية ولم يعر أدنى اهتمام لحواشـــي النصوص المترجمة.

وعلى إثر الانتهاء من القسم النظري، شرعنا في الدراسة التطبيقية على المدونات الأصلية وترجماتها الفرنسية، واستهلّينا تحليل مدوّنة نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المعروفة بـــ "النزهة" وترجماتها الفرنسية، بتحديد السياق التاريخي: فبعد وصف مقتضب

لشخصية الشريف الإدريسي وبيئته الأصلية في بلاد المغرب، وأعماله ومؤلفاته العلمية، كان لا بدّ من الرجوع إلى الأسباب التاريخية لظهور كتاب "النزهة" وظروف كتابته. في هذا السياق، أشرنا إلى دور الملك روجار النورماني في إنتاج هذا المؤلف، وإلى تصور "النزهة" و"الإدريسي" في العالم العربي والعالم الغربي. وأشرنا بعد ذلك إلى طباعة كتاب النزهة وترجماته المختلفة وإلى حفظ مخطوطات النزهة بالمكتبة القومية الفرنسية. ثمّ عرضنا للترجمات الفرنسية الأربعة للنزهة (1836، 1866، 1983، 1999)، مع الإشارة إلى بيوغرافيا مختصرة لكلّ مترجم وطبيعة ترجمته.

في المبحث الثاني من هذا الفصل، تناولنا قياس القرب بين النص الأصلي وترجماته على المستوى اللساني والأسلوبي وفق نموذج أنطوان برمان.

جاء الفصل الثاني في محتواه مطابقا للفصل الأول، حيث بدأنا بتحديد السياق التاريخي للمدونة الثانية وهي مدونة " الرحلة" وترجماتها الفرنسية. وتشمل هذه المحطة بيوغرافيا مختصرة لصاحبه ابن بطوطة، والسياق التاريخي للمغرب الأقصى والعالم الإسلامي عند ظهور المخطوط الأوّل، ونشره وتلقيه في الغرب وفي المغرب العربي. لنأتي بعد ذلك إلى التركيز على أهمية " الرحلة " بشهادة علماء الغرب، وذلك ردّا على المشكّكين العرب في صحّة ما أورده ابن بطوطة من أخبار بلاد الإسلام الشاسعة.

لنعمد في الأخير إلى عرض الترجمات الفرنسية للرحلة (1854، 1992) من خلال تراجم مقتضبة لأصحابها.

أمّا المبحث الثاني من هذا الفصل، فخصّصناه لقياس القرب اللساني والأسلوبي بين النص الأصلي للرحلة وترجماته الفرنسية. واعتمدنا في ذلك على النموذج التحليلي السابق.

هذا وجاء الفصل الثالث، وهو الفصل المخصص لتحليل مدونة " وصف إفريقيا" وترجماتها الفرنسية، غير مغاير للفصلين السابقين لا من حيث الشكل ولا من حيث

المضمون، بحيث بدأناه بالتعريف بشخصية الحسن (ابن) الوزان الفاسي، قبل أن نعرّف بمؤلَّفه الأصلي الذي عُرف بـ "وصف إفريقيا"، أو ما يعرف بكتاب *dell' Africa Descrizione* في نسخته الإيطالية المنقّحة على يد الناشر والمترجم راموزيو، علما أنّ المخطوط الأصلي في نسخته الإطالية قد عنونه الوزان الفاسي *Cosmoghraphia*. لنعود بعد ذلك إلى حيثيات نشرها، وتلقيها في روما وفي المغرب، وإلى ترجماتها الفرنسية المتعاقبة (1956،1556، 1978، 1979).

أمّا المبحث الرابع لهذا الفصل، فخصّصناه للدراسة الأسلوبية المقارنة بين الترجمة المعادة لألكسيس إيبولار، والترجمتين العربيتين العكسيتين. واعتمدنا في ذلك على النموذج التحليلي السابق. وأتاحت لنا مقابلة النص المترجم الفرنسي بالترجمات العكسية " المستردّة للنص العربي الضائع، إضافة ميول تحريفية جديدة لنموذج أنطوان برمان. وهي ميول جاء بعضها متناقضا وبعضها الآخر مكمّلا للنموذج البرماني.

كما أثرينا كلّ فصل من الدراسة التطبيقية بتمهيد وخلاصة للنتائج الأولية، وختمنا الأطروحة بخاتمة ناقشنا فيها نتائج كلّ فصل. وألحقنا هذه الدراسة بملحق للصور وجداول لنصوص المدونات الثلاثة ومسرد فرنسي – عربي للمصطلحات العلمية. ونشير في نهاية هذه المقدمة إلى أنّنا قد اعتمدنا في صياغة الاستشهاد المرجعي وقائمة المراجع على نظام التوثيق العالمي APA (ط.7). ونشدّ انتباه القارئ إلى أنّنا قد لجأنا شخصيا إلى ترجمة الاستشهادات المرجعية في متن النص من اللغتين الفرنسية و/أو الإنجليزية وذلك لتعميم الفائدة على الطلبة والباحثين في الترجمة.

الباب الأول

مدخل نظري ومنهجي

الفصل الأول

التحولات الإبستمولوجية في علم الترجمة

تمهيد

كانت الفكرة الأساسية لبحثنا الحالي ومنطلقنا النظري، من حتمية التحول الإبستمولوجي في المجال المعرفي بصفة عامة وتطبيقاته على مادتي الأنثربولوجيا والنظرية الأدبية على وجه الخصوص. وتبيّن لنا من دراسة الجانب التاريخي للنظريات التقليدية والحديثة للترجمة أنّ الفكر الترجمي لم يبق في منأى عن التحوّلات نفسها التي مسّت العلوم الإنسانية، من حيث كيفية حدوث المعرفة وتنظيمها. وهذا التحول يظهر جليّا في تعدّد الخطابات حول مادة الترجمة والتي أدرجت في تصنيفات مرجعية معروفة (تيارات فكرية تهمّ العلوم الإنسانية): دراسات الترجمة الوصفية، والنظريات الثقافية، السوسيولوجية، التفكيكية، النسوية، مابعد الكولونيالية، الفلسفية، النفسية، الهرموسية، الشعرية، الأخلاقية والفوضوية. يتبيّن من هذه التعددية في المقاربات أنّ المعرفة في علم الترجمة بينية، أي أنّها تستعير من المجالات الأخرى ما يلزمها من أدوات مفاهيمية لتأسيس أفكارها وتعير لغيرها من العلوم (اللسانيات والعلوم الإنسانية عموما) سبل التفكير في مناهج جديدة لإنتاج المعرفة على أساس التعددية والانفتاح وعدم الاكتمال الذي تتميّز به. وفكرة البينية (transversalité) في العلوم، من المفاهيم التي روّج لها السياق ما بعد الحداثي، كما تبيّن لنا مثلا من تصنيف بيير باسكال بولونجيه (2002)، الذي يربط التحولات في الفكر الترجمي بتلك التي شهدتها العلوم الإنسانية منذ منتصف القرن العشرين.

1.1 التنظير الترجمي في سياق الحداثة

قبل منتصف القرن العشرين، أي في ظلّ السياق الحداثي، كان التنظير الترجمي عبارة عن " فرع ثانوي للسانيات" (ترجمتنا، فينيه ودربلنيه،1977: 25)، يعرّف الترجمة

كوسيلة للنسخ، أي في وضعية ثانوية بالنسبة للأصل. وهذه النظرة التراتبية[1] التي تضع اللسانيات في وضعية العلم، والترجمة في وضعية التقنية، مستوحاة من الفكر السوسوري (Saussurien) الذي يميّز الكلام عن اللغة، ويحترس من الكتابة باعتبارها مجرّد تقنية تسمح بتثبيت الكلمة[2] على الورق، مع كلّ ما يحمل ذلك من خطر في تشويه المعنى الأصلي للفكرة. وفكرة التشويه هذه، تطارد المترجم الذي كثيرا ما يلجأ إلى الاعتذار في المقدمات والحواشي على نقائص ترجمته واستحالتها (سنفصّل هذه الفكرة لاحقا). تصبح الترجمة من هذا المنظور حبيسة منطق الازدواجية الديكارتي :الوفاء إلى المعنى أو الحرف"، إلى لغة الانطلاق أو لغة الوصول، إلى الذات والآخر. والتعرض إلى الترجمة من زاوية الحداثة التي يمثّلها الفكر السوسوري والديكارتي يتطلب منّا أوّلا التفصيل في بعض المفاهيم الأساسية كتلك التي تنظر إلى الترجمة كأداة للتواصل والتي تفرض الشفافية على المترجم.

فعلا، فمنذ أسطورة بابل، وهي رواية الخلق،" كان دور الترجمة محصورا في ربط التواصل المفقود بين لغتين أو ثقافتين ممّا يضع المترجم في وضعية الخيّر المحسن للبشر[3]. ودور الوساطة هذا، نجده في الفكر الإغريقي القديم الذي كان يضع المترجم في منزلة "هُرمُس" أي رسول الآلهة إلى البشر (غدا مير، 1996). ولمّا كان النص الديني أوّل موضوع الترجمات على الإطلاق متمثّلا في ترجمة الإنجيل، كان ينظر إلى اللغة الأصلية نظرة تقديس، وتُلحق الترجمة بالدونية.

والغريب أنّ هذه النظرة تستمرّ إلى أواخر القرن العشرين مع أصحاب النقد الأدبي الحديث في الولايات المتحدة الأمريكية الذين فرضوا على الدارسين للترجمة، نموذجا مثاليا

1) التراتبية حسب النظرة الأفلاطونية للغة التي تفصل الكلام عن الكتابة بإعطاء الأولوية للكلام الحيّ الصافي من الشبهات.

2) منذ التراث الإغريقي، أفضلية الكلمة تجعلها تحتلّ مكانة مركزية في الفكر الغربي بوصفها أصل الوجود.

3) في هذا السياق، راجع أعمال إدوين غينسلير حول النظريات المعاصرة للترجمة.

لقراءة النصوص الأدبية قراءة دقيقة. يُحتمل حسب هذا النموذج استخلاص المعنى الأول لنص حقيقي وحيد، ثمّ الموافقة بين التأويلات المختلفة لاستخلاص معنى موحّد.

من مفاهيم الحداثة كذلك، مفهوم الشفافية التي ترجع إلى الفترة الكلاسيكية المتميزة بسيطرة النظرة الأفلاطونية للغة حيث تكون الكلمات مفاتيح التعبير عن الواقع وصورة شفافة عن أفكار الكاتب وشخصيته. وهذا يعني بالنسبة للمترجم الإمحاء وراء النص لتمكين صاحب النص الأصلي من البروز بكل شفافية. وعليه تقيّم الترجمة حسب قدرتها على الإمحاء. وتعدّ الترجمة الشفافة ترجمة جيدة ما دامت لا تعطي الانطباع على كونها ترجمة. وتكون الشفافية عند التزام المترجم بقوانين الاستطيقا المحلية[4] عبر استراتيجية التجنيس التي تخفي غرابة النص الأصلي وذاتية المترجم عبر أسلوب مسترسل. وهذه النظرة للترجمة نظرة خاطئة وهمية كما سنثبته لاحقا.

رغم قدم الخطاب حول الترجمة (منذ شيشيرو إلى يومنا) فالتنظير الفعلي للترجمة لم يظهر قبل خمسينيات القرن العشرين تحت تأثير اللسانيات البنيوية[5] ونظرية العلامة المبنية على ثنائية الدال والمدلول والتي تعطى الأولوية فيها للمدلول باعتباره الجوهر. ولئن كان الفكر الترجمي في هذا السياق ينتج مفاهيم جديدة فكلّها مبنية على نفس النمط الازدواجي الذي أسلفناه: التكافؤ الديناميكي/ التكافؤ الشكلي عند يوجين نيدا، الأصل /الهدف عند لادميرال، الاقتباس/ النسخ عند ليديرار وسلسكوفيتش. كل هذه المفاهيم أفرزتها النظريات التقليدية للترجمة التي سعت إلى تزويد الترجمة بقوانين الدرس اللساني ومناهجه الصارمة، لكنها لم تعد كافية لوصف الفعل الترجمي بكل عناصره وتعقيداته (سنتعرض لهذا لاحقا في الفصل المخصص للمقاربة الوصفية الأسلوبية للترجمة).

---

[5] حسب تعبير لورانس فينوتشي.

[5] أعمال أندريه فيدوروف وجون فيرث وروبن برووير وجان بول فينيه وجان دربلنيه ورومان ياكوبسن وجورج مونان وجون كاتفورد ويوجين نيدا وشارلستابير.

وإذا كانت الترجمة الوسيلة الكبرى لنقل النصوص العلمية القديمة إلى أوروبا عصر النهضة، فلا يمكن حصر وظيفتها في التواصل ونقل العلوم والمعارف.

1.2 التحوّل الإبستمولوجي والموجهات الجديدة للمعرفة

أمّا في سياق الفكر ما بعد الحداثي[6]، فيتّضح من الخطابات المختلفة والمتشعّبة حول الترجمة أنّ هذه الأخيرة أصبحت تفرز نوعا من المعرفة خاصّا بها. وعلى غرار التحولات الإبستمولوجية التي شهدتها العلوم الإنسانية وخاصة منها الأنثربولوجيا والنظرية الأدبية، يمكن تلخيص الموجّهات الأساسية التي تشكّل إبستيميا ما بعد الحداثة الخاصة بعلم الترجمة في: الانفتاح، اللاتمركز، التشويش، إعادة البناء، التمازج، التجزئة، الشك وعدم الاكتمال (بولنجيه، 2002).

أمّا بالنسبة **للانفتاح**، فنجده ملخصا في هذه العبارة لروبيرت لا روز: "إنّ علم الترجمة ليس أدبا ولا علم نفس ولا لسانيات ولا فلسفة. لكن، في أثناء تأسيسه، يقترض من كل هذه التخصّصات المنهجية والمفاهيم التي تلزمه لوصف موضوع بحثه" (لاروز، 1989: 10). هذه الكلمات تبين كيف تعدّت نظرية الترجمة حقل اللسانيات (نظرية التكافؤ أو المعادلة) إلى حقول نظرية أخرى.

أمّا المفهوم الثاني، أي **الانزياح عن المركز**، فيعني أنّ تعدّد نظريات الترجمة يعكس عدم تمركز الفكر في معرفة شمولية كونية، بحيث تحال الحقيقة إلى مرجع واحد كما هو الحال في البنيوية مثلا. وفكرة اللاتمركز (ترجمتنا لمفهوم décentrement) هاته تتجلّى بوضوح في الفكر الديريدي الذي يقترح التفكيكية بديلا للتفكير الغربي المبني على التمركز العرقي (centrisme). وفي هذا السياق، يعرّف أنطوان برمان الترجمة المتمركزة عرقيا

[6] لا يقصد من مفهوم ما بعد الحداثة تلك الفترة الموالية للحداثة في "تقطيع خطي للزمن" حسب بسكال بولنجي، بقدر ما يقصد به نقد ومراجعة كل الأفكار المكتسبة من الميتافيزيقا التقليدية: ميتافيزيقا الحضور والكلمة والأصل وانسجام الذات.

(traduction ethnocentrique) بـ «تلك الترجمة التي تُرجع كلّ الشيء إلى ثقافة المترجم وإلى معاييرها، معتبرة كلّ ما يخرج عن إطارها [أي كل ما هو غريب (étranger)] سلبيا، يتعيّن إخضاعه وتحويله إلى المساهمة في إغناء هذه الثقافة.

ومنذ أن نظّرت الهرمنوطيقا المعاصرة للعلاقة القائمة بين المترجم / المؤوّل والنص على النمط الحواري، أصبح ينظر إلى العلاقة بين الذات المترجمة وموضوع الترجمة كعلاقة تحاورية. فالذات المترجمة تسعى إلى تحويل النص (بالمنظور الديريدي) عبر القراءة والنص يحوّل عادات القراءة والأسلوب لدى القارئ المترجم / المؤوّل. وينتج عن هذا التحويل بين الذات المترجمة والذات المؤلَّفة (intersubjectif) نوع من التشويش في الحدود التي تفصل بين المترجم والنص موضوع الترجمة، ولم تعد العلاقة التراتبية القديمة تظهر هنا بكل وضوح. هذه النظرة في رأينا، لا تعكس الواقع، أو على الأقلّ، لا تنطبق على كلّ أنواع النصوص وخاصة تلك التي اخترناها للدراسة.

والمقصود من إعادة البناء في هذا السياق "المراجعة الشاملة لكلّ الأفكار المتجذّرة في الخطاب النظري التقليدي بما فيها التكافؤ والشفافية وضياع المعنى [...] ومفهوم الأنتروبيا (entropie) أو التحول وضياع الطاقة، [...] وأسطورة بابل [...] وكلّ التصوّرات السلبية للنشاط الترجمي (بولنجيه، 2002، ص. 87). فعوضا عنها، يقترح الخطاب ما بعد الحداثي مفهوم **ربح المعنى** –الذي تفرزه الترجمة وتستفيد منه لغة التلقي والذي يجعل من المترجم عنصرا ثالثا فعّالا في السلسلة الخطابية. ومفهوم ربح المعنى هذا وارد في ترجمات المصادر العربية كما سنفصّل فيه لاحقا. كما وضع مفهوم **التمازج** للتعبير عن الترجمة في علاقتها التفاعلية بالنصوص واللغات والثقافات المترجمة، حيث لا تكون وسيلة للحفاظ على التراث اللساني والثقافي للمتلقي بقدر ما تكون تحويلا للغة والثقافة والذات المترجمة بجعلهم في وضعية تلاقي " يصدر عنها المستحدث" (لابلانتين ونوس،

1997، ص. 85). وفي مقابل التشويش، نجد مفهوم التجزئة أو التخصيص الذي يتجلّى في تعدد الخطابات حول الترجمة (أعمال ليوتار).

أخيرا، سمح الفكر ما بعد الحداثي بتطوير مفهومي **الشكّ وعدم الاكتمال** (سنرى لاحقا أنّ هذين العنصرين الأخيرين مركزيان في فعل إعادة الترجمة). أمّا **الشكّ**، فسمة تميّز الذات المترجمة التي تحتار أمام تعدّد الممكنات لترجمة النص الواحد، وتشكّ في صواب اقتراحها. ضف إلى ذلك أنّها تعلم أنّ النص الأصلي يتحمّل أكثر من مكافئ واحد تام لمعناه؛ بل أنّها تشكّ حتّى في مفهوم التكافؤ هذا. وهذا الإحساس بعدم اكتمال الترجمة محايث لخطاب الذات المترجمة منذ الأزل. لكن ما يتغير في إبيستيميا ما بعد الحداثة هي القيمة المعطاة لتلك القدرة على الشك: فكونها تشكّ في كلّية universalité[7] المعنى وصحّة اختياراتها هو الذي يمكّنها من تقبّل طرائق الفهم والتأويل الأخرى.

هذا ما يقرّبنا من نظرية الفوضى التي اعترفت بالقيمة الكشفية للاحتمية (l'indéterminisme) وعدم اليقين والشكّ الذين يحفزّون الذات على إبقاء الباب مفتوحا أمام المجهول، وهذا شرط أساسي لسيرورة البحث والاكتشاف.

وأمّا المفهوم الأخير، والمقصود به **عدم الاكتمال**، فيخصّ المعنى والنظرية في آن واحد. وبالنسبة للمعنى، فقد بيّنت النظريات الفلسفية والتفكيكية للترجمة أنّه غير ثابت؛ وآلية التحويل التي تغذّي حركة الدوال تحملنا على الاعتقاد بأنّ النشاط التأويلي للترجمة، إنّما هو لا متناهي. ومن هذا المنظور، يمكن تعليل إعادة الترجمة بوجود عوامل تاريخية، ثقافية واجتماعية توضّح النص بطريقة مختلفة بحيث أنّ النص المترجم يخفي في طيّاته عدّة نسخ (versions) ومنه يستحيل استنفاذ معانيه. فالترجمة إذن ليست ولن تكون نهائية، ولئنّنا مجبرون على "إنهاء" معناها لغاية النشر أو التواصل الآني. وهذا ينطبق خاصة

11) تترجم أحيانا بكونية المعنى.

على نصـــوص ولغات التخصّـــص التي تغترف مادتها من أنماط فكرية مختلفة، وتقترح تنظيرات جديدة.

1.3 دراسات الترجمة الوصفية

بالإضافة إلى الموجهات المعرفية المعروضة أعلاه، تشكّل دراسات الترجمة الوصفية نقطة تحول هامة في سياق التطور التاريخي لنظريات الترجمة. وهي مدرسة فكرية برزت في بلجيكا وهولاندا في أواخر الســـبعينات عبر أعمال جايمس هولمز وريمون فان دن بروك وأندريه لوفوفير. وهاتان المدرســـتان تشـــتركان في تغيير الفكر الترجمي بعيدا عن دغمائية الحداثة[8] والنظريات التقليدية[9]. جاءت المقاربة الوصـــفية لتبين حدود المقاربات التقليدية (مثل التكافؤ التركيبي / النحوي مع " فولفرام ويلس" و" أوتو كاد" والتكافؤ الدلالي لـــ " نيوبيرت" والتكافؤ الوظيفي لـــ " كتارينا رايس" و "هانز فيرمر") المعروفة بإجرائها الهرموسي[10] herméneutique ومنهجها الوضعي المنطقي positivisme logique أوّلا، سيعاب على أصـحاب الهرموسـية إعطائهم حقّ الصـدارة للنص الأصـلي، وبتفريقهم بين الكتابة والترجمة، حيث تكون الكتابة أكثر نبلا والترجمة مجرّد نسخة طبق الأصل. ثانيا، سوف يتهّم المنهج الوضـعي المنطقي بحصـر النص الأدبي في عناصـر لغوية يمكن وزنها أو قياســـها بعد اختيارها كمعطيات خام: إنه المنهج اللســـاني المتبّع خاصـــة لدى النحاة

---

[12] ينبني هذا الفكر على أساس أسطورة بابل الشهيرة وهو يحصر الترجمة في دور الأنسنة humanisation وينظر إليها كمجرّد وسيلة تواصل بين لغتين.

[13] كان حصر الترجمة في إطار لساني محض قد قيّد تصورات النشاط الترجمي بمخطّط الثنائيات كما نجده في فكرة التكافؤ الديناميكي / التكافؤ الشكلي عند يوجين نيدا، ومقاربة المصدر/ الهدف نشأت عند يوحنا رونيه لدميرال (Jean René Ladmiral)، التصـرف أو الترجمة الحرفية (كلمة/كلمة) عند سـيليسـكوفتش ولديرير (Lederer،Séleskovitch)، الترجمة التواصـلية أو الدلالية عند نيومارك (Newmark)، المقاربة الأسـلوبية المعيارية عند فينيه ودربلنيه (Vinay et Darbelnet).

[14] الهرموسـية (نسـبة إلى الإله الإغريق هرمس) هي علم التأويل أو التفسـير، تهدف إلى تفسـير واسـتخراج دلالة النصوص خصوصاً النصوص الدينية القديمة من منظور فلسفي، ومن أشهر رواد الهرموسية نجد : بور ريكور وجورج جادامير ومارتن هايدغر.

والسـيمائيين. وبين هاذين القطبين، بدأ ينمو تصـوّر جديد للترجمة أطلق عليه دراسـات الترجمة الوصفية Descriptive Translation Studies.

والتغير البرادغماتي الذي حدث بظهور دراسـات الترجمة الوصـفية يخصّ عدّة محطات من التحوّل الإبستمولوجي (المعرفي). تاريخيا، كانت نقطة البداية من الشكلانية الروسية (formalisme russe) وأصحاب المدرسة الفكرية التشيكية التابعة لها: جيري ليفي (JiřiLevý) وانطون بوبوفتش (Anton Popovič). والسـؤال المطروح: ما علاقة هذا التحوّل الإبستمولوجي بالترجمة؟

ما يهمنا هنا هو أنّ جيري ليفي يحاول تحديد أو معرفة كلّ المسـبقات الأدبية التي تتحكّم في اختيارات المترجم الاسـتطيقية (لفائدة المعنى عند المتلقي، قد يلجأ المترجم للتفسير باستعمال الملاحظات في الحواشي أو داخل النص مثلا)، الشيء الذي تكشف عنه الانزياحات glissements التي تحدثها الترجمة على مسـتوى العبارة. أمّا بالنسـبة لبوبوفتش، فهو يعتقد كذلك أنه يمكن الربط بين تلك الانزياحات التي تحدث في النص المترجم والمعايير الثقافية المعمول بها داخل الثقافة المتلقية. وعلاوة على هذا، يقترح بوبوفتش زاوية نظرية تعتمد على شرح مظاهر الانزياح عوضا عن انتقاد نقائص النص المترجم. والمنهجية التي يتّبعها المنظرون التشيك مستوحاة كذلك من الشكلانية الروسية التي تعطي قيمة نظرية للبنيات الشـكلية عند تحليلها للنص الشـعري. ثمّ يأتي جايمس هولمز (James Holmes) لينقل أعمال المدرسة التشيكية للمنظرين الهولنديين خاصة من خلال كتابه الموسـوم " The Name and Nature of Translation Studies " (اسـم وطبيعة دراسـات الترجمة). يخلص هولمز من تحليله إلى أربعة أصـناف من الترجمة تكون وفق اسـتراتيجية المترجم التي تعكس بدورها مكانة النص المترجم داخل المجال الأدبي للثقافة المتلقّية. ومنه يبيّن هولمز أنّ ممارسة المترجمين تغذّي النشاط النظري والعكس بالعكس. وهذا النشـاط النظري موجود بقوّة عند "أندريه لوفوفير" الذي يعبّر أحسـن من غيره عن

الطموح النظري للمقاربة الجديدة التي ترمي إلى وضـــع أســـس نظرية جديدة بعيدا عن الشراك الإبستمولوجية للمواقف الهرموسية والعلمية التقليدية. **ونقطة التحول الإبستمولوجي هنا تكمن في تحوّل مادة البحث من النص الأصلي إلى النص المترجم.**

1.3.1 نظرية النظم المتعددة

من بين النظريات التي اعتمدت في تحليلاتها على إفرازات النصـــوص المترجمة، نجد نظرية النظم المتعددة التي عرّفت عموما كنموذج مفاهيمي (فكري) ينشغل باستقطاب حركية العناصـــر والوظائف المكونة للأنظمة الســـيمائية كاللغة والأدب مثلا. وهو بذلك يختلف منهجيا عن المقاربة النظرية التقليدية التي بقيت محصورة داخل الدراسات التزامنية (حيث كان النص وحده المادة المدروسة ومعنى هذا أنّ الاختيار يكون مسبقا بالضرورة). ولا يمكن لنموذج نظري كهذا تبيان التغيرات الملازمة للعناصر المكونة للنظام ومعاييره.

تـاريخيـا، يُنسَـــب مفهوم تعدّد النظم إلى مجموعـة من المنظّرين الأدبيين الروس المنتمين للمدرسـة الشـكلية وهم يوري تنيانوف (JuriTvnjanov)، رومان جاكبسـون (Roman Jakobson)، بوريس ايخينبام (Boris Ejkhenbaum)، وبومورسكا (Pomorska). فهذا المصطلح الذي عرّفه يوري تنيانوف يشـــير إلى هيكل متعدد الجوانب من العناصـــر التي تتصـــل وتتفاعل مع بعضـــها البعض. ومرونة هذا المصـطلح تمكّن من النظر في الأنواع الفردية والتقاليد الأدبية بشـــكل عام، وتتعدّى إلى النظام الاجتماعي ككلّ، كونها أنظمة في حدّ ذاتها. وعليه هذا النظام، تعدّ الترجمة نفسها نظاما قائما بذاته.

عمليا، بدأ نموذج النظام المتعدّد في البروز عبر أعمال إيتمار إيفن زوهار (Itamar Even-Zohar) حول الأدب العبري في أوائل السـبعينيات من القرن الماضـي. وقد تبنّى هذا الأخير الكثير من الجوانب الفكرية للمدرســـة الشـــكلية الروســـية ومن أبرزها فكرة النظام المتعدّد. يســتخدم إيفن زوهار مصـــطلحي النظام والنظم المتعددة للإشـــارة لنفس المعنى، لكن المصطلح الأخير هو الذي يمكّن من التركيز على الطبيعة الديناميكية لمفهوم النظام.

وفي موقفه هذا انتقاد للفكر السوسوري الذي لم يأخذ في الحسبان البعد التاريخي للنظام الألسني، أي أنّه أهمل مظهر التعاقبية (وهذا جانب هام من دراستنا الحالية سنركز عليه عند تحليلنا للمناص). والأهمّ من ذلك بالنسبة لمجال الترجمة، أنّ إيفن زوهار قد استعمل بحوث الشكليّين الروس للتوصّل لحلّ بعض القضايا المتصلة بنظرية الترجمة، بحيث خصّص الكثير من كتاباته لمناقشة الدور الذي تلعبه النصوص الأدبية المترجمة داخل أحد الأنظمة الأدبية المتعدّدة بالإضافة إلى تطبيقات أخرى لنظرية النظم المتعدّدة على المجال الترجمي.

يسمح النظام المتعدد بتبيين اللاتجانس أو التغاير hétérogénéité الملازم للظاهرة الثقافية التي يتعايش داخلها نظامان أدبيان ولغتان كما هو الحال بالنسبة للترجمة (سنرى لاحقا كيف تكون الترجمة نظاما قائما بذاته ضمن النظام الأدبي الشامل في أوروبا القرن التاسع عشر وفرنسا على وجه الخصوص). بالإضافة إلى ذلك، يتيح النظام المتعدد التركيز على موضوعات (الأدب الشعبي، أدب الأطفال، الأدب المترجم) وظواهر (إعادة الترجمة مثلا) ووظائف جديدة (الإبداع، التحاور الثقافي). فمن الأفكار الجوهرية في نظرية النظم المتعددة أنّ الأنظمة الفرعية التي يتكون منها نظام متعدد ما، هي في حالة تنافس دائم مع بعضها البعض للوصول إلى المركز. ففي حالة النظام الأدبي المتعدد تكون هناك حالة دائمة من التوتر بين المركز والمحيط حيث تحاول الأنواع الأدبية المختلفة السيطرة على المركز. ويقصد بالأنواع الأدبية كلّ الأعمال التي ينتجها المجتمع من أدب شعبي، وأدب للأطفال، وأدب مترجم، وهي الأنواع التي لم تحض من قبل باهتمام الدراسات الأدبية. ويذكر إيفن زوهار(1990) ثلاثة ظروف، إذا ما تحقّقت، قد تدفع النصوص الأدبية المترجمة إلى الاقتراب من المركز وتكون مكانتها أكثر محورية، كما هو الحال في الأدب الناشئ الذي يأخذ طاقته من أنظمة أدبية أقدم توفر له أنماطا نصية غاية في التنوع، أو عندما يكون الأدب الأصلي المحلّي ضعيفا أو مسيطرا عليه

من الخارج، أو أثناء الأزمات (سوف نحاول لاحقا معرفة أيّا من الحالات الثلاث أو غيرها كانت تحكم وجود الترجمة من العربية في فرنسا القرن التاسع عشر). والأدب المترجم قد يتبنّى أدوارا مختلفة داخل النظام المتعدد المتلقّي سواء بالحفاظ على النماذج الموجودة أو بإدخال نماذج جديدة على النظام، غير أنّ مكانته داخل النظام الثقافي المتلقي هي التي تحدد كيفية ممارسة الترجمة. هذا ما يؤكّده إيفن زوهار بقوله " لم تعد الترجمة ظاهرة ذات طبيعة وحدود معيّنة ولكنها نشاط يعتمد على العلاقات الموجودة داخل نظام ثقافي محدّد" (زوهار،1990، ص. 51). هذه النظرة الجديدة تؤدي إلى توسيع تعريف الترجمة. فبدلا من اقتصار النقاش على طبيعة المكافئ الموجود في النص الأصلي والنص المترجم، أصبح من الممكن للباحث في الترجمة التركيز على النص المترجم ككيان قائم بذاته في إطار النظام المتعدد المتلقي. أدّى هذا المنهج الذي أصبح ينسب اليوم إلى جدعون توري (Gédéon Toury) إلى عمل وصفي يبحث في طبيعة النص المترجم، مثلا من حيث الخصائص التي تميّز النص المترجم عن باقي النصوص الناشئة في نظام متعدّد معيّن. كما أصبح ممكنا شرح ظاهرة الترجمة مثل ظهور بعض الوظائف اللغوية في النص المترجم مع كونها خاصة بالنظام الأصلي في سياق التبادل النظامي البيني الأعمّ (زوهار، 1990).

1.3.2 المقاربة الوظيفية

تفرّع هذا العمل الوصفي إلى ما يسمّى بالمقاربة الوظيفية التي خلص إليها كلّ من توري وزوهار مستندين إلى فرضيات ليفي وهولمز وبوبوفتش.

أمّا بالنسبة لبوبوفتش، فهو يعتقد أنه يمكن الربط بين الانزياحات التي تحدث في النص المترجم (على مستوى العبارات مثلا) والمعايير الثقافية السارية في الثقافة المتلقية. وعلاوة على هذا، يقترح زاوية نظرية تعتمد على شرح ظواهر الانزياح عوضا عن انتقاد

نقائص النص المترجم. والمنهجية التي يعتمدها المنظرون التشـيك مسـتوحاة هي الأخرى من الشكلانية الروسية التي تعطي قيمة نظرية للبنيات الشكلية في تحليلها للنص الشعري.

ثمّ يأتي هولمز في 1970 لينقل أعمال المدرسـة التشـيكية للمنظرين الهولنديين خاصـة من خلال كتابه " طبيعة الترجمة" (*The nature of translation*). وفي مقاله " Forms of verse translation and the Translation of verse Form"، يعرض هولمز الفكرة التالية: "تقع القصيدة المترجمة التي نتلقّاها كقصيدة داخل مجموعة من العلاقات" (ص. 93).

ويسـتخلص هولمز من تحليله أربعة أنواع من الترجمة بحسـب الاسـتراتيجية التي يعتمدها المترجم والتي تعكس بدورها مكانـة النص المترجم داخل المجال الأدبي لثقافة التلقي. ومنه يبين هولمز أنّ ممارسة الترجمة تغذّي النشاط النظري والعكس بالعكس.

وهذا النشاط النظري يبرز خاصة عند أندريه لوفيفير الذي يعبر أحسن من غيره عن الطموح النظري للمقاربة الجديدة التي ترمي إلى وضـع أسـس نظرية جديدة بعيدا عن الشـراك الإبسـتمولوجية للمواقف الهرموسـية القديمة. فقبل أن يبتّوا في القضـية الفلسـفية لمعنى المعنى، يعمل أصـحاب دراسـات الترجمة الوصـفية إلى تعميق معرفتهم للنشـاط الترجمي نفسـه. وفي هذا السياق، هم يضـعون جانبا العوائق المفاهيمية الملازمة للثنائيات التقليدية: ترجمة جيّدة/ ترجمة سيّئة؛ تكافؤ شكلي/ تكافؤ ديناميكي؛ ترجمة حرفية/ ترجمة حرّة؛ فن/علم؛ نظرية/تطبيق. وهو يتناولون بالبحث كلّ أنواع النصوص (شفاهية كانت أو مكتوبة، أدب شعبي، روايات الأطفال...).

استنادا إلى هؤلاء، يعرّف توري دراسات الترجمة الوصفية كتحاليل نظامية (نسقية) للترجمات الأدبية تركّز خاصـة على الإنجازات الفوقية لتلك النصـوص وشـبكة العلاقات التي تندرج فيها وهي تشـغل وظيفة النص الأدبي داخل الثقافة المتلقّية في زمن معين. وحسـب المقاربة الوظيفية التي اعتمدها توري، يكون الاختيار الاسـتراتيجي للمترجم رهن الوظيفة المسندة للنص المترجم في سياق التلقّي. من الناحية الإبستمولوجية، ينفصل توري

عن فينيه ودربلنيه حيث يقترح توسيع مجال الدراسة الوصفية إلى المدونات النصية وهو بذلك يفتح المجال للدراسة التعاقبية.

يعرّف توري دراسات الترجمة الوصفية باعتبارها تحليلات نسقية للترجمات الأدبية تركّز خاصة على الإنجازات الفوقية لتلك النصوص وشبكة العلاقات التي تفرزها ترجمات تشغل وظيفة النص الأدبي داخل ثقافة التلقي في فترة معيّنة. وحسب المقاربة الوظيفية التي اعتمدها توري، يكون الاختيار الاستراتيجي للمترجم رهن وظيفة النص المترجم في سياق التلقّي. من الناحية الإبستمولوجية، ينفصل توري عن فينيه ودربلنيه حيث يقترح توسيع البحث إلى مدونات من النصوص الأدبية لتمكين الباحث من الخروج إلى التعاقبية (هذه النظرة الجديدة تكشف عن وقائع الترجمة ضمن النظام المتعدّد للثقافة المتلقية.

ومن المفاهيم الأساسية عند توري مفهوم المعيار وهو نوعان:

- المعايير الابتدائية التي تكون عاملا في اختيار النصوص لترجمتها في لغة الثقافة المتلقية في وقت معيّن. وهذا الاختيار تتحكم فيه دوائر مختلفة مثل دور النشر أو الآمرين بعمل الترجمة ونشره كما هو الحال بالنسبة للترجمات الأولى لأدب الرحلة موضوع بحثنا الحالي.
- المعايير الإجرائية التي تخصّ قرارات المترجم التحويرية للنص على المستويين الشكلي واللساني.

ونظرا للأهمية التي يوليها للقيود المفروضة على عملية الترجمة، حمل توري دراسات الترجمة الوصفية إلى التفكير في الترجمة كنشاط اجتماعي قد يكون فيه المترجم مرئيا أو خفيا وفقا للاستراتيجية التي تفرضها المعايير السائدة. لكن الصفة التحويرية للترجمة تجعل منها ممارسة ثقافية قد تؤثر بدورها على قواعد الاستيطيقا المحلية. وهذا الافتراض يضع حدّا نهائيا للتصور الهرمنوطيقي التقليدي الذي طالما حصر نظرية

الترجمة داخل نقاش لساني محض ويفتح المجال لنموذج بحثي خصب سيحمل اسم "المنعطف الثقافي".

في إطار هذه الديناميكية النظرية الجديدة، سوف يأخذ في الحسبان عوامل أخرى في تعريف الثقافة وتأثيرها على عملية الترجمة (تحليل الأيديولوجيا التي تتحكّم في استراتيجيات المترجم. والمنعطف الثقافي (لوفيفير وباسنت، 1990) ينظر إلى الترجمة الأدبية كشكل من أشكال إعادة الكتابة، ويعتبر المترجم مزدوج الثقافة قبل أن يكون مزدوج اللغة. وقد حاول لوفيفير فهم المظاهر الثقافية التي تتدخل في عملية الترجمة: مكانة أو وضعية النص الأصلي (في المركز أو المحيط)، وكيفية نظر ثقافة التلقي إلى ذاتها (مثلا، الثقافة التي تحتقر ذاتها سوف تلجأ كثيرا إلى الاقتراض...).

1.3.3 الدراسات ما بعد الكولونيالية

إنّ نظرية ما بعد الكولونيالية، نظرية تحلّل الخطاب الاستعماري وتعيد قراءة التاريخ من وجهة نظر المستعمَر، تأسست على يد إدوارد سعيد وهومي بهابها وغاياتري الذين يدعوهم روبرت يانغ "الثالوث المقدّس للنظرية ما بعد الكولونيالية"، وقد كان كتاب" الاستشراق" لسعيد، كتابا تأسيسيا لهذه النظرية وقد لعب دورا كبيرا في التأثير على جميع النقاد ما بعد الكولونياليين.

تشكل الدراسات ما بعد الكولونيالية Postcolonialism حقلا معرفيا تعود إرهاصاته إلى خمسينيات القرن العشرين من خلال أعمال فرانز فانون (Frantz Fanon) وجورج لامينج (Lamming George) وألبير ميمي (Albert Memmi). ثمّ تبلورت أطره المعرفية والمنهجية منذ أواخر السبعينيات من القرن الماضي. وقد تحسس بعض النقاد للدلالة التارخية والمنهجية لهذا المصطلح ممّا جعلهم يقترحون تعريفات كثيرة إلاّ أنّ دوغلاس روبنسن (1977) حصرها في ثلاثة تعريفات أكثر وضوحا، هي كالتالي:

1-دراسة مستعمرات أوروبا السابقة منذ استقلالها؛ أي كيف استجابت لإرث الكولونيالية الثقافي، أو تكيّفت معه، أو قاومته، أو تغلّبت عليه خلال الاستقلال. وهنا تشير الصفة "ما بعد الكولونيالية" إلى ثقافات ما بعد نهاية الكولونيالية. والفترة التاريخية التي تغطيها هي تقريباً النصف الثاني من القرن العشرين. (كما ورد في ديب، 2005، ص.28)

2- دراسة مستعمرات أوروبا السابقة منذ استعمارها؛ أي الكيفية التي استجابت بها لإرث الكولونيالية الثقافي، أو تكيّفت معه، أو قاومته، أو تغلّبت عليه منذ بداية الكولونيالية. وهنا تشير الصفة "ما بعد الكولونيالية" إلى ثقافات ما بعد بداية الكولونيالية. والفترة التاريخية التي تغطيها هي تقريباً الفترة الحديثة، بدءاً من القرن السادس عشر. (كما ورد في ديب، 2005، ص.28)

3- دراسة جميع الثقافات/ المجتمعات/ البلدان/ الأمم من حيث علاقات القوة التي تربطها بسواها من الثقافات/ المجتمعات/ البلدان/ الأمم؛ أي الكيفية التي أخضعت بها الثقافاتُ الفاتحة الثقافاتِ المفتوحةَ لمشيئتها؛ والكيفية التي استجابت بها الثقافات المفتوحة لذلك القَسْر، أو تكيّفت معه، أو قاومته، أو تغلّبت عليه. وهنا تشير الصفة "ما بعد الكولونيالية" إلى نظرتنا في أواخر القرن العشرين إلى علاقات القوة السياسية والثقافية. أما الفترة التاريخية التي

تغطيها فهي التاريخ كلّه. (كما ورد في ديب، 2005، ص.28)

وهذه التعريفات التي تتميّز بالتداخل والتقاطع يمكننا الاستعانة بها منهجيا في تحديد وضعية اللغتينن/الثقافتين العربية والفرنسية داخل النسق الثقافي والسياسي العام المرتبط بالقرن التاسع عشر، علما أنّ هذا الأخير يصادف بداية الاستعمار في بلاد المغرب. أما الدراسة الترجمية لكتاب "وصف إفريقيا" من منطلق ما بعد الكولونيالية، فتحملنا لا محالة إلى اعتماد منهجية الدراسات الاستشراقية، وهي سليلة الدراسات ما بعد الكولونيالية.

نستنتج ممّا سبق أنّ تيار ما بعد الكولونيالية جاء ليفتح الباب واسعا لنوع جديد من الدراسات، يرمي أساسا إلى التمعّن في نظرة الغرب إلى الثقافات الأخرى وخاصة منها تلك التي وقعت تحت الهيمنة الكولونيالية. وتستنتج الدراسات في سياق هذا التيار أن هذه النظرة تتميز عموما بالتمركز العرقي أو ما أصبح يدعى في أيامنا بالتمركز الأوروبي. وتستند الدراسات اللسانية والترجمية في سياق هذا التيار الذي نشأ بالموازاة مع الثورات التحررية في العالم الثالث إلى تحليل النصوص من وجهة نظر المستعمَر وخاصة من خلال المقاومة الثقافية. وباعتبار الترجمة حقلا تطبيقيا للممارسات اللسانية، يمكننا تصنيف ترجمة محمد الحاج صادق لنزهة الشريف الإدريسي والترجمة العربية الأولى لكتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزان الفاسي على يد محمد حجي ومحمد الأخضر والترجمة الثانية لعبد الرحمان حميدة ضمن الترجمات التابعة لتيار ما بعد الكولونيالي.

1.3.4 الاستشراق: إدوار سعيد ونظرية ما بعد الكولونيالية

يعدّ المفكر الأمريكي الفلسطيني إدوارد سعيد (1935-2003) أحد الأقانيم الثلاثة لهذه النظرية، أو هو يشكّل إلى جانب الهنديين هومي بهابها وغاياتري سبيفاك الثالوث المقدّس للنظرية ما بعد الكولونيالية بتعبير روبرت يانغ. أصدر كتابه

التأسيسي "الاستشراق" عام 1977، وضع فيه اللبنات الأولى لهذه النظرية حيث قام بتفكيك الخطاب الاستشراقي، وتشريح أدبيّاته ومقولاته المتراكمة حول الشرق منذ عقود، وقدّم تعريفات كثيرة للاستشراق، أهمّها التعريفات الثلاثة التالية:

1- طريقة للوصول إلى تلاؤم مع الشرق مبنية على منزلة الشرق الخاصة في التجربة الأوروبية الغربية، فالشرق ليس لصيقا بأوروبا وحسب، بل إنّه كذلك موضع أعظم مستعمرات أوروبا، وأغناها، وأقدمها، ومدار حضاراتها ولغاتها، (...) فقد ساعد الشرق على تحديد أوربا (أو الغرب) بوصف صورتها وفكرتها وشخصيتها وتجربتها المقابلة. (كما ورد في أبو ديب، 2005، ص.37)

2- أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق و(في معظم الأحيان) الغرب، وهكذا قد تقبّل جمهور كبير جدّا من الكتّاب، وبينهم شعراء وروائيون وفلاسفة ومنظرون سياسيون واقتصاديون وإداريون استعماريون، التمييز الأساسي بين الشرق والغرب بوصفه نقطة الانطلاق لسلسلة محكمة الصياغة من النظريات والملاحم والروايات والأوصاف الاجتماعية، والمسارد السياسية التي تتعلّق بالشرق وسكّانه وعاداته وعقله وقدره، وما إلى ذلك..." (كما ورد في أبو ديب، 2005، ص. 38).

3- الاستشراق يمكن أن يُناقَش ويُحلَّل بوصفه المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق بإصدار تقريرات حوله، وإجازة الآراء فيه، وإقراره، وبوصفه وتدريسه، والاستقرار

> فيه، وحكمه، بإيجاز، الاستشراق أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه" (كما ورد في أبو ديب، 2005، ص. 39).

وهذه السيطرة ليست سياسية فحسب، بل هي سيطرة على الخطاب المعرفي، وتأكيد لفكرة مركزية الغرب وهامشية الشرق. وكان عمل إدوار سعيد لبنة أولى في هدم هذه البنية الفكرية.

وهذا ما سوف نبيّنه من خلال تحليل الخطاب الاستعماري الصريح الذي بنيت عليه ترجمة بعض المستشرقين، (جان تمبورال وإيبولار على وجه الخصوص) للمصادر العربية موضوع بحثنا. وكتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان أفضل دليل على سيطرة الخطاب الغربي لعصر النهضة، وهي فترة بداية الاستشراق حسب البعض، على كتابة أدب الرحلة: فإذا كانت النسخة الإيطالية لراموزيو"لا تختلف كثيرا" عن المخطوط الإيطالي للحسن الوزان، فيمكننا الإقرار بأن هذا الأخير قد لجأ في "تحقيق" كتاب "وصف إفريقيا" إلى نفس النمطية والكليشيهات السائدة في أوروبا القرن السادس عشر.

1.3.5 الاستشراق في دراسة ريشار جاكمون

في تفكير عام حول الترجمة من الفرنسية إلى العربية عنونه: " Traductions croisées Egypte-France: un échange inégal"، يرى ر. جاكمون أنّ:

> La traduction de l'arabe est dominée depuis le XIX^e^ siècle par la tradition philologique : la philologie établit et fixe les textes anciens (grecs, romains, orientaux), et en donne des traductions exactes, en réaction contre la tradition de traduction libre de l'âge classique. « Ces traductions n'ont pas d'ambition littéraire ; elles visent simplement à

restituer le sens des textes ». (Jacquemond, 1994, p.7).

إنّ التقليد الفيلولوجي يهيمن على الترجمة من العربية منذ القرن التاسع عشر: ومن الثابت أنّ الفيلولوجيا تعدّ وتضبط النصوص القديمة (اليونانية والرومانية والشرقية) وتترجمها ترجمة دقيقة كردّ فعل مناوئ لتقليد الترجمة الحرّة للعصر الكلاسيكي. (ترجمتنا).

ويضيف، نقلا عن أنطوان برمان (1985، ص. 130)، أنّه " ليس لهذه الترجمات أي طموح أدبي؛ فهي ترمي بكل بساطة إلى استرجاع معنى النصوص". يفترض جاكمون أنّ الترجمة الاستشراقية تمكّن القارئ الفرنسي من الوصول إلى هذه الأعمال لكنّها " غير قابلة للقراءة" (illisibles). يقصد بهذه العبارة أنّ الترجمات متمركزة عرقيّا (ethnocentriques) وأنّها تعمّق المسافة بينها وبين القرّاء الفرنسيين. لكنّنا نرى في هذا التعبير كثيرا من المبالغة وكان من الأحرى وصفها بالضعف الأدبي.

1.3.6 المنعطف الثقافي في دراسات الترجمة الوصفية

أفضت الدراسات ما بعد الكولونيالية إلى حقل جديد سمّي بالدراسات الثقافية. في سياق هذا التحول النظري الجديد، برزت أعمال أندريه لوفيفير (André Lefevere) وسوزان باسنت (Susan Bassnett). تشير هذه الأخيرة في مقالها " The Translation Turn in Cultural Studies" (المنعطف الثقافي في دراسات الترجمة الوصفية)، إلى ضرورة إعارة الاعتبار للشبكات الثقافية للغة–المصدر واللغة –الهدف، ما دامت النصوص الأصلية وترجمتها تنتج داخل فضاء ثقافي معيّن. وهذا الانفتاح سمح للدراسات الترجمية تغيير زاوية النظر

والاقتراب من الحقل الأنثربولوجي والدراســـات الثقافية. كما ســـمح بدراســـة الرهانات الأيديولوجية للترجمة.

بالإضافة إلى هذا، تعرّف سوزان باسنت الترجمة الأدبية بأنّها شكل من أشكال إعادة الكتابة وتدرجها ضـمن تخصّـص علمي جديد أطلق عليه : Translation/ rewriting studies (باســنت و لوفيفير، 1990، ص. 12) وتخضـــع الترجمة بوصـــفها إعادة كتابة إلى مجموعة من العوامل السوسيو – اقتصادية (العمر، الجنسية، الجنوسة والطبقة الاجتماعية للمترجم والظروف المادية لإنتاج النص وتســـويقه، وقراءته) بالإضـــافة إلى الضـــغوط الأيديولوجية التي يمارســـها الآمرين[11] بالعمل كالأشـــخاص، أو الملوك (كما هو الحال بالنســـبة لترجمة كتاب روجار للشـــريف الإدريســـي مثلا) أو الجماعات (كما هو الحال بالنسبة لترجمة رحلة ابن بطوطة التي أمرت بها الجماعة الأسيوية) أو المؤسسات أو دور النشـر (كما هو الحال بالنسـبة لترجمة وصـف إفريقيا للحسـن الوزان الفاسـي). ومن هذا المنظور، ينبغي أن تؤول دراسـة النظام الأدبي المتعدد إلى البحث عن مصـادر السـلطة. وتكمن أهمية البحوث هنا في الوقوف عند المعطيات والســـياق التاريخي اللذان يؤثران أيديولوجيا على الترجمة بوصـــفها ممارســـة إعادة كتابة. ويعتقد لوفيفير أنّ الدراســـات التاريخية وحدها قادرة على تتبع التحولات الثقافية التي تؤثر على ممارســة الســلطة داخل المجتمعات وتفســير هيمنة شــعرية معينة في ظرف زمني معين، أي تصــور دور الأدب وجرد الإجراءات الأدبية[12] مثل الجندر (الجنس) والغرض والمحكي والصـــور البيانية [13]، والسجل اللغوي. وربّما كانت أعمال ماريا تيموزكو وإدوين ڤنسلر رائدة في تبيين علاقة الترجمة بالسلطة.

---

[11] سوف نفصّل في هذه المسألة في المبحث المخصص لدراسة المناص.

[12] هذا هو تعريف الذي ينســبه أندريه لوفيفير للشــعرية في كتابه Translation, Rewriting and the Manipulation of Literature، ص. 26.

[13] مثلا تحليل الاستعارة كتعبير مجازي إمبريالي ينسب إلى شعرية تمثّل وتملّك الآخر.

الفصل الثاني:

ظاهرة إعادة الترجمة في سياق التغيّر المعرفي

تمهيد

هذا الفصل عبارة عن حوصلة انتقادية شاملة لقاعدة نظرية نستخلص منها ثلاثة تيارات أساسية: المنطق الخطي لفرضية إعادة الترجمة، منطق التجديد ومفهوم التحدّي. كما سنخصّص جزأ هاما من هذا الفصل للأعمال التي تناولت هذا الموضوع إلى غاية 2010 –2011. سنعود بعدها إلى المقاربات النظرية المختلفة التي توظف مفاهيم عديدة في هذا السياق على مثل عمر النص (قدمه) والتنافس على سلطة النص (بين المؤلف والمترجمين المتعاقبين) ومفهوم التحدّي في الترجمة عموما.

2.1 تعاريف إعادة الترجمة

إذا كانت إعادة الترجمة من الممارسات المتضاعفة – على الأقل في الفضاء الأدبي الغربي–فالدراسات الترجمية لهذه الظاهرة لا تزال قليلة. ولا يعود السبب في ذلك إلى حداثة الظاهرة بل إلى قلّة اهتمام المنظرين بهذه الممارسة في رهاناتها المختلفة قبل العشرية الأخيرة من القرن الماضي. نذكر في هذا السياق أعمال الصادرة في 1990 عن بول بن شمعون (Paul Bensimon) وأنطوان برمان (Antoine Berman) المرتبطة بالنظرة "الدورية" (إن صحّ التعبيير) للترجمات التي اقترحها غوتيه (Goethe) وكل الأعمال المنشورة إلى جانبها في مجلة "طُروس" في عددها الرابع (*Palimpsestes*, n°4) والتي تتناول مواضيعها أنماط إعادة الترجمة والتعاريف المختلفة التي اقترحها إيف غامبييه (Yves Gambier) في 1994 وإيزابيل كولومبا (Isabelle Collombat) في 2004 وبول مارتي (Philippe Marty) في 2006 وإيف شوفرال (Yves Chevrel) في 2010 والمجموعة الإلكترونية *Universités* التي نشرت في 2011 عن Daniel Cohen Editeur مقالا حول إعادة الترجمة والآفاق الأدبية الأوروبية. أمّا فيما يخص المجال الفرنسي–العربي، فنذكر أعمال أحمد القاسمي الواردة في الفصل الثامن من كتابه الصادر في 2009 " الترجمة وأدواتها: دراسات في النظرية والتطبيق" وأعمال ريشار جاكمون (Richard Jacquemond) حول الترجمة الاستشراقية منذ القرن التاسع عشر[14]. هذا فيما يخص الترجمة، أما المبحث

[14] لأكثر تفاصيل، أنظر «*Traductions croisées Egypte-France: un échange inégal*» ، مجلّةTranslittéraire، 1994، ص.7.

التاريخي وعلاقته بالمصـــادر العربية فقرأنا له مقالا لأحمد ســـيراج: L'image de la Tingitane, historiographie arabe médiévale et antiquité maghrébine

اســـتقينا منه نظرة المؤرخ العربي والجغرافي والرحالة للآخر من خلال النصـــوص. وبخصوص دور المصادر العربية في التعريف بالمدن القديمة لشمال إفريقيا، يذكر سيراج نصـــوص ليون الإفريقي في" وصـــف إفريقيا". أمّا بالنســـبة للدراســـات حول إعادة ترجمة نصـــوص أدب الرحلة والجغرافية التاريخية المغاربية إلى الفرنســـية، فلم نعثر إلى حدّ الآن سوى على بعض الأعمال التي تناولت حركة الاستشراق في أوروبا وعلاقتها بالترجمة.

يظهر أوّل تعريف لإعـادة الترجمـة في مقـال لأنطوان برمـان نشـــرتـه مجلـة *Palimpsestes*[15]: « toute traduction faite après la première traduction d'une œuvre » (1990 ، ص. 1)، ترجمناه على هذا النحو " كلّ ترجمة تعيد ترجمة أولى لعمل ما". ولا يقصد من التكرار هنا إنتاج نسخ جديدة من الترجمة الأولى لنص أصلي فحسب بقدر ما هو، أي التكرار، تجلٍّ لوضـعيات عديدة تظهر فيها الترجمات المختلفة لنص أصـلي، ممّا جعل البعض يطلق عليها ظاهرة إعادة الترجمة لأهمّيتها. فمنذ صـــدور هذا العدد من مجلة طروس، بدأ التفكير الحقيقي في هذه المسـألة وتوالت التعاريف التي تدور حول هذه القضـــية، من أهمّها تعريف إيف غامبييه: "ترجمة جديدة، في نفس اللغة، لنص مترجم كليّا أو جزئيا" (1994، ص. 413). كما يؤكّد، في ســـياق التفكير التاريخي حول الترجمة، على ضـــرورة تحليل ما يســـمّيه " الأوقات الســـانحة لمعاودة نصّ ما، الأوقات اللائقة التي تسمح باستخراج الأسباب التاريخية لحركات إعادة الترجمة، وكذا الأساليب النصـية لمثل هذه الممارسـة الترجمية والاسـتراتيجيات التي يعتمدها كلّ مترجم" (1994، ص. 413).

وقد يستعمل هذا مصطلح إعادة الترجمة أحيانا للإشارة إلى الترجمة غير المباشرة أي الوســـطية أو المتناوبة (شـــاتل وورث وكووي، 1997، ص. 76). و" تكون إعادة الترجمة على الطابع التكراري" (مارتي، كما ورد في بيلييه، 2010، ص. 2)، أو عبارة عن "تعايش عدّة ترجمات، آنية كانت أم متعاقبة، لنفس العمل (ســلســلة من الترجمات)"

[15] مجلة تهتمّ بدراسة المشاكل النظرية والتطبيقية للترجمة خاصة في المجال إنجليزي/ فرنسي، فرنسي/ إنجليزي.

(سـكيبنسـكا، 2000، ص ص 1–10). وتسـتنتج بيليه أنّ إعادة الترجمة " سـتكون ما بعدية: لاحقة، بل لصـيقة ترجمات أخرى قد تنفيها أو تملؤ فجواتها أو تجهلها أو تجدّدها أو تعيد تشـكيلها" (ص.2). ويذهب شـوفرال إلى دلالات ثلاثة: "ترجمة مضـروبة في نفسـها" أو "ترجمة عكسية، أي العودة إلى اللغة الأصـلية لنص ما" أو " ترجمة جديدة في نفس اللغة الهدف، لعمل أدبي سـبقت ترجمته في تلك اللغة (2010، ص. 11). وهذا التعريف الأخير هو الأكثر تداولا لدى جماعة المترجمين والمنظرين في الترجمة.

2.2 فرضية (ات) إعادة الترجمة

يعود الأصـل في وضـع فرضـية إعادة الترجمة إلى أعمال غوتيه (1819) الذي يشير إلى ثلاثة مراحل تمرّ منها الترجمة داخل ثقافة معيّنة:

> Un premier élément de réponse peut nous être fourni par Goethe qui, dans son *Divan oriental-occidental,* présente trois modes de traductions qui sont autant d'époques de celles-ci. Le premier mode, ou la première époque, est la traduction intra ou juxtalinéaire (mot à mot) visant tout au plus à donner une idée grossière (Goethe *dixit*) de l'original. Le second mode est la traduction libre, qui adapte l'original à la langue, à la littérature, à la culture du traducteur. Le troisième mode est la traduction littérale, au sens de Goethe, c'est-à-dire celle qui reproduit les « particularités » culturelles, textuelles, etc. de l'original. Chaque fois qu'une culture se lance dans l'aventure de la Traduction, selon Goethe, elle parcourt nécessairement ce cycle. D'où il est évident qu'aucune première traduction ne peut être une grande traduction. Et dans la mesure où les deux derniers modes présupposent le premier, il est non moins clair qu'une traduction accomplie ne peut advenir qu'à partir du second mode, c'est-à-dire déjà d'une « première » retraduction... (Berman, 1990, pp 1-7).

هذا الأمر من شأنه أن يدعم فكرة الزمن كتطوّر وميول دائم نحو الأكمل. والمقصود بالأكمل هنا النص الأصلي (سجّلنا هنا عودة فكرة أفضلية النص الأصلي على النص المترجم). ظلّ التفكير في موضوع إعادة الترجمة بعد غوتيه ضئيلا إلى غاية نشر أعمال بيرمان وبن شمعون في مجلة أطراس الفرنسية في 1990 التي كرّست عددا كاملا لهذه الظاهرة. تثبت أعمالهما أنّ إعادة الترجمة وحدها قادرة على الكشف عن هوية النص الأجنبي والتقرب منه إلى درجة الحلول فيه (نسجّل هنا تناقضا يبرز في العودة إلى فكرة الشفافية التقليدية). لقد ركّز برمان على الترجمة الأدبية المعادة وقال بأنّ الترجمة فعل ناقص وأنّها تسعى إلى تحقيق الكمال فقط من خلال إعادة الترجمة (1990، ص. 1) وهذا النوع من الكمال الذي يقصده برمان يعني نجاح الترجمة في الاقتراب من النص الأصلي وإعادة تمثيل المقابل بين النص المترجم والنص المصدر (المرجع نفسه، ص. 3). تحدّث برمان عن الفشل المتأصّل الذي يصيب جميع الترجمات، والذي يصل إلى الذروة في الترجمات الأولى. ويرى بن شمعون أنّ بعض المترجمين يقومون بتجنيس naturaliser أو توطين domestiquer الأعمال الأجنبية وتقديمها إلى ثقافة هدف معينة (بن شمعون، 1990، ص. ix) في حين يركز البعض الآخر على رسالة النص المصدر وأسلوبه وهم يحافظون بذلك على المسافة الثقافية بين الترجمة والمصدر ممّا يعكس تفرّد هذا الأخير (المرجع نفسه، ص. ص x-ix). ويرى غامبييه أنّ هذه النظرة المنطقية توفر نموذجا من إعادة الترجمة كعملية للتحسين (الاكتمال) مع مرور الوقت مبنية على تضليل "المعنى الداخلي" الموجود في النص الأصلي. وذكر شيسترمان الذي يوظف إعادة الترجمة كوسيلة لتسليط الضوء على النماذج السببية causal models واستنباط السمات الشمولية الممكنة (الاحتمالية) للترجمة. وهو يرى أنّ ما يدعى بفرضية إعادة الترجمة إنّما هي فرضية وصفية يمكن تعريفها كالتالي: إنّ الترجمات المتأخرة تميل إلى كونها أقرب إلى الأصل من سابقاتها" (2000، ص. 23)، ليلخّصها فيما بعد بالعبارة التالية: "الترجمات المتأخرة تميل إلى كونها أقرب إلى النص الأصلي (2000 ، ص. 8).

إنّ هذه النظرة الغائية لإعادة الترجمة كحركة ذات اتجاه موحّد باتجاه نصوص هدف أفضل قد انتقدت لتبنّيها "التاريخ كنموذج للتقدم" (سارابيفا، 2003، ص. 2)، وتبسيطها لظاهرة معقدة (ميلتون وتوريس، 2003، ص. 2). وتقول بريسيه (2004) من جهتها أنّ

النهج الذي يقدّم الحداثة كبديل عن التقدم المستمر من شأنه أن يفسر ظاهرة إعادة الترجمة بشكل أفضل. وقد أشارت بعض الدراسات إلى الفرضيات الأولى موضحة أنّ الترجمات الأولى ليست دائما تجنيسية[16] ولا كلّ الترجمات اللاحقة تميل إلى التغريب مع مرور الزمن (كوسكينان وبالوبسكي، 2003، ص. 22). وهذا ما سنتحقّق منه عند تحليل الترجمات الفرنسية المتعاقبة للمصادر العربية.

2.3 أسباب إعادة الترجمة

تتحكّم في إعادة الترجمة عوامل كثيرة داخلية كانت أم خارجية، ويمكن تصنيفها على النحو التالي:

2.3.1 قدم النص المترجم

إنّ الجانب الثاني من فرضية إعادة الترجمة ينقلنا إلى مسألة قدم النصوص. يشير برمان إلى أنّه بينما تتّسم النسخ الأصلية بالديمومة فإنّ الترجمات محكوم عليها بالزوال وبالتالي تبرز الحاجة إلى ترجمات جديدة (1990، ص. 1)، لكن هذا لا ينطبق على الترجمات الكبرى التي لا تتأثر بعامل الزمن، تلك الترجمات التي تتحدّى الزمن وتطابق قوّة الأصل تعتبر من الترجمات العظمى (المرجع نفسه، ص. 2) وهذا أمر شككت فيه "بريسه" مطوّلا حيث دعت إلى مناقشة حاسمة لتلك "العظمة" وذكرت أنّ مثل هذا النقاش سيرجعنا لا محالة إلى مسألة "القيمة الأدبية" لعمل ما (2004 ، ص. 52). والترجمات القديمة وما يليها من حاجة لإعادة الترجمة فكرة قد ارتبطت عادة بعامل تغير اللغة والحاجة لتحديث الصياغة والمصطلحات المستخدمة في الترجمات السابقة (حنا، 2006، ص. 194). مع ذلك، فلا يمكن افتراض وجود علاقة واضحة بين مرور الزمن وإعادة الترجمة ما دام هناك العديد من حالات إعادة الترجمة لنفس النصوص الأصلية تبيّن قصر الفترات الزمنية التي تفصل بين الترجمة الأولى والترجمات اللاحقة (بيم، 1998 ؛ حنا وجان، 2006 ؛ سارابيفا، 2003)، وعليه، فإنّ قرار إعادة الترجمة أو إعادة نشر ترجمة معادة لا يمكن حصره في عامل واحد مثل قدم الترجمة الأولى. فبالإضافة إلى

[16] أي خاضعة للتوطين أو التطبيع وكلها مصطلحات تفيد نفس المعنى.

العامل التاريخي المذكور أعلاه، يوجد سبب داخلي لإعادة الترجمة يتمثل في نقص الترجمة الأولى.

2.3.2 نقص الترجمة الأولى

إنّ فكرة نقص الترجمة الأولى ترتبط بفكرة الكمال الذي لا يتأتى إلاّ بفعل التكرار (كما سبقت الإشارة إليه في المقدمة) وتراكم التجارب وتفادي الأخطاء السابقة والتحسين المستمر لعمل ما. وهي في نفس الوقت استرجاع لفكرة تاريخا نية (بطلان) الفعل الترجمي التي انتشرت في إيطاليا القرن الخامس عشر (تيار شيشيرو). وهذا السبب لإعادة الترجمة أكثرهم شيوعا.

2.3.3 إعادة الترجمة بدافع التنازع على سلطة النص والاختلاف

في عام 2003، بتّ سانت أندريه (St. André) في موضوع إعادة الترجمة انطلاقا من الحلقات الصينويّة [17] مشيرا إلى مسألة التنازع بين الأطراف ذات المصالح النقيضة كسبب رئيسي لإعادة الترجمة. ولئنّه يعتبر إعادة الترجمة في تعريفها كترجمة مناوبة (Relay translation)، فتلك الحالات المبنية أساسا على فعل التكرار في الترجمة من الصينية إلى الإنجليزية تبرز أهمية عنصر التحدّي في الترجمة. ومفهوم التحدّي هذا من المفاهيم التي خاض فيها الفيلسوف والمنظّر بول ريكور في كتابه حيث ألحّ على تحدي وسعادة الترجمة (كما ورد في خمري، 2008، ص. 15)

وفي الوقت الذي يبرز فيه St.André دافع السلطة على مجال معين من مجالات الترجمة (الأدب مثلا)، فهو يسلط الضوء على دافع آخر، ألا وهو الفصل بين "الصينويّة الإنجليزية والتقليد الفرنسي". وتكون إعادة الترجمة هنا بدافع المنافسة بين تقليدين كانا متزامنين في القرن التاسع عشر: الفرنسيون يفضلون الاهتمام بالحضارة الصينية الكلاسيكية في حين يهتم البريطانيون بالنصوص التي تروي الحياة اليومية والممارسات

[17] الدراسات الصينوية تهتم بالحضارة الصينية في مختلف تجلياتها وهي جزء من الدراسات الاستشراقية التي ظهرت في فرنسا كفرع علمي منذ القرن السابع عشر.

الآنية للصينيّين. وعليه، يمكن اعتبار الاختيار النوع "الثانوي" من باب المفارقة والاختلاف لا غير.

الحالة الثانية التي تشير إليها أعمال سانت أندريه (St.André) تتمثل في نص Foguoji، وهو نص من القرن الخامس يروي رحلات Faxian ، أحد رجال الدين البوذيين عبر القارة الآسيوية. كانت الترجمة الأولى إنجليزية (Laidly، 1848) قد جُعلت على أساس الترجمة الفرنسية (ترجمة مناوبة) وتبدو فيها المنافسة بين التقليدين جليّة من خلال التغييرات التي أدخلها المترجم على المناص الفرنسي (تقديم، هوامش) وما يحمله من معلومات وإضافات موسوعاتية عن النص الأصلي بغية تبيان التفوق المعرفي للمناص البريطاني. تليها أربع ترجمات يبرهن فيها المترجمون على أخطاء وهفوات من سبقوهم وإثبات "شرعيتهم". هذا النوع من التفكير موجود بقوة لدى مترجمي القرآن الكريم من مستشرقين وغيرهم (كما سبقنا ذكره في مقال خصّصناه لتحليل المناص في بعض الترجمات الفرنسية للقرآن الكريم) وينطبق على ترجمات المصادر العربية محلّ البحث (سنعمق هذه الفكرة في الفصل المخصص لدراسة المناص). ويكون استنتاجنا الأولي من هذا أنّ مشاريع الترجمة في أوروبا القرن التاسع عشر كانت تهدف أولا إلى التخصص في حضارات الشرق ممّا يبرّر اهتمام مترجميها بفقه لغة النصوص الأصلية وإيلاء المناص دورا محوريا في ترجماتهم.

والترجمة الرابعة والأخيرة موجّهة للعامّة تعتمد في استراتيجيتها على محو الهوامش واستعمال لهجة أسيا الوسطى لكتابة الأسماء الجغرافية وكل هذا من أجل مقروئية أكبر، وهذا ما لاحظناه في الترجمات الفرنسية الأخيرة لنصوص المصادر العربية محلّ البحث.

2.3.4 إعادة الترجمة بسبب تغير المعايير والأيديولوجيات

من خلال إعادة الترجمة، يمكن تسليط الضوء على تغيّر المعايير والأيديولوجيات داخل نظام ما والدراسات التالية تشترك في كونها تركّز على إبراز ذلك التغير، فيمكن إذن أن نربطها بمجال دراسات الترجمية الوصفية وخاصة بأعمال توري (1995، ص. 55). هنا يأتي عرضنا لمفهوم **المعيار** والانتقادات الموجّهة له:

أ- دراسات مريم دي نور Du Nour (1995)

تركّز دراستها على التغيرات التي تطرأ على " المعايير اللسانية والترجمية" (1995، ص. 331) للغة العبرية في فترة لا تقل عن سبعين سنة وكيف كان تأثيرها على قرارات الترجمة كما تبيّن من السياق الخاص لترجمة أدب الأطفال. وكشف تحليل دي نور- للترجمات المعادة لتسعة نصوص أصلية بالإنجليزية والألمانية والإيطالية والسويدية-عن تحوّلات في استراتيجيات الترجمة تعكس تحولات في المعايير اللسانية السائدة: فالطابع التوراتي الذي ميّز أدب الأطفال في بداية القرن العشرين (1920) يعكس ترويج العبرية كلغة كلاسيكية في حين تميل الترجمات المعادة حديثا إلى تبسيط الأسلوب الأدبي الراقي السائد في الترجمات السابقة واتّباع المعايير اللسانية الجديدة (المرجع نفسه، ص. 327). وتبدأ نقطة التحول بالنسبة للمعايير الترجمية حوالي 1980: قبل هذا التاريخ، كان الاقتباس والشطب مقبولا ومبرّرا باعتبار "قدرة الأطفال على القراءة" (المرجع نفسه، ص. 338)، لكن بعده أصبح العكس صحيحا. وعليه، تبرهن دراسة دي نور على الموازاة التي يمكن إقامتها بين استراتيجيات الترجمة والأفكار السائدة عن الأسلوب والترجمة كما تسلّط الضوء على أهمية أخذ المقروئية في الاعتبار.

ب- دراسات كوجاماكي Kudjamaki (2001)

تناول كوجاماكي دراسة ثماني ترجمات معادة إلى ألمانية لعمل الفنلندي آليكس كيفي (Kivi) الذي يحمل عنوان Seitsmänveljestä. درست مظاهر الترجمة هنا من زاوية الأمانة والحرية ونوقشت في ظلّ الأفكار "القائلة بالضغوط والدوافع الأديولوجية والشعرية أو أيديولوجيات المترجم الشخصية التي تؤثّر في قرارات المترجمين" (2001، ص. 47). فالأمر هنا يتعلق خاصة بالترجمات الثلاثة الأولى التي نشرت في 1921، 1935 و1942 على التوالي. يلاحظ كوجاماكي أنّ نشر الترجمة الأولى، "الأمينة" إلى الألمانية لم يحدث إلاّ بعد مرور 50 سنة من كتابتها لأنّ النص الأصلي " كان بكلّ بساطة بعيدا جدّا عن التيار الشعري السائد أنذاك في ألمانيا " (المرجع نفسه، ص. 54). وكان من وراء ظهورها أخيرا، حدث سياسي جوهري وهو استقلال فنلندا من الاحتلال الروسي. ومنه أدرجت الترجمة ضمن مشروع خاص: " أصبح على المترجم أوّلا وقبل كلّ شيء العمل

في صالح الثقافة التي يترجم منها" (المرجع نفسه، ص. 55)، أي المساهمة في إرساء الهوية الوطنية الفنلندية وترقيتها. يبرز هذا المثال أوّلا أنّ دوافع الترجمة قد تكون كذلك في الثقافة الأصلية (المصدر). ومن جانب آخر، يبرهن ضعف الطلب الألماني على سلطة الثقافة الهدف على قبول أو رفض محاولة ما للترجمة. مع هذا، يلاحظ أنّ الترجمتين المعادتين في 1935 و1942 وثيقتي الصلة بالنظام الهدف ومشاريع الحزب الاشتراكي الوطني. فعلا، فنسخة 1935 المختصرة للغاية تستبدّ بالعمل باعتباره " نموذجا شعريا قيّما" (المرجع نفسه، ص. 57) من أجل إعادة بناء الهوية الوطنية الألمانية في مقابل الهيمنة العنصرية الثقافية المزعومة لشعوب الشمال. ومع التقارب والتحالف النامي بين ألمانيا وفنلندا جاءت الفرصة السانحة لترجمة جديدة في 1942 " أكثر انفتاحا على العناصر الثقافية الأجنبية المتميّزة" (المرجع نفسه، ص. 60)، ترجمة روعي فيها النص لذاته وليس لكونه مرجعا للثقافة الشمالية فحسب. بيّنت هذه الدراسة وجود علاقة صريحة بين الترجمة والأفكار السائدة (أيديولوجية، شعرية أو غيرها) في كلتا الثقافتين. فبأخذه الترجمات المعادة كبيانات لفحص الديناميكية التاريخية للترجمة الأدبية، يخلص كوجاماكي إلى أنّ الترجمات المعادة تخضع إلى حدّ كبير لـ "سياق الظروف المعيارية المحددة زمنيا" (2001، ص. 65) لا سيما من خلال التحولات في السياق الأيديولوجي لتلقّي وتغيير صورة فنلندا في ألمانيا.

بالإضافة إلى المعيار التاريخي، توجد ترجمات معادة تبرز فيها المعايير الذاتية للمترجم، ونذكر على سبيل المثال الترجمات المعادة للكاتب البرازيلي المترجم والناشر منتيرو لوباتو الذي أقحم آراءه السياسية في ترجماته لكلاسيكيات الأطفال (كما ورد في ميلتون، 2018)، وإعادة ترجمة العديد من كلاسيكيات الكبار والأطفال خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين من قبل الناشر الإسلامي التركي أكتاس (بوزتيب وسلمان، 2006).

هناك تفاسير أخرى عادية لإعادة الترجمة كعدم الدراية بوجود ترجمة سابقة للعمل نفسه (المرجع نفسه: 25)، وقد يكون السبب في قلة التنسيق بين الناشرين التي تؤدي إلى نشر ترجمتين مختلفتين متزامنتين، وفي هذه الحالة تعتبر كلتا الترجمتان مصدريتين

ومعادتين في آن واحد. وذكر فينوشي (2003، ص. 27) حالة بعض الترجمات المعادة النسوية (أنظر الجندر والجنس) قائلا أنّ بعض الترجمات المعادة قد تُنشر كذلك من أجل تعزيز سلطة بعض المؤسسات الاجتماعية بما فيها المؤسسات الأكاديمية والدينية (المرجع نفسه، ص. 26).

وعليه، تصبح الحاجة إلى تحيين لغة الترجمة ونشر نصوص أصلية منقّحة ومحقّق فيها واكتشاف أخطاء الترجمة الأولى كلّها تبريرات مشروعة لإعادة الترجمة. وهذا ما ستثبته دراستنا التحليلية على المدونات.

ت- دراسات براونلي Brownlie (2006)

بيّنت براونلي من خلال تحليلها لخمس ترجمات معادة لكتاب "نانا" Nana لـــ "إميل زولا" Emile Zola، كيف تكون الترجمة تشابكا من عناصر سوسيو-ثقافية وتاريخية. كشفت الدراسة أوّلا عن إمكانية استعمال إعادة الترجمة لتتبّع التحوّلات الأيديولوجيات في بريطانيا. نجد بالخصوص أنّ الفظاظة والشهوانية اللتان تميّزان الكتابة عند "إميل زولا" "لم تتقبّلهما الأديولوجية البريطانية للاستقامة الأخلاقية والرقة المعروفة لدى الطبقة الفكتورية " (2006، ص. 157)، وتلك الأديولوجية تبرز في الترجمة الأولى لعام 1884 من خلال الرقابة الذاتية أي المحو والاستبدال. كما تلاحظ براونلي " تداخلا واضحا بين الأيديولوجيات الاجتماعية والمعايير الأدبية حيث أنّ ما هو مقبول في النصوص الأدبية يتأثر ..." (المرجع نفسه، ص. 161). علاوة على ذلك، يستعمل مفهوم الرقة كقاعدة للمقارنة المعيارية وتشير براونلي إلى تطوّر التعبير عن الشهوانية عبر الزمن" (المرجع نفسه)، نحو قطب التصريح. وهي تركّز اهتمامها على المعيار اللساني، تعطي براونلي مثل عبارة " gay women" التي ظهرت في القرن التاسع عشر بمعنى "النساء السيئات السمعة" قد استعملت في الترجمات المعادة بمبرّر التحيين اللغوي "بما أنّ المترجمين اللاحقين قد اضطرّوا لاستعمال لغة عصرهم لتفادي سوء الفهم" (المرجع نفسه، ص. 162).

بالإضافة إلى ذلك، تبرهن مدوّنة براونلي على انطواء الترجمات المعادة لتأويلات مختلفة على مستوى الجملة. هنا، يتعلق التأويل بأمثلة "يكون فيها النص الفرنسي ثنائي

المعنى" و "غامض" (المرجع نفسه، ص. 163). ويشار إلى أنّ التأويل هنا " رهين عوامل خارجة عن النص" (المرجع نفسه، ص. 164)، خاصة حين نرى أنّ السياق الفكتوري يميل إلى التعبير الميتافيزيقي والسياق المعاصر إلى التعبير الفيزيقي.

خلاصة الفصل الثاني

يكثر الحديث عن إعادة ترجمة النص الأدبي دون غيره من النصـــوص أو على حساب الأنواع الأخرى. فالبحث في موضوع إعادة الترجمة يركز عادة على المادة الأدبية علما أنّ أكثر الأعمال ترجمة هي النصــوص الأدبية والنصــوص القانونية والنصــوص الدرامية.

ونذكر من بين النصـــوص غير الأدبية التي يتناولها البحث الترجمي نصـــوص النظرية الأدبية. كما نوقشـــت ظاهرة إعادة الترجمة من خلال النصـــوص التي تنتجها مؤســـســـات الاتحاد الأوروبي وقليلا من النصـــوص العلمية. تعتبر الترجمة في الحقول الأدبية ظاهرة إيجابية فهي تقود إلى التنوع وتوســـيع الترجمات المتوفرة للنص الأصـــلي. وفي بعض الحقول مثل الدراما، صـــارت إعادة الترجمة من الأمور المحبّذة بل الحتمية، وأضحى من الطبيعي جدّا ترجمة كلّ تمثيل مسرحي أجنبي.

من جانب آخر، فإنّ إعادة ترجمة النصـــوص العلمية والتقنية) تعتبر بشـــكل عام إعادة مسهبة وتمرين ينبغي تجنبه وما عدا بعض الاستثناءات، فإنّه يجب حضرها.

وعلى النقيض من ذلك، تعتقد إيزابيل كولومبا أنّ "القرن الواحد والعشرين هو عصر إعادة الترجمة" وأنّ الظاهرة لم تنحصـر في المجال الأدبي بل تعدّته إلى فضـاءات أخرى كالتاريخ والفلســـفة وعلم النفس. والملاحظ في دراســـتها أنّ إعادة الترجمة تمسّ الأعمال الكبرى التي ســـجّلها التاريخ الثقافي. والأعمال التي نتناولها في رســـالتنا تندرج ضـــمن الأعمال الكبرى التي أولاها الغرب الأوروبي اهتماما بالغا ولم تأخذ قدرها من الاهتمام في العالم العربي إلاّ في أواخر القرن العشرين (بعد السبعينيات).

ونذكر من بين الأمثلة الأخرى التي تدعم فكرة ترجمة النصـوص غير الأدبية دراسـة ســوزام–ســرابيفا لترجمات نصــوص رولان بارث Roland Barthes (2003، 2006) إلى التركيـة. وكون الترجمـات المتتـاليـة متقـاربـة زمنيّـا (2003 – 2006) يزيح هنـا مفهوم التعاقبية ليعوّضـــــه بمفهوم التزامنية ويدحض في ذات الوقت عامل قدم النص كســـبب

رئيسي لإعادة الترجمة. كما نشير إلى الدراسات حول إعادة ترجمة النصوص الدينية وخاصة التوراة والقرآن وأعمال بالوبوسكي وكوسكينان (2003) حول نصوص متنوعة أنتجت في مؤسسات الاتّحاد الأوروبي، ودراسة بريسيه (2004) وجيانزونغ (2003) لبعض النصوص العلمية.

الفصل الثالث:

قياس القرب، قضايا منهجية

تمهيد

إنّ الميل الشـــامل الذي نســـتخلصـــه من نظرية إعادة الترجمة تدعمه فكرة القرب (proximité) بين نص أصلي معين وترجماته. غير أنّ الدراسات المتوفرة إلى حدّ الآن لم تتوسع في كيفية تحديد هذا القرب وكيفية تناوله منهجيا أي وفق نسق معيّن. ويعود سبب هذا النقص إلى امتداد مجال الدراســـات الترجمية " وهو مجال يميّزه التباين المنهجي وتلاحقه فكرة الوصـول إلى الإجماع على وحدة الموضـوع في الدراسـة" (ماسـن، 2009، ص. 1). لذا ســـنرمي في هذا الفصـــل إلى إيجاد المنهجية الأنســـب لقياس القرب في نصوص مدونتنا بعد أن نعرض لمفهوم القرب كما أوردته بعض الحالات الدراسية السابقة (خاصـــة دراســـة الترجمات المعادة لكتاب Madame Bovary لغوســـتاف فلوبير وكتاب La Mare au diable لجورج ساند في المنظومة الأدبية الإنجليزية).

3.1 تحديد القرب في بعض الحالات الدراسية السابقة

إنّ دراســـــة حالات مختلفة تكفل عددا أوفر من النتائج لتحديد مفهوم القرب. فكلّما كانت المتغيّرات كثيرة، كان التعميم أكبر. وأرغمتنا ندرة الدراســـات الترجمية فيما يخص التنظير لظاهرة إعادة الترجمة انطلاقا من أعمال أدبية عربية، إلى الانتهال من دراســـات إنجليزية لأعمال أدبية فرنســـية ذات شـــهرة عالمية من باب المقارنة، علما أنّ ماهية النصـــوص أدب الرحلة، وهي موضـــوع بحثنا الحالي، تختلف كثيرا عن تلك النصـــوص الروائية الواقعية لمنتصف القرن التاسع عشر.

وبما أنّ دراستنا لن تنحصر في المستوى التركيبي (النحوي) بل سوف تتعداه لتصل إلى ما وراء النص، سيكون تحليل مفهوم القرب من زاويتين مختلفتين: اللسانية والثقافية.

3.1.1 القرب اللساني: نموذج أنطوان برمان

المقصـــود من القرب اللســـاني توســـيع المجال إلى أبعد حدّ من الثنائية اللســـانية السوسـيرية (إزدواجية الدال والمدلول) أو ثنائية الشـكل والمضـمون التقليدية. وعليه، لا بدّ من التوســـع في تحليل مفهوم "القرب" (من النص الأصـــلي) بربطه باســـتراتيجية التغريب المتداولة في الترجمة.

وهذا يحملنا إلى طرح ثنائية الترجمة المتمركزة عرقيا / الترجمة اللامتمركزة عرقيا (برمان، 1984) وثنائية التجنيس والتغريب (فينوتشـــي، 1995) بهدف تحليل القرب اللساني. في نموذجه، يعرّف برمان الترجمة المتمركزة عرقيا كاستراتيجية " تنفي بالضرورة غرابة العمل الأدبي الأجنبي" (1984، ص. 17) أي كل ما هو آخر في النص الأصلي. وهذه الفكرة مستوحاة من أعمال شلايرماخر الذي يلخص إشكالية الترجمة في منهجين لا ثالث لهما:

> إمّـا أن تقرّب العمـل من القـارئ بتجنيســـه فتلغي خصوصيته أو أن تقرّب القارئ من العمل الأدبي بتغريبه. في الحالة الأولى، أي عند التجنيس، يترك المترجم القارئ لشـــأنه وتكون اســـتراتجيته متمركزة عرقيا[18] وفي الحالة الثانية، أي عند التغريب، يترك المترجم الكاتب لشـــأنه وتكون استراتجيته لا متمركزة عرقيا. (1963، ص. 47)

في كتابه "*La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain*»[19] ، أورد أنطوان برمان نظرة تأملية جديدة لماهية الترجمة ينتقد فيها نظرة الغرب السائدة للترجمة التي يخضع لها المترجم والمنظّر معا. ففي هذه الصـــورة تتخذّ الترجمة ثلاثة ملامح: فعلى المســـتوى الثقافي، تعتبر ذات نزعة مركزية، وعلى المســتوى الثقافي تعتبر تحويلية وعلى المســتوى الفلســـفي هي أفلاطونية. ويعتقد برمان أنّ هاته الماهية للترجمة تحيط بماهية أعمق هي في ذات الوقت أخلاقية وشـــعرية وتأملية. ولبلوغ هذا البعد الأخلاقي، يتعين القيام بهدم[20] (destruction) تقليد الترجمة القائم على النزعة المركزية العرقية وعلى خاصيتها التحويلية. ويضـــيف أنّ هذا الهدم ســيكون شـــبيها بالهدم الهايدغري. وكي لا يكون هذا الهدم مجرد عملية أيديولوجية أو نظرية يتعيّن أن يكون مسبوقا بتحليل ما يجب هدمه.

---

[18] يقصد بها الترجمة المفرنسة.

[19] ترجمه عز الدين الخطابي بعنوان: الترجمة والحرف أو مقام البُعد، 2010.

[20] مصطلح استعاره برمان من هايدغر.

ومنه استخلص برمان تحليلا سلبيا يتكوّن من "ثلاثة عشر ميلا مشوّها" للنص الأصلي بفعل الترجمة (2000، ص. 288) أو (1999، ص. 52). وسنعرض فيما يلي مجموع هذه الميول كما جاء ترتيبها في طيات هذا الكتاب المرجعي في الدراسات الترجمية الأسلوبية:

1- **العقلنة:** هذا الإجراء يقع في المقام الأول على " التراكيب النحوية للنص الأصلي والعلامات الفارقة" (1999، ص. 53). هذا المساس بالعلامات الفارقة وبتركيب الجمل ينجم عنه تغيير في ترتيب الجمل وتنظيمها. باختصار، فإن العقلنة تنتقل بالنص من طابع ملموس إلى طابع تجريدي ويتجسد ذلك خاصة عبر ترجمة الأفعال بالأسماء والتكرار والتكثيف من الجمل التابعية الموصولة وأسماء الفعل والمفعول والجمل الاعتراضية والجمل الطويلة والجمل الاسمية...".

2- **الإيضاح:** وهو في علاقة مباشرة مع العقلنة غير أنّ الأمر هنا يتعلق أكثر "بمستوى الوضوح المحسوس للكلمات أو معناها" (1999، ص. 54). فمن سلبيات الترجمة "إيضاح ما هو غير واضح ولا يريد أن يكون واضحا في النص الأصلي (1999، ص. 55). وهذا الميول يحيلنا إلى ميول ثالث ألا وهو "التمديد".

3- **التمديد:** يعني به أن تأتي الترجمة أطول نسبيا من الأصل والسبب في ذلك غالبا ما يعود إلى التوضيح وإلى إدراج شروحات لا هدف لها سوى الإخلال بإيقاع النص ونسقه. ويكون "تجنيس" أو توطين اللغة الأصلية المترتب عن ذلك عائقا في "تلقّي الغريب كغريب" (المرجع نفسه، ص.285). وعلى عكس ذلك، يكشف التحليل الإيجابي عن استراتيجية ترجمية يسمّيها برمان "الحرفية". يعني الحرفي هنا المتصل بالحرف (2000، ص. 297).

4- **التفخيم أو التنميق:** يشكل قمة التعبير عن الترجمة الأفلاطونية التي تحدد صيغتها المكتملة في الترجمة الكلاسيكية. وتحسين الأسلوب يكون مثلا باستعمال لغة أكثر فصاحة وبلاغة من لغة النص الأجنبي، الشيء الذي ينتج عنه اضمحلال جمالية الخطاب الشفوي واختزال التعدد اللغوي، يضاف إلى ذلك أن هذا الإجراء غالبا ما يؤدي إلى تلاشي الخطاب العامي في الرواية لصالح معايير الكتابة الكلاسيكية.

5- **الإفقار الكيفي:** يحيل على تعويض كلمات وعبارات وصـــياغات الأصـــل بكلمات وعبارات وصـــياغات لا تتوفر على غناها الصـــوتي ولا على غناها الدلالي أو الأيقوني. والمقصود هنا بالأيقوني هو التوافق والانسجام بين شكل الكلمات ومعناها.

6- **الإفقار الكمي:** يحيل على النقصـــان المعجمي. ويعني اختزال التنوع اللغوي والتعدد المفرداتي الموجود في النص الأصـــلي، كأن يكتفي المترجم بتوظيف كلمة واحدة مقابل عدّة كلمات وظفت في النص الأصـــلي للتعبير عن دلالة واحدة لكن بفروقات مقصودة من صاحب النص.

7- **المجانسة:** تتمثل في توحيد نسيج الأصل على كل المستويات، علما أن هذا النسيج متنوع في الأصل.

8- **هدم الإيقاع:** يتمثل خاصة في كسر الإيقاعية النصية التي ينفرد بها كل عمل إبداعي شـــعرا كان أم نثرا، كأن يحدث المترجم تغييرا في الإيقاع الذي تنتجه علامات الوقف أو يأتي بتحسين وتكسير الإيقاع العام للنص بتجزئة الجمل وإعطائها نسيجا جديدا مغايرا للأصل.

9- **هدم شبكات الدلالة التحتية:** يتضمن كل عمل أدبي نصا "ضمنيا" تنتشر فيه بعض الدوال الرئيسية وتتسلسل وتشكل شبكات تحت "سطح" النص الظاهر المعروض للقراءة. فالنص السفلي (sous-texte) هو الذي يشكل أحد الوجوه الإيقاعية لدلالة عمل ما. وهدم العلاقة التناصية أو إعادة توجيهها من سلبيات الترجمة التحويلية.

10- **هدم النُســـق اللغوية:** يشـــكل اســـتعمال الزمن أو اللجوء إلى هذه التابعة (subordonnée) أو تلك والتضـمين إحدى النسـق الموجودة في عمل أصـلي. لكن العقلنة والتوضـــيح والتمديد في الترجمة قد تعمل على تهديم تلك النســـق. ويترتب عن هذا الميل الشامل لعدّة ميول تشويهية في الواقع، تجنيسا أو توطينا للنص الأصلي.

11- **هدم أو تغريب الشـبكات اللغوية المحلية:** يتمثل هذا الإجراء في محو الترجمة لعناصـــر اللغة المحلية المتعددة التي تتميز بها اللغة النثرية. حيث يتم تغيير دلالة النص الأصـــلي من ســـياقه العامي إلى ســـياق فصـــيح أو تغريبه باقتراح بدائل عامية في لغة الوصول، ذلك أنّ استعمال هذه البدائل يعدّ في نظر أنطوان برمان، تغييرا لا طائل منه.

12- **هدم التعابير الاصطلاحية:** كثيرا ما يلجأ النثر إلى الرواسم (clichés) والصيغ والأمثال الشـــعبية التي تغترف من اللغات المحلية (vernaculaires). وإنّ تعويض هذه العبارات الاصـــطلاحية الثقافية (idiotisme) بعبارات مرادفة في اللغة المتلقية ما هو إلاّ تجسيد للنزعة المتمركزة عرقيا، الأمر الذي يرفضه برمان، لأنه يرى فيه تعديا على النص الأجنبي وتوطينا جديدا للنص يحيل القارئ لثقافته المحلية وفي هذا تنكر صريح للمرجعية الثقافية للنص الأصلي.

13- **محو التراكبات اللغوية:** يقصـــد بها برمان محو الترجمة للتراكبات اللغوية الموجودة خاصـــة في الأعمال الروائية والتي تتمثل في تعايش اللهجات مع "اللغة المثقفة" أو حتى تعايش عدة لغات مثقفة داخل عمل روائي معيّن.

وعليه، تكون الترجمات المختلفة أو إعادة الترجمة ســـبيلا لإظهار غيرية النص الأصلي حين يسمح بنفاذ علامات اللغة الأصل وبقائها مرئية، لا من أجل ترجمة المعنى فحسب، بل لتكون حضورا يحدث تغييرا في نظام اللغة المستهدفة. لكننا نلاحظ أن هذه التحاليل التعليماتية وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بأخلاقيات برمان الشـخصـية للترجمة تجعل من الترجمة المتمركزة عرقيا مرادفا "للترجمة الأفلاطونية" (1984، ص. 17). وهذا الطرح المعياري من شأنه أن يزيح الفكرة التقليدية للأمانة والخيانة في الترجمة ليستبدلها بمفهومي التوطين naturalisation والتغريب exotisation. لكن، إلى أي حدّ يمكننا الحكم على ترجمة ما بالرداءة أو الجودة على أســـاس درجة التوطين أو التغريب فيها؟ يؤول بنا هذا الأمر إلى توسيع الطرح البرماني-باعتباره إجراءا أسلوبيا بالدرجة الأولى وتصـنيفا تقييديّا اختزاليّا غير كاف لتقييم الترجمات-إلى الطرح الثقافي الذي يسمح بمعرفة خلفيات المشاريع الترجمية والأيديولوجيات المحرّكة لها.

3.1.2 القرب الثقافي: العوامل السوسيو–ثقافية المتحكّمة في إعادة الترجمة

من بين أهداف أطروحتنا الحالية، تعدّي حدود المنطق النصّـــي الذي تبنى عليه فرضـــية إعادة الترجمة لمعرفة الدوافع الخارجية لظاهرة إعادة الترجمة. ولهذا اعتمدنا في هذا الفصل منهجية تسمح لنا أوّلا بمعرفة كيفية تأثير السياق السوسيو–ثقافي للترجمات المتتالية على المترجم في اتخاذ القرار، واختيار أســلوب الترجمة والشــكل المادي للنص؛ وثانيا تحديد طبيعة ومدى تعالق الترجمات ببعضها البعض. سنسعى في مرحلة أولى إلى تحليل المادة المناصية وفقا لتعريف جيرار جينيت.

لقد أصبح تحليل الأدوات اللفظية والبصرية المحيطة بالترجمات المنشورة والعارضة لها مندمجا بشكل متزايد ضمن الأبحاث التطبيقية المتعلقة بالنصوص المترجمة. يشار إلى هذه الأدوات التي توجد على عتبات الترجمات بمصـــطلح "المناص"Paratexte، وهو مصطلح وضع بادئ الأمر ليشمل عناصر عرض الأعمال الأدبية بما في ذلك الترجمات على ســـبيل الذكر لا الحصـــر. تتضـــمن الأمثلة التقليدية للمناص العناوين، والعناوين الفرعية، والأســـماء المســـتعارة، والمقدمات، والإهداءات، والتصـــديرات، والاســـتهلالات، والعناوين الداخلية، والهوامش والحواشي والخاتمات (ماكسي، 1997، ص. xviii)، وكلها تشكل أدوات وقواعد، ضمن الكتاب وخارجه، وتلعب دور وسيط بين العمل والقارئ. كان جينيت أوّل من وضع مصطلح "المناص" في كتابه *Seuils*[21] (1987)، وسرعان ما جذب هذا المصـطلح انتباه الباحثين في مجال الترجمة ممّن يرغبون في التركيز على العناصـر التي تمدّ الجسور بين النصوص المترجمة وقرّائها، وبالتالي تؤثّر على استقبالهم لها بشكل رئيسٍ.

3.1.2.1 أهمية تحليل المناص في الدراسات الترجمية

عادة، يقوم البحث في الترجمة بتحليل الأدوات النصـــيّة، أي الترجمات والتحليل المقارن للنص الأصـــل والنص الهدف. أمّا دراســـة الأدوات الخارجة عن النص، أي

---

[21] ترجمه إلى العربية عبد الحق بلعابد تحت عنوان "عتبات" (2007) وترجمته إلى اللغة الأنجليزية Jane E.Lewin تحت عنوان : (1997) Thresholds of Interpretation Paratexts:

المناصـــات، فما هي إلاّ تكملة لهذا الإطار، إذ تســـاهم في الكشـــف عن كيفية عرض الترجمـات على قرّائهـا، وهي التي تقوم بـدورهـا بتوفير معلومـات للبـاحثين حول القواعـد والمفاهيم وما ينتظره المجتمع من النصـوص المترجمة. وبالرغم من أن العناصـر الخارجة عن النص غالبا ما تكون جزءا لا يتجزأ من النصـــوص المترجمة (العناوين، العناوين الفرعية، ملاحظات المترجم، الرسوم والصور والخرائط، المسارد...)، إلا أنّه قد يكون لها وجودٌ مستقلٌ لانفصالها الفعلي عن النص المترجم، ورجحان أكثر في الوصول إلى القارئ قبل الترجمة نفسها (المقابلات الصحفية الترويجية حول الكتاب، المقالات، الإشهار...). وتقدم الأولى، أي النصـــوص المحيطـة والفوقيـة المرافقـة للترجمـات، قـدرا كبيرا من المعلومات، بما في ذلك التلميحات بخصـــوص رؤية القارئ لتأثير المترجم في النص، والقراء المســتهدفين، والغاية من وراء الترجمة أو مفهوم الترجمة الذي تفضــله ثقافة معينة أو ناشـــر معين أو هما معا، كما هو منعكس في النحو الذي يعرض عليه النص في صفحة العنوان.

3.1.2.2 المناص عند جيرار جينيت

مصطلح بادر به جيرار جينيت سنة 1987 في كتابه "Seuils" (عتبات) الذي ختم به أعماله السابقة (Figures I, II, III ; l'Architexte ; Palimpsestes) (الصوّر ا ، اا، ااا ؛ النص الجامع؛ أطراس). ومصطلح المناص "ما زال يشهد حركية تداولية وتواصلية في المؤسسة النقدية العالمية للعلاقة التي ينسجها بما يحيط بالنص وما يدور بفلكه من نصوص مصاحبة وموازية وبفاعلية جمهوره المتلقي له" (كما ورد في بلعابد، 2008، ص. 26). وبما أنّنا نتناول في رسالتنا الحالية النص–الكتاب، ونظرا للفضاء الكبير الذي يشغله المناص في الترجمات المعادة محلّ البحث، فشعرية المناص، كما خاض فيها مشروع جيرار جينيت، توفّر لنا الأدوات المنهجية التطبيقية اللازمة لتوسيع مجال التحليل.

منذ منتصـــف القرن الماضـــي، بدأ اهتمام جيرار جينيت، أحد أقطاب الشـــعريات المعاصـــرة، بالمناص وكانت الانطلاقة في 1966 من الشـــعرية في الصـــور الثلاث (Figures I, II, III) التي وسع فيها مجال البحث "البلاغي التقليدي" ليشمل طرائق الخطاب وخاصة كيفية تشكل الحكي وهو من بين أهم مواضيع السرديات الحديثة. ثمّ وسّع مفهوم

الشـعرية في كتابه أطراس ليكشـف عن المتعاليات النصـية، أي كل ما يجعل من النص يدخل في علاقة ظاهرة أو مضـمرة مع نصـوص أخرى ..." (Palimpsestes, 1982: 7-8). وصـنّف هذه العلاقات في خمسـة أنماط: التناص، المناص، الميتانص، النص اللاحق، النص الجامع[22]. وتوسع مجال الشعريات عند جينات شيئا فشيئا حيث خصّص لموضوع المناص[23] (paratexte) كتابا كاملا عنونه *Seuils* صـدر في 1987. ورأينا أنّ لهذا المصـطلح أهمية في المجال التطبيقي خاصـة على النصـوص المترجمة، لما يبرزه من علاقات مباشـرة أو غير مباشـرة بين "جسـد" النص وما يحوم من حوله من نصـوص مصاحبة وموازية. وهنا لا بدّ من توسيع مجال التحليل من النص إلى الكتاب كمنتوج تسند إليه وظيفة تداولية وتواصـلية. وبهذا أحدث ج.جينيت نقلة من درسـه لشـعرية النص إلى درسـه لشـعرية المناص المتجلي من خلال الكتاب الموجه لجمهور القراء، وهذا يدخل ضـمن اختصـاص سـوسـيولوجيا الأدب عامة وسـوسـيولوجيا الكتاب والقراءة على وجه الخصوص (بول دركس، كما ورد في بلعابد، 2007، ص. 44).

فنحن نقول مع "جيرار جينيت" أنّ النص/ الكتاب قلّما يظهر عاريا من مصـاحبات لفظية أو أيقونية تساهم في إنتاج معناه ودلالته، كاسم الكتاب والعناوين، والإهداء والتقديم، ملاحظات المترجم، الرسـوم... " (1987، ص.7). وهنا نفتح قوسـين لنلاحظ أنّ كلّ العناصـر المادية التي يشـملها المناص حسـب تصـنيف "جينيت" تكون مفصـولة عن متن النص، ونتسـاءل عن كيفية تصـنيف ملاحظات المترجم المتسـربة داخل جسد النص، كما هو الحال بالنسبة لترجمة سنجناتي ودفريميري لرحلة ابن بطوطة.

---

22) لتفاصيل أكثر عن هذا الجهاز المفاهيمي المتعقد نوعا ما، لا بدّ من الرجوع إلى كلّ أعمال ج. جينيت ومشروعه الكامل خاصة "مدخل إلى النص الجامع" (1979) و"أطراس" (1982) و"عتبات" (1985).

23) انتشرت الكتابات حول المناص بعد كتاب "عتبات" حيث خصصت له مجلة الشعريات *Poétique* عددا خاصّا (العدد 69، 1987). وإلى جانب هذا نجد كتاب فليب لان " *La périphérie du texte*" الصادر في 1992 الذي ركز فيه على مناص الناشر وكتاب عبد الحق رقام "*Les marges du texte* " الصادر في 1998 وكتابات أخرى معظمها بالإنجليزية إلى غاية 2013.

3.1.2.3 تعريف مصطلح المناص

في كتاب "عتبات"، يركّز ج. جينيت على التركيب اللغوي لمصـــطلح المناص الذي جُعل من مقطعين :para/texte

أمّا مقطع "para" فنجده في اليونانية واللاتينية صفة حاملة لعدّة معان: "معنى الشبيه والمماثل والمساوي (كمّا وقيمة) ومعنى الظهور والوضوح والمشاكلة والمجانسة والملاءمة، ومعنى الزوج والقرين، والوزن بين مقدارين والعدل والمساواة بين شخصين، ومعنى تحاذي الجمل لبعضـــها البعض" (جينيت، كما ورد في بلعابد، 2008، ص ص. 41 – 42). لاحظ "جينيت" أنّ كلّ هذه الدلالات التي تحملها الســـابقة "para" قد تلتبس على القارئ المختص، فراح يبحث عن معناها في لغات أخرى فوقع على تعريف مُرض بالإنجليزية لـــهيليس ميلر (Miller J.Hillis): تعدّ "para" سابقة ضدية نقصد بها القرب (المجاورة)، والبعد في آن واحد، الائتلاف والاختلاف، الداخلي والخارجي... (جينيت، 1987، ص. 7).

وأمّا مقطع "texte" فقد كثرت تعريفاته. فهو يرجع في أصـــله اللاتيني إلى كلمة "textus" أي النســيج والثوب، وتســلســل الأفكار وتوالي الكلمات. وهو يحمل في العربية معنى البروز والظهور، وغاية الشيء ومنتهاه.

ويضـــيف عبد الحق بلعابد (2005) في مقال عنونه "قصـــد رفع قلق المصـــطلح النقدي، مصطلح paratexte"، أنّ ترجمة هذا المصطلح قد عرفت تبلبلا عند النقاد العرب، فمنهم من ترجمه بالنص الموازي (محمد بنيس) والتوازي النصـي (مختار حسـني) وموازي النص (محمد الهادي المطوي) والنص المحاذي (عبد العزيز شـــبيل) والنص المؤطر (جليلة طريطر) والنص المصـــاحب...إلخ. لكننا اخترنا في إطار هذه الأطروحة كلمة "المناص" المستحدثة، لما يحمله هذا المقابل المصطلحي من فائدة إجرائية وطاقة اشتقاقية تبقينا في دائرة "النص".

3.1.2.4 تداولية المصطلح

يذكر عبد الحق بالعابد باحثين آخرين قد اشـــتغلوا على هذا المصـــطلح قبل ج. جينيت وهم:

* كلود دوشـي" الذي يعرف المناص كمنطقة مترددة [...] أين تجمع مجموعتين من السنن: سنن اجتماعية في مظهرها الإشهاري وسنن منتجة أو منظمة للنص؛

* جاك ديريدا الذي يســتعمل مصــطلح " خارج الكتاب" (Hors Livre) ويحدّد بدقّة الاسـتهلالات والمقدمات والتمهيدات والديباجات والافتتاحيات محللا دورها التقديمي للنص لجعله مرئيا قبل أن يكون مقروءا؛

* فيليب لوجون (Philipe Lejeune) الذي اهتم بدراســة ما أســماهم بحواشــي أو أهداب النص : اســم الكاتب، العنوان، العنوان الفرعي، اســم الســلســلة، اســم الناشــر، الاستهلال؛

* ميشال مارتن بالتار(Michel Martin-Baltar) الذي اشتغل على المناص تنظيرا وتطبيقا وهو يتحدث عن "ذلك الفضـــاء الحرّ الذي تتخذه النصـــوص بأنواعها على تلك الدعامة وهي المناص، كونه مجموع تلك النصوص التي تحيط بالنص أو جزء منه، تكون مفصولة عنه، مثل عنوان الكتاب وعناوين الفصول ... (2008، ص ص. 29-30).

أمّا ج. جينيت فيعرّف المناص على هذا النحو:

> Le paratexte est donc pour nous ce par quoi un texte se fait livre et se propose comme tel à ses lecteurs, et plus généralement au public. Plus que d'une limite ou d'une frontière, il s'agit ici d'un seuil ou selon Borges, d'un « vestibule » qui offre à tout un chacun la possibilité d'entrer ou de rebrousser chemin ». (1987, p.7)

> كلّ ما يجعل من النص كتابا يقترح نفســـه على قرّائه وبصــفة عامة على جمهوره، فهو أكثر من جدار ذي حدود متماســكة، نقصــد به هنا تلك العتبة، أو بتعبير بورخيس،

ذلك البهو الذي يتيح لكلّ منّا الاختيار، فإمّا أن نتعدّى العتبة أو أن نعود أدراجنا (ترجمتنا).

ويرى جينيت أنه يمكن تحديد المناص مكانيا (لمعرفة مكان تموضعه) أو زمانيا (لمعرفة زمن ظهوره أو اختفائه) أو ماديا (لمعرفة ماهيته) أو تداوليا (لمعرفة المرسل والمرسل اليه) أو وظيفيا (لمعرفة الهدف منه). فمن حيث مكان تموضعه، يمكن للمناص أن يكون داخل فلك النص (النص المحيط) أو خارجه (النص الفوقي)، وينشر عبر وسائل الإعلام أو الاتصالات الخاصة كالاستجوابات والمراسلات (1997، ص. 5).

3.1.2.5 المناص بعد جيرار جينيت

على الرغم من سوء تحديد جينيت لوضعية الترجمة[24] في أبحاثه، فإن التركيز المتزايد على المسائل الثقافية والإيديولوجية في البحوث الترجمية، قد جعل من العناصر المناصية المحيطة بالترجمات أمرًا ضروريًّا من الناحية المنهجية. وفي حين أن العديد من المترجمين يفضلون تبني مفاهيم ومصطلحات جينيت بوضوح، ركز البعض الآخر على العناصر التمثيلية المحيطة بالنصوص المترجمة بدون إشارة واضحة إلى مفهوم المناص، وكمثال على ذلك هارفي (2003)، الذي اختار استعمال مصطلح "الربط" لمعالجة نفس الظاهرة تقريبا.

ومن أوائل الدراسات التي تربط بين الترجمة ومناصها، كتاب فيليب لان "*La périphérie du texte*"، الصادر في 1992 والذي أخذ منحا تطبيقيا للمناص ركّز فيه على المناص النشري الذي لم يتعمق فيه جينيت كثيرا. ونذكر أيضا، مقالة كوفالا اربو الذي حلل الوساطة المناصية وكيف أنها بمثابة انغلاق إيديولوجي (1996). وصنف كوفالا المناصات اعتمادًا على مجموعة من الأعمال الخيالية الأنجلو–أمريكية مترجمة إلى الفلندية. وقال إنه يمكن لها أن تنتمي إلى أربعة أصناف منفصلة هي: المناص "البسيط" الذي يقدم المعلومات الأساسية فقط بما في ذلك اسم الكاتب والعنوان. والمناص التجاري

[24] لم يتطرّق جينيت في كتابه إلى مسألة الترجمة، كما أنه يعتقد أنّ الترجمة مجرّد تعليق على النص الأصلي، وهذا يحصر من نطاق الدراسات الترجمية التي أصبحت تولي اهتماما متزايدا لدور الترجمات في معرفة الثقافة المتلقية بمعاييرها اللغوية والأدبية والسياق التاريخي والاجتماعي والإديولوجي الذي يتحكّم في إنتاج الترجمات.

الذي يروّج كتبا أخرى لنفس الناشـــر. والمناص الإخباري الذي يصـــف ســـياق العمل ويصيغه. والمناص التوضيحي الذي يلفت الانتباه للصور الإيضاحية داخل النص وحوله (كوفالا، 1996، ص. 127). ومن الواضـــح أن هذه الأصـــناف تعتمد على الســـياق التاريخي، بحيث يمكن لثقافات وعصور جديدة أن تأتي بأصناف جديدة. وهناك كتاب عبد الحق رقام "*Les marges du texte*" (1998)، الذي درس فيه حواشـــي النص من عناوين رئيسية وفرعية، واستهلالت وبدايات... (كما ورد في بلعابد، 2008، ص. 35).

شـهد مطلع القرن الواحد والعشرين تزايدا في الاهتمام بقضـايا الترجمة. حيث تطرقت شـــهناز طاهر غور تشـــغلا (2002، ص ص. 44-60) إلى الصـــلة المنهجية للمناص بالنســـبة للبحث الترجمي التاريخي، وأضـــافت أنه يمكن له أن يقدم معلومات قيمة حول الترجمات، بالخصـــوص في مجال الأدب الشـــعبي الذي تنذر فيه التصـــريحات الفوقية للمترجمين وتنظيراتهم الانعكاســـية الذاتية. كما تؤكد اعتمادها على مجموعة من الكتابات الكلاسيكية والخيالية المترجمة إلى اللغة التركية ـــ على أن المناص يساعد بشكل خاص على كشف أنماط الإنتاج والاستقبال للمترجمين، وهي التي تمكن من طرح إشكاليات حول بعض المفاهيم مثل التأليف، الإبداع واستعارة الاسم، وبالكاد يمكن تحديدها في الترجمات ذاتها. وأظهرت العديد من دراســـات الحالات الطريقة التي تعارض فيها المعطيات المناصـــية أو تكمل المســـائل المتعلقة بالترجمة التي تكمن في النصـــوص الهدف في حد ذاتها. وهناك أمثلة قليلة تتضـــمن ما قام به واتس (2000)، الذي درس المناص باعتباره أداة للترجمة الثقافية في الطبعات المختلفة لكتاب" دفتر عن عودة إلى الديار (Cahier d'un retour au pays natal)، وتورس (2002) الذي درس وضـع النص الأصـلي من خلال البحث عن مؤشـرات الترجمة ضـمن مناصـات بعض الأعمال الأدبية البرازيلية المترجمة إلى الفرنسية، أو أسيماكولاس (2006) الذي بين كيف أن المناصـات كانت بمثابة أجزاء من اسـتراتيجية تحد ومقاومة سـياسـية في سـياق ترجمات أعمال بريخت إلى اليونانية في عهد الحكم العسكري.

هذا وقد أصـــبحت الحاجة إلى إدماج المعطيات المناصـــية المتوفرة داخل البحث الترجمي، أمرًا معترفًا به على نطاق واســـع. ومع ذلك، يجب مراعاة الحذر بالنســـبة

للدراســات التي تركز كلّيا على مناصــات الترجمات وليس على الترجمات ذاتها. وتظهر نتائج مثل هذه الدراسات، الخواص الوسائطية للمناص وتبين كيفية عرض الترجمات ليس إلا. ويمكن لفحص المناصــات كالعناوين والاســتهلالات أو الهوامش والحواشــي التي يضيفها المترجمون تزويد الباحث بمعلومات متعلقة باستراتيجيات الترجمة ومفهوم الترجمة العملية في عمل معين، ولكنها لا يمكن أن تعوض تحليل الترجمة النصية. وهذا يعني أن تحليل المناص مناسب أكثر ليكون بمثابة أداة مكملة لكشف قواعد الترجمات الفعلية التي يسـجلها المترجمون. تشـكل الوكالة جانبا إشـكاليا آخرا للدراسـات المرتكزة على المناص بحيث يمكن أن يكشــف عن عدة أنواع من الوكلاء المشــاركين في العمل الذي تتوقف على طبيعته. وفي حين أنه يمكن النظر إلى الهوامش والحواشي التي يضيفها المترجمون أو الاســتهلالات والخواتم على أنها مؤشــرات قوية على وكالة المترجم، والتوضــيحات، والأغلفة والدعايات والنصــوص الفوقية التي تبعد عن النص المترجم، فهي غالبا ما يهمل المترجمون مراقبتها، ويضعها الوكلاء كالناشر والمحرر، إما بطريقة حصرية أو بمشاركة المترجم. وبالتالي، فإن إســناد هذه الأنواع من المناصــات يمكن أن يكون مضــللا فيما يتعلق بتعيين حدود وكالة المترجم ضمن سياق معين.

3.1.2.6 أنواع المناص

إذا كان ج. جينيت قد وضــع تقسـيما عاما للمناص حدّد فيه أنواعه (1987، ص. 11)، فقد أكّد فيليب لان في كتابه " La périphérie du texte " (أهداب النص) على ضرورة التدقيق أكثر في ذلك التقسيم وإزالة الغموض الذي يعتريه (1992، ص ص. 17–18). وبعد قراءة متأنية لما أضــافه فيليب لان، يقترح بلعابد (2007، ص. 52) تقســيم أنواع المناص على النحو التالي:

- **المناص النشري / الافتتاحي**

ويضـم كل الإنتاجات المناصـية التي تقع تحت مسؤولية الناشـر " الغلاف، التجليد، كلمة الناشــــر، الإشــــهار..." (لان، 1992، كما ورد في بلعابد، 2008، ص. 45)، ويضيف بلعابد أنّ المسؤولية قد تتوسع لتشمل كذلك متعاوني الناشر (كتّاب دار النشر، مدراء السلاسل، الملحقين الصحفيين على وجه التحديد، ...).

- **المناص التأليفي (paratexte auctorial)**

يتمثل في تلك المصاحبات الخطابية التي تعود مسؤوليتها بالأساس للكاتب/ المؤلف وتضم: اسم الكاتب، عنوان الكتاب، الإهداء، الاستهلال مثلا وهي موجودة في فضاء الكتاب، والعناوين الفرعية للفصول وبعض الملاحظات التي تكون أحيانا مدرجة في فتحات النص ذاته (جينيت، 1987، ص. 11).

وما نلاحظه من هذه الدراسات قلّة الإشارة إلى المناص التأليفي الترجمي (مناص المترجم)، ولا شكّ في أنّ ذلك يعود إلى اعتبار المترجم كاتبا / مؤلفا من الدرجة الثانية. غير أنّ دراستنا الحالية لظاهرة إعادة الترجمة ستثبت لا ريب تداخل وتشويش الحدود بين الأصلي والفرعي نصّا وتأليفا. فماذا لو كان الأصل معتمدا على الترجمة، كما هو الحال في ترجمة وصف إفريقيا مثلا التي اعتمد فيها المترجمان محمد حجّي ومحمد الأخضر على الترجمة الفرنسية الجديدة لإيبولار لاسترداد النص الأصلي العربي الضائع لصاحبه جان ليون الإفريقي؟ وماذا لو كانت هوية الأصل غير مستقرة وتتغير بتغير الترجمة؟ وهذه الأسئلة تبيّن أنّه يصعب التفريق في حالة إعادة الترجمة ومن خلال الترجمات المعادة بين النص "الأصلي" والنص "المنقول عنه"، وأنه يجب إضافة المناص الترجمي إلى أنواع المناص المعروفة لما يحتويه من فروقات وتحولات من ترجمة أولى إلى ترجمات جديدة لا متناهية. فالكتاب "الأصل" له مناصه الخاص والكتاب المترجم له يأخذ مناصا مغايرا مستقلا يتضمن هو الآخر كلّ العناصر المناصية من اسم الكاتب / المترجم، العنوان، الصورة، المقدمة، الإهداء، دار النشر... بل أكثر من ذلك، يوجد في الكتاب المترجم ما لا يوجد في النص الأصلي من عناصر مناصية خاصة بالفعل الترجمي مثل ملاحظات المترجم والمسارد المزدوجة اللغة ومصاحبات النص الأيقونية التي تبرز الوظيفة السيميائية للصور.

3.1.2.7أقسام المناص

وهي أقسام ثانوية متفرعة عن المناص النشري والمناص التأليفي تساعد على فهم النص وتأويله:

1- النص المحيط (Péritexte)

يقع هذا العنصـــر المناصـــي حول النص، في فضـــاء الكتاب ذاته، كالعنوان أو الاســـتهلال، وقد يكون أحيانا مدرجا في تجاويف أو فتحات النص، كالعناوين الفرعية (عناوين الفصول) أو بعض الملاحظات . يرى جيرار جينيت أنّ هذا الصنف المكاني هو أكثر الأصناف تميّزا وقد خصّص له أحد عشر فصلا في كتابه عتبات.

- **النص المحيط النشري (Péritexte éditorial)**

ويندرج ضـمنه كلّ من: الغلاف، التجليد، كلمة الناشـر، السـلسـلة... وسـنرى في تطبيقنا لهذه التنميطية أنّ هناك عناصـر مناصـية أخرى تميّز بها نشـر الكتاب في القرون الوسـطى ولم تعد توظّف في أيامنا ولم يأت ذكرها في الدراسـات التي اعتمدناها كأسـاس في دراستنا التحليلية.

- **النص المحيط التأليفي (Péritexte auctorial)**

ويندرج ضـــمنه كلّ من: اســـم الكاتب، العنوان، العنوان الفرعي، العناوين الداخلية، الاستهلال، التصدير، التمهيد وغيرها من العناصر المناصية. ولتلخيص عناصر / أقسام المناص المحيط، على أسـاس ما أورده "ج. جينيت" و"فيليب لان" من بعده، وضـع بلعابد (2007، ص. 55) الجدول التالي:

النص المحيط التأليفي	النص المحيط النشري
- اسم الكاتب - العنوان (الرئيسي، الفرعي، الداخلي) - الإهداء، التصـــدير، الملاحظات، الحواشـــي، الهوامش، المؤشر الجنسي	- الغلاف (صورة الغلاف) - التجليد - كلمة الناشر - الصفحة الرابعة للغلاف

2-النص الفوقي (Epitexte)

ويقصد به كل الخطابات المتعلقة بالكتاب ولكنها تقع خارجه:

> Autour du texte encore, mais à distance plus respectueuse (ou plus prudente), tous les messages qui se situent, au moins à l'origine, à l'extérieur du livre : généralement sur un support médiatique (interviews, entretiens), ou sous le couvert d'une communication privée (correspondances, journaux intimes, et autres). C'est cette deuxième catégorie que je baptise, faute de mieux, épitexte. (1987, p.11)

كما توجد حول النص، لكن على مسافة أكثر احتراما (أو أكثر حذرا)، كلّ الرسالات الواقعة، على الأقلّ في الطبعة الأصلية، خارج الكتاب: عموما على دعامة إعلامية (لقاءات، استجوابات)، أو في شكل تواصل شخصي (مراسلات، دفاتر حميمية وغيرها). وهذا هو الصنف الثاني الذي سأسميه " épitexte "، لعدم وجود مفردة أفضل... (ترجمتنا)

هنا يميّز ج. جينيت بين المناص الأصلي الذي يصاحب الكتاب في طبعته الأولى والمناصات اللاحقة التي قد تاتي بضعة أشهر بعد صدور الطبعة الأولى والمناصات المتأخرة (بعد عقود من الزمن).

أمّا من حيث التحديد الزمني الذي يهمّ دراستنا، سنرى في تحليل المدونات أنّ النصوص الفوقية المصاحبة للترجمات المعادة كلّها صدرت بعد وفاة المؤلفين الأصليين

بقرون، وهذه حالة خاصة ومتميزة تقترب بعض الشيئ ممّا أطلق عليه جينيت مناصات ما بعد الوفاة (1987، ص. 12).

يضيف جينيت من جهة أخرى أنّ النمذجة التي يقترحها ليست وافية كما أنها ليست ثابتة عبر الأزمنة: فمناهج ووسائط المناص تتغير باستمرار بتغير الحقب الزمانية والثقافات والأصناف الأدبية والكتّاب والطبعات المختلفة للعمل الواحد. ويبدو من البديهي أنّ عصرنا ينتج خطابا حول النصوص، لم يكن معروفا في العالم الكلاسيكي، فما بالك بالعصور القديمة والعصور الوسطى التي كانت تتنقل النصوص فيها في شكل يكاد يكون خاما؛ أي في شكل مخطوطات خالية من أيّ تقديم. أقول "يكاد يكون" لأنّ مجرّد الكتابة– وكذلك النقل الشفاهي–يزوّد التجريد النصي (الجانب الفكري) بشيء من التجسيد عبر الحرف والصوت، قد يكون له آثارا مناصية (1987، ص. 9). ومن الناحية العملية، ينقسم النص الفوقي بدوره إلى:

- **النص الفوقي النشري (épitexte éditorial)**

ويندرج تحته كل من: الإشهار، وقائمة المنشورات، والملحق الصحفي لدار النشر...إلخ (لان، 1992، ص. 21).

- **النص الفوقي التأليفي (épitexte auctorial)**

ويقسّمه ج. جينيت إلى:

- النص الفوقي العام المتمثل في اللقاءات الصحفية والإذاعية والتلفزيونية التي تقام مع الكاتب وتعليقاته الذاتية على مؤلفاته، وهذه الأخيرة لا تهمّ كتاب المصادر العربية، لكونها حديثة العهد، وظاهرة تشهد على تطور وتغير ماهية العناصر المناصية. ويضيف جينيت إليها المناقشات والندوات التي تعقد حول الأعمال الأدبية، وقد تحدث ما بعد وفاة المؤلفين، وهي بذلك قابلة للتطبيق على المدونة محل البحث.

- النص الفوقي الخاص المتمثل في المراســلات بين الكاتب والمقربين منه، كُتّابا كانوا أم قرّاءً، المذكرات الحميمية للكاتب وأعماله الســابقة المخطوطة لكن غير المنشــورة بعد، والذي يكون بصدد تنقيحها قبل تسليمها للطباعة.

كلّ هذه العناصـر المناصـية نجدها ملخّصــة عند بلعابد (2007، ص. 57) في الجدول التالي:

النص الفوقي التأليفي		النص الفوقي النشري
العام	الخاص	
– اللقاءات (الإذاعية، التلفزيونية، الصحفية) – الحوارات – المناقشات – الندوات – المؤتمرات – القراءات النقدية – الترجمة	– المراسلات – الخاصة والعامة – المذكرات الحميمية – النص القبلي – التعليقات الذاتية	– الإشهار – قائمة المنشورات – الملحق الصحفي لدار النشر

ما شدّ انتباهنا في هذا الجدول هو تصنيف الترجمة ضمن العناصر المناصية حيث اعتبرها جينيت عنصرا من عناصر النص الفوقي، لكن دون أن يتعرّض لها بالشرح والتفصيل، بل ذكرها في خاتمة كتابه *Seuils* (1987، ص. 408) كأفق بحثي لا يخرج عن إطار المناص عامة : "بموازاة كل هذا تركت جانباً بعض العناصر على أهميّتها، وهذا حتى نحقّق البحث فيها ونعمّقه، وأوّل هذه العناصر المناصية الترجمة ... كونها تقع تحت نظر الكاتب ومراقبته غالباً، وبخاصة، إذاكان الكاتب متعدد اللغة، وهذاما سيسهل عليه متابعة ترجمة أعماله، وهذا ما وجده جينيت عند ساموبل بيكيت في أعماله المترجمة التي

كثيرا ما كان يراقبها، ويشارك في ترجمتها والتعليق عليها، إلى جانب أندري جيد أيضاً، الذي كان شديد الحرص على متابعة ترجمة أعماله الروائية (بلعابد، 2008، ص. 165).

لا شـكّ في أنّ هذه الحالة التصـنيفية الخاصـة للترجمة كمناص، لا تنطبق إطلاقا على ترجمات نصـوص المصـادر العربية موضـوع بحثنا، وما دمنا نرمي من خلاله إلى إبراز الدور الإيديولوجي للمترجم والترجمة ضـمن النظام الثقافي العام الذي أنتجت داخله سـلسـلة الترجمات من جهة، وتبيان الجانب البراغماتي لمشـاريع الترجمة المتجددة عبر الزمان والمكان من جهة أخرى، فقد أضـحى من البديهي عدم حصـر الفعل الترجمي في حدود " التعليق" الذاتي على نصوص أصلية، للأسباب التي سبق لنا ذكرها.

ولتوضـيح هذا المنظور " الغريب/ الجديد" للترجمة الذي بادر به جينيت ولم يسـعفه الوقت لاختباره، كان علينا الرجوع قليلا إلى ما أشـار إليه قبل ختمه لكتاب " *Seuils* " حول هذا الموضـوع. وفي اعتقادنا أنّه لا بدّ من الإشـارة إلى الارتباك والغموض اللذين يعتريان أحيانا نمطية جينيت رغم فائدتها الإجرائية.

فالمناص المقصـود تحليله في بحثنا، يخصّ المناصّـات المتجدّدة التي تصـحب الترجمات المتجدّدة باعتبارها نصـوصـا مسـتقلة عن النصـوص الأصـلية: فهي لا تختلف عنها من حيث النظام اللسـاني فحسـب، بل تتجدّد دوما عبر أنظمة ثقافية مختلفة في الزمان والمكان، وتحيا حيوات أخرى كثيرة، وهي تتجسّد في الكتب الموجهة لقرّاء متجدّدين لا متناهين. ولهذه الكتب المترجمة مناصـات خاصـة بها مسـتقلة عن مناصـات الكتب الأصلية إن وجدت.

3.1.2.8 العنوانيات

نظرا لأهمية العنوان كعنصر مناصي في مدونات الترجمات الفرنسية للمصادر العربية، رأينا أنّه من الضروري التعريج على بعض الخطابات التي ما فتئت تحوم حوله.

1- العنوان العام

فعلا، يحظى علم العنونة الروائية باهتمام المتخصّصين في علم البلاغة واللسانيات والسيميائيات. ومن بين التعاريف التي نجدها عند علماء البلاغة العرب، تعريف ابن أبي الأصبع المصري في كتابه " تحرير التحبير": " هو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو هجاء أو عتاب أو غير ذلك، ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص سالفة..." (جينيت، 1987، كما ورد في بلعابد، 2007، ص. 64).

أمّا اليوم، فأصبح العنوان من اختصاص مجالات بحثية كثيرة في العلوم الإنسانية، وأصبحت العنوانيات علما قائما بذاته. وذلك واضح في أعمال رولان بارت وشارل غريفل وكلود دوشي وهنري مترون وليو هوك، وجيرار جينيت وغيرهم. ولوي هوك، مؤسس العنوانيات، يعرف العنوان " كمجموعة العلامات اللسانية، من كلمات وجمل، قد تظهر على رأس النص، لتدلّ عليه وتعيّنه وتشير لمحتواه الكلّي ولتجذب جمهوره المستهدف".

وهذه الأبعاد اللسانية والسيميائية والتداولية للعنوان نجدها كذلك عند جيرار جينيت الذي يرى في "العنوان مجموع مربك ومعقد أحيانا، لكنه لا يرجع هذا التعقيد لطول العنوان أو قصره، لكن لمدى قدرة القارئ على تحليله وتأويله (1987، ص ص. 59-60). ويقرّ أنّ للعنوان قيمتين: قيمة جمالية وقيمة تجارية دعائية، وأنّ العنوان كان موضوعا للعالم اللساني والسيميائي وعالم النفس وعالم الاجتماع والمنظّر الأدبي والبلاغي من قبل [...] (1987، ص. 54)، كونه حلقة أساسية من حلقات بناء الاستراتيجية النصيّة، على الرغم من الإشكالات التي يطرحها أثناء التحليل والتحديد، وضبط الوظائف، لأنه منْجم من الأسئلة (1982، ص. 10).

أمّا الأماكن التي تتموضع فيها العناوين كما حدّدها وفق النظام الطباعي العالمي فهي أربعة:

1-الصفحة الأولى للغلاف

2-صفحة العنوان

3-صفحة العنوان المزيف (faux-titre)، أي تلك الصفحة البيضاء التي تحمل العنوان فقط والتي تلي صفحة العنوان.

4-ظهر الغلاف

وهذه التصـــنيفية للعناوين لا تجرد العنوان من وظيفته الأولى المتمثلة في تقديم وتلخيص وبرمجة فعل القراءة (جينيت، 1987، ص. 7). ويعود للســانيات الفضــل في تحديد وظائف العنوان: الوظيفة الإخبارية، الوظيفة التأثيرية التي تفيد الإقناع، والوظيفة الشــعرية التي تفيد الإغراء. ومن وظيفة العنوان كذلك، وضْــع القارئ في الســياق الثقافي والتاريخي لإنتاج العمل الأدبي، أو الكتاب بصفة عامّة.

2- العناوين الفرعية

إذا كان العنوان يعطي فكرة مختصـــرة عن محتوى الكتاب، فالعنوان الفرعي يمكّن القارئ من تتبع حبكة الكتابة ومســـايرة أحداث الرواية أو القصّـــة إذا كان النص نثريا أو حتى شعريا، أو التعمّق في دقائق الموضوع وتفرعاته إذا كان النص علميا أو تقنيا.

الباب الثاني

الدراسة التطبيقية على المدونات الأصلية وترجماتها

الفصل الأول

تحليل مدونة نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "النزهة" وترجماتها الفرنسية

1.1 تحديد السياق التاريخي للمدونة الأصلية وترجماتها الفرنسية

ما دمنا قد اعتمدنا في هذا البحث المنهج الشمولي، فكان لا بدّ علينا من تحديد السياق العام للكتابة (النص الأصلي) وإعادة الكتابة (النص المترجم). الأمر الذي لن يتأتى إلاّ بالرجوع إلى أصحاب تلك المشاريع والظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية التي مهّدت لظهور مؤلفاتهم. فكل مشروع للكتابة يولد داخل نظام معياري تنافسي يسعى فيه كل من الأدب والثقافة والعلم إلى فرض وضعيته السلطوية. ومن خلال هذا السياق كذلك يبرز " النص الفوقي" المصاحب للنصوص كما حدّدناه في القسم النظري لهذه الأطروحة.

1.1.1 من هو الإدريسي؟

شهد القرن السادس للهجرة (الثاني عشر ميلادي) بروز أشهر الرحالة العرب في هذه الحقب من الزمان وهو الإدريسي أبو عبد الله محمد الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، ولد في مدينة «سبتة» في المغرب سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة للهجرة **(1100م/ 493 هـ)**، كان من سلالة الرسول (ص) ومن نسل الأدارسة الحمّوديين الذين تسلطوا على بعض بلدان الأندلس في القرن الخامس الهجري. ولد في مدينة سبتة المغربية، ونشأ وأخذ علومه في قرطبة الأندلسية، لذا يسمى أحيانا بالقرطبي، وعاش أواخر أيامه في مدينة سبته وتوفي فيها. لقد كان عالمنا الادريسي مولعا بالأسفار منذ أن كان عمرة 16 سنة حيث طاف ببلاد الأندلس ومواني المتوسط وسواحل الأطلسي، كما زار مصر والشام وآسيا الصغرى ولما ينه عقده الثاني. يعتبر الإدريسي من أكبر الجغرافيين والرحالة العرب. قضى معظم حياته متجولا ما بين إسبانيا وآسيا صغرى وشمال إفريقيا، إلى أن استقر أخيرا في بلاط ملك صقلية روجار الثاني النورماني. يقال أنّ «روجار الثاني» قد استقدمه إليها سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة للهجرة (1138م)، ليستقر بها، مقربا من بلاط الملك، الذي أكرم نزله، وبالغ في تعظيمه، بحيث كان يأتي إليه راكبا، فإذا صار عنده تنحى عن مجلسه، وأجلسه بجانبه، وقد رتبت له كفاية لا تكون إلا للملوك– على حد قول «الصفدي» فيه. ويبدو أن هذه المعاملة، وهذا العيش الرغد لم يتبدلا بعد وفاة «روجار» (ت 548 هـ/ 1154 م)، وأن «الإدريسي» قد عاش عيشة رغدة في كنف

خلفه «غليالم الأول» –وإن تبدلت حال الدول–إلى أن قدرت وفاته هناك سنة ستين وخمسمائة للهجرة (64–1165 م)، على أرجح الأقوال.

1.1.2 دور الملك روجار في ظهور النزهة

كانت مقدّمة الترجمة الفرنسية لدوزيه (Dozy) ودي غويج (De Goeje) مصدرا هاما أتاح لنا العودة إلى الظروف التاريخية والاجتماعية التي أنجز فيها كتاب نزهة المشتاق. يذكر فيها المترجمان أنّ التاريخ الوسيطي المسيحي يصنف الأمراء النورمان الحاكمين لجزيرة صقلية كأثرهم تسامحا مع رعاياهم المسلمين، بل إلى حد القول إنهم كانوا شبه عرب في تقليدهم لطريقة الحكم عندهم ومراسيم البلاط والشهادات والتوقيعات على العملات والنقوش المعمارية، فكل شيء عندهم كان يحمل الطابع الشرقي إلى درجة عالية. وكان من بين هؤلاء الأمراء الملك روجار الثاني مولعا بالفنون والعلوم وصحبة الشعراء والعلماء العرب. ولمّا كانت الجغرافيا بخاصة تحتل الدرجة الأولى عنده، عمل على تجميع أكبر عدد ممكن من المؤلفات العربية، غير أنه وجد فيها الكثير من الغموض وقلة الدقة، فقام باستدعاء عدد من الرحالة المثقفين لاستشارتهم وكان كلما اتفقوا على نقطة معينة إلاّ وقيّدوها. دام ذلك العمل مدة خمسة عشر سنة أراد بعدها الاستفادة من علم الإدريسي، فقربه من بلاطه وجعله "أميرا من أمرائه". قام الإدريسي بصنع كرة من الفضة للأرض وضح عليها مواقع البلدان والمدن والجبال والأنهار، ويقدر عالم ايطالي مقدار الفضة التي استخدمت في صنع الكرة ما وزنه: 44800 درهم (150 كيلوجرام من الفضة). مع مرور الأيام، عرض الملك روجار الثاني على الإدريسي تفكيره في إعداد وصف شامل للكرة الأرضية على أساس المعاينة المباشرة والشهادات الحية، فانتخبا معا فريقا للعمل شبيها بالبعثات الاستكشافية لاستقصاء أقاليم الشمال والجنوب والشرق والغرب مدعما بالمصورين لالتقاط ما يشاهدونه حيث أمرهم بالتقصي والتمحيص والاستيعاب، وهو بذلك يعد أول من أرسل البعثات الاستكشافية. وبعد تدوينه لكل المعلومات والملاحظات الميدانية التي كان يعود بها المستكشفين، انتهى الإدريسي من عمل الكتابة كما يوضحه في مقدمته في الأيام الأخيرة من شهر شوال، الموافق لمنتصف القرن السادس الهجري 548 للهجرة (15 جانفي 1154). إلاّ أنه قام بإضافات أخرى فيما بعد،

حيث ذهب إلى تدوين الأخبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سائر أقاليم المعمور، ويعتبر بذلك أول من وسع مجال بحوثه لتتعدى العالم الاسلامي الى أوربا وبلاد الافرنج. ولقد تضمن الكتاب وصف البلدان ومواقعها، والأرض وتضاريسها وبحارها وأنهارها وغلاتها وتجارتها، وما بها من عجائب، فضلا عن أحوال أهلها وأزيائهم ومذاهبهم وأزياءهم ولغاتهم.

1.1.3 تصور النزهة والإدريسي في العالم العربي والعالم الغربي

لمؤلَّف الادريسي قيمته التاريخية والعلمية، يشهد له بذلك شخصيات عدة نذكر من بينهم حسين مؤنس، الذي يقول في تعليقه على كتاب الادريسي "نزهة المشتاق" ان هذا العمل يمثل القمة التي وصل اليها علم الجغرافيا في الشرق والغرب على حد سواء، فقد أخذ من علم اليونان خلاصة ما فيه وأخذ عن أصحاب مدرسة الجغرافية الفلكية زبدة آرائهم، وطور صناعة الخرائط والأطلس واعتبرها أساس علم الجغرافيا، وانتقل بأطلس الاسلام الى أطلس العالم ". كما قام المؤرخ السعودي حمد الجاسر بتحقيق السماء الواردة في كتاب الادريسي والخاصة بجزيرة العرب.

وما جاء في كتاب تراث الإسلام وفي دائرة المعارف الإسلامية عن الشريف الإدريسي نجد أن الخريطة الإدريسية تمثل القسم العامر من الكرة الأرضية، تشمل القارات الثلاث أسيا وأوروبا وإفريقية، وكان تقسيم العالم آنذاك يعتمد على نظرية الأقاليم وهي سبعة أوردها الإدريسي بهذا العدد لكنه حددها وقسمها بحسب درجات العرض. قدر الباحثون وعلماء الجغرافيا عبقرية الإدريسي التي تتجلى في خريطته للعالم وفي محاولته إثبات درجات العرض وتحديدها، وقد أفلح في هذا المجال إلى حد بعيد، وبتقسيمه الأقاليم السبعة إلى عشرة أجزاء متساوية من جهة الغرب إلى الشرق، هذا التقسيم وإن لم يدل على درجات الطول فإنه يسهل القيام بهذه المهمة ويساعد على رسم الخريطة، علما أن كتابه يتضمن خريطة خاصة لكل قسم من الأقسام السبعين إضافة إلى الخريطة الجامعة، وكل هذه الخرائط محفوظة في مختلف النسخ الموجودة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. وكذلك اهتم المجمع العراقي بهذا الكتاب، فعمل باحثوه على مراجعة وتدقيق كل النسخ الموجودة في العالم، وأخرجوا خريطة الإدريسي وطبعوها.

ومن بين علماء الغرب الذين اهتموا بالإدريسي، نذكر زيغريد هونكه التي تصف بكتابها "شمس العرب تشرق على الغرب" كتاب النزهة فتقول : "يحوي كتاب الإدريسي وصفا كاملا للمدن والبلاد موضحا طبيعتها وثقافتها والنشاط البشري فيها، ذاكرا بحارها وجبالها وأنهارها وسهولها وأوديتها، كما يتحدث عن الفواكه والحبوب والنباتات التي تنمو في تلك البلدان، وكذلك الفنون والصناعات التي يتقنها أبناء كل إقليم، ويتكلم عن الصادرات والواردات والحالة المعيشية للشعوب والعادات والتقاليد والملابس واللغات المنتشرة بينهم، وتتابع العالمة الألمانية وصفها لأعمال الإدريسي فتقول: إذا كان بطليموس قد أخطأ في رسوماته ببضع درجات، فإن العرب لم يتجاوزوا الواقع الصحيح بدقيقة أو دقيقتين، ونجد أن الإدريسي قد وحد الاتجاهين وربط بين الجغرافيا الوصفية والجغرافيا الرياضية الفلكية.

وكتب العلاّمة الألماني ميلر عن الإدريسي مطوّلا، ودفعه إعجابه وتقديره لأن يدرس كتابه دراسة علمية وأن يجمع خريطته العالمية، حيث أخرج هذه الخريطة لأول مرة في طبعة ملونة رائعة. كما حظي كتاب النزهة وخريطته بإعجاب المستشرقين والباحثين، حيث قال البارون دي سلان: إن كتاب الإدريسي لا يمكن أن يوازيه أي كتاب جغرافي سابق له، وهناك بعض الأجزاء من المعمورة لا يزال هذا الكتاب دليل المؤرخ الجغرافي. وجاء في دائرة المعارف الفرنسية " إن كتاب الإدريسي أوفى كتاب جغرافي تركه لنا العرب، وإن ما يحتويه من تحديد للمسافات ومن وصف دقيق يجعله أعظم وثيقة جغرافية في القرون الوسطى".

1.1.4 طباعة كتاب النزهة وترجماته

لقد برهن المؤرخان المترجمان أنلييس نيف (A.Nef) وهانري بريسك (H.Bresc) من خلال مراجعتهما لترجمة جوبير لكتاب النزهة (1998، ص. 76)، أنّه من الخطء تأريخ نهاية كتابة النزهة في 1154. إذ يحتمل أنّ الإدريسي يكون قد قام بكتابة جزئية لمؤلفه حوالي 1154 لكن عملية النسخ النهائي لم تكتمل إلاّ في عهد غيوم الأوّل؛ وما يدل على ذلك هو نقل الإدريسي لأحداث حصلت في أعقاب 1154 (نيف، 2010، ص. 63-65).

هذا الكتاب عبارة عن موسوعة جغرافية قيّمة بقيت المصدر الأول لعلماء أوروبا والشرق لأكثر من ثلاثة قرون، ولأهمية هذه الموسوعة، كانت من أوائل الكتب العربية التي عرفت الطباعة: طبع كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" في فلورانسا الإيطالية لأول مرة سنة 1592 م (أنظر ملحق الصور)، وهكذا يعد من أقدم الطبعات بالأحرف العربية في العالم. وبقيت تطبع وتنشر كاملة بالعربية واللاتينية والفرنسية والألمانية والإسبانية والإيطالية والإنكليزية. ذكر سيبولد أنه أجرى طباعة أجزاء منها، فيقول: "نشرت أقساما من هذه الموسوعة مع خريطة، وطبع دوزيه القسم المختص بالمغرب والسودان ومصر والأندلس عام 1866 في ليدن. وطبع روزون ميلر وصف الشام وفلسطين في ليبسك، وطبع أماري وغيره القسم المتعلق بإيطاليا في روما، وطبع كوندي الأصل العربي مع الترجمة الإسبانية للأقسام التي تخص جغرافية الأندلس في مدريد".

ولقد ترجم الكتاب الى عدة لغات أوربية، وعليه اعتمد الألمان في التعرف على افريقيا على مؤلّف "افريقيا في كتاب الادريسي"، الصادر سنة 1797م، ولقد اعتمد كل من الاسبان والنمساويون والسويديون والفلنديون والروس والصقليون وسكان البلقان والدانوب وغيرهم على كتاب الادريسي في معرفة ما يخصّ بلدانهم.

1.1.5 مخطوط النزهة

توجد في أيامنا عشر مخطوطات من الجغرافيا، أنجزت بين مطلع القرن الرابع عشر والسادس عشر، من بينها مخطوطين محفوظين بالمكتبة القومية الفرنسية. والمخطوط الذي نعرضه من باب الإشارة في هذه الأطروحة (أنظر ملحق الصور) هو أقدم مخطوط نسخ على الورق بالخط المغربي بتاريخ 1300 م. وهو مأخوذ من مجموعة تضم 1515 مخطوطا سلّمها الموظف القنصلي بمصر Asselin de Cheville للمكتبة الفرنسية في 1833. وهذا المخطوط مجوهر يحتوي على 352 صفحة و69 خريطة، ملوّنة ومحدودة بإطار مذهّب.

أمّا مخطوط الإدريسي الأصلي فيحمل تاريخ 1154. إذا كان هذا التاريخ هو الأكثر شيوعا عند المحققين في كتاب الإدريسي، فالمؤرخ المترجم هانري بريسك يرفض هذا التاريخ ويؤكد أنّ الإدريسي لم يتمم جغرافيته في 1154 بما أنّ الكتاب يذكر تواريخا

لاحقة. كما تثبت المترجمة والمؤرخة أنلييس نيف امكانية وجود نسـخة غير كاملة أعدت قبل وفاة الملك روجار في 1154 وعلى اسـتئناف مشـروع الكتابة وإتمامها في عهد غيوم الأول.

1.1.6 الترجمات الفرنسية للنزهة

يعدّ كتاب النزهة أكثر الكتب ترجمة في دراستنا الحالية، وهذا دليل على أهمية المؤلف، حيث عثرنا على أربع ترجمات فرنسية منشورة للنزهة. وإنّ أهمّ ما نلاحظه في هذه الترجمات هو كون ثلاثة من أصحابها من التيار الاستشراقي الفرنسي (القرن التاسع عشر) والإيطالي المعاصر. أمّا المترجم الرابع، وهو صاحب الترجمة الثالثة (أواخر القرن العشرين)، فهو لغوي من التيار الفرا نكو – إسلامي الجزائري، ودرس الفرنسية في باريس على يد أكبر المستشرقين الفرنسيين، كما سنراه في هذه الببليوغرافيا المقتضبة.

1.1.6.1 ترجمة بيير أمديه جوبير (1779–1847)

كان أمديه جوبير (Pierre Amédée Jaubert) مسـتشـرقا، مترجما ورحالة فرنسـيا. في 1796، التحق بالمدرسـة المختصـة في اللغات الشـرقية التي أسّسـت سـنة من قبل. تعلم العربية والفارسـية والتركية من أسـتاذه أنطوان إسـحاق دو سـاسـي. أثناء حملة نابوليون بونابارت على مصـر في 1798–1799، كان عضـوا في لجنة العلوم والفنون بصـفته ترجمانا عسـكريا. كما كان يصـحب السـفراء إلى طرابلس، مصـر، سـوريا، إيران والقسـطنطينية حيث عيّن في منصـب مكلف بالأعمال قبل انهيار الامبراطورية. في 1830، عيّن عضـوا في أكاديمية الكتابات وفقه اللغات، وأسـتاذا للفارسـية في الكلية الملكية (1838) والتركية في مدرسـة اللغات الشـرقية. وكانت أوّل ترجمة فرنسـية كاملة لنزهة المشتاق في اختراق الآفاق أكبر أعماله.

بتكليف من اللجنة المركزية للجمعية الجغرافية، " باشـر العالم أمديه جوبير الترجمة الفرنسية الكاملة للنزهة، وكانت أوّل ترجمة كاملة بالفرنسية ويقصد بالكمال ترجمة كل ما هو أساسي في نص الإدريسي" (1968، ص. 10). والدليل على ذلك هو أنّ المترجم قد اختار التصرف في النص أحيانا بحذف بعض الفقرات التي اعتبرها "غريبة" عن الجغرافيا.

فإذا كان الإدريسي قد رأى نفعا في إدماجها داخل وصفه، فكان من اللائق نشرها للقارئ المختص في مجالات علمية أخرى بل حتى للقارئ الجغرافي الذي يريد معرفة جانب أخر من شخصية الإدريسي (لولوال، 1832، ص. 73).

وما يلفت الانتباه هو الفارق الزمني الكبير الذي يفصل النص الأصلي عن أوّل ترجمة، حيث نشر النص العربي للنزهة لأوّل مرة في 1592 (أنظر ملحق الصور)، في حين نشرت ترجمة أمديه جوبير بالمطبعة الملكية ما بين 1836 – 1840، أي بعد مرور ما يقارب سبعة قرون (682 سنة) من انتهاء كتابتها على يد الإدريسي (1154م).

وكلّ ما نعرفه عن قيمة هذه الترجمة هو ما أورده المترجمان دوزيه ودي غويج في مقدمة الجزء الخاص بوصف إفريقيا وإسبانيا (1868): "تختلف الآراء حول هذه الترجمة. فكواترومير (Quatremere) الذي قد أهديت له، والذي قدم تقريرا عنها في مقالتين بمجلة " Journal des savants"، عام 1845، كان يرى أن "النص قد تمت ترجمته بدقة فائقة، وسهولة رائقة". وعلى العكس من ذلك، يعتقد أماري أنّه يحتوي على "الكثير من الأخطاء". أمّا م. رينو (M.Renaud)، فيرى أن "العديد من أسماء الأماكن قد تم تغييرها، وأن العديد من الفقرات قد أسيء تفسيرها".

1.1.6.2 ترجمة رينهارت بيتر آن دوزيه وميخاييل جان دي غويج (1820–1883)

كان رينهارت بيتر آن دوزيه (Reinhart Piter Anne Dozy) كذلك من المستشرقين الهولنديين البارزين، أحد أفضل المعربين والمؤرخين للإسلام في القرن التاسع عشر، وصاحب كتاب "تاريخ مسلمي إسبانيا"Histoire des Musulmans d'Espagne (1861) و"تكملة المجامع العربية" Supplément aux dictionnaires arabes (1881). ولد في أسرة فرنسية مغتربة في هولاندا منذ 1647، وهي أسرة أكثر رجالها يحب الاستشراق. سمحت له حياته البورجوازية من مزاولة بحوثه بارتياح. في سنّ الرابعة عشر، بدأ في تعلّم اللغة العربية التي كانت تعدّ ضرورية لدراسة العبرية وعلم اللاهوت. عند التحاقه بالجامعة في السابعة عشر من عمره، كان مولعا بشخصية فايرز Weijers، رئيس قسم المحفوظات العربية في مكتبة ليدن وأستاذ اللغات السامية الذي وجّه أخيرا نحو الدراسات التاريخية وإسبانيا المسلمة. وكان إضافة إلى تضلعه من اللغة العربية يكتب باللاتينية والفرنسية

والإنكليزية والألمانية والإسـبانية والهولندية والإيطالية. وكان في الثانية والعشـرين عندما فاز بجائزة المعهد الملكي الهولندي عن مسـابقة أجريت عام 1841، في بحث «الملابس العربية» وظهر البحث باللغة الفرنسـية في 1845 بعنوان *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes* (معجم مفصـل بأسـماء الملابس عند العرب). وفي الوقت عينه كتب كتابه «أخبار بني عباد» (1845–1851) وحصـل بسـببه على الدكتوراه. وصـار يكتب في المجلة الآسـيوية وترجم لها كتاب «تاريخ بني زيان ملوك تلمسان» نقلاً عن المصادر العربية زوده بحواش وتعليقات قيمة. وتتالى صدور أجزاء من كتابه «أخبار بني عباد عند الكتاب العرب» واكتملت أجزاؤه الثلاثة في 1863 ويعد أوسع بحث عن بني عباد ملوك إشـبيلية، اسـتفاد في إعداده كثيراً من كتاب «الذخيرة في أخبار الجزيرة» لابن بسـام الشـنتريني كان قد وجده في مكتبة «جوته» الألمانية. وأصـدر دوزيه في 1846 كتاب «شـرح تاريخي على قصـيدة ابن عبدون» من تأليف ابن بدرون مع مقدمة إضافية وتعليقات ومعجم وفهرس، وهي قصيدة تدور حول سقوط دولة بني الأفطس أمراء بطليوس. وتلا ذلك كتاب «تعليقات على بعض المخطوطات العربية» بين عامي 1847 و1851. ويتضـمن الكتاب فصـولاً مسـتخلصـة من كتاب «الحلة السـيراء» لابن الأبار تتعلق بالتاريخ السياسي والأدبي للمسلمين في إسبانية وتراجم الأشخاص من القرن الثاني حتى القرن السادس للهجرة يتخلّلها أشعار. وأعدّ دوزيه فهرس المخطوطات الشرقية في جامعة ليدن (1851)، ونشـر كتاب «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» لعبد الواحد المراكشـي على نفقة اللجنة الإنكليزية للمطبوعات الشـرقية في ليدن (Leyde)، وقد نقله إلى الفرنسـية (فانيان) في الجزائر عام 1893. وكتب في المجلة الآسـيوية «بعض الأسماء العربية» (1847) «أدب قشتالة وأمير الأمراء» (1848).

ونشـر أول مرة «البيان المُغْرب في أخبار المَغرب» لابن عِذاري المراكشـي مع مقتطفات من تاريخ «عريب» (ابن سـعد القرطبي) وصـدَّره بمقدمة فرنسـية وذيله بمعجم وحققه على مخطوطات بالأسـكوريال (1851). وابتداء من عام 1851 تفرغ دوزيه لتأليف كتابه الأسـاسـي «تاريخ المسـلمين في إسـبانيا من بداية فتح الأندلس إلى مجيء المرابطين»، تنـاول فيـه الحروب الأهليـة، والنصـارى، والمرتـدين، والخلفـاء، ثم ملوك

الطوائف، وترجمه إلى الإسبانية (سانتياجو) في عام 1920، وطبعه بروفنسال وصار مرجعاً، ويعد من أهم الأعمال التاريخية التي كتبها المستشرقون. ثم كتب «نظرات في تاريخ الإسلام» و«بحوث في تاريخ إسبانيا وآدابها في العصر الوسيط». وكتب «اليهود في مكة» الذي مُجِّد في هولندا وحمل عليه يهود ألمانيا حملة مريرة. عُيّن دوزيه في عام 1850 أستاذاً للتاريخ العام في جامعة ليدن، وأصدر ثبتاً شارحاً للكلمات الهولندية المأخوذة من العربية والعبرية والكلدانية والفارسية والتركية»، و«معجم الألفاظ الإسبانية والبرتغالية المأخوذة عن العربية» ثم كتب كتابه المهم «تكملة المعاجم العربية» في جزأين، عدا عن مقالات نقدية كثيرة تتصل بكتب ورسائل مستشرقين آخرين. ونشر دوزيه وترجم أخيراً بالتعاون مع مايكل جان دي غويج (Michael Jean de Goeje) كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي مع تعليقات ومعجم. والمترجم دي غويج (1836–1909) يشترك مع صاحبه دوزيه في الجنسية والحركة الفكرية حيث كان مستشرقا ورئيس تحرير تاريخ الطبري العالمي، وتاريخ الرسل والملوك (حوليات، 15 مجلد، ليدن، 1879–1901؛ إعادة الطبع، ليدن، 1964). في عام 1854، التحق بجامعة ليدن لدراسة اللاهوت، كما درس العبرية والعربية والسريانية والأرامية على ت.و. جوينبول (1802–61). في عام 1856، انتقل إلى كلية الأدب ودرس اللغة العربية والأدب الكلاسيكي على دوزيه. حصل على الدكتوراه في عام 1860 مع أطروحة عن شمال أفريقيا كما هو موضح في كتاب البلدان لليعقوبى.

في العام السابق تم تعيينه محافظا مساعدا لمجموعة المخطوطات الشرقية المحفوظة في مكتبة الجامعة. في عام 1869 تم ترقيته إلى محافظ، وهو منصب شغله حتى وفاته؛ وبهذه الصفة، كان المساهم الرئيسي في فهرس المجموعة. قبل ثلاث سنوات، في عام 1866، كان قد فاز بمقعد جوينبول، كأستاذ مساعد بالعربية ليرتقي إلى درجة الاستاذية في 1869. حصل على شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة كامبريدج في عام 1896 وكان عضوا مشاركا في الأكاديمية البريطانية والمعهد الفرنسي.

يكمن اهتمام دي غويج الرئيسي في الجغرافيا الإسلامية والتاريخ، وخاصة الفترة العباسية؛ حيث كانت المصادر العربية في هذا المجال نادرة أنذاك. من عام 1860 إلى

وفاته في عام 1909 كرس نفسه للنشر، شخصيا أو بالتعاون مع غيره، فصدر له عشرون مؤلفا بالعربية، كلها مصحوبة بفهارس واسعة ومعاجم عربية –لاتينية. بعد نشر طبعة جزئية وترجمة كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (وصف إفريقيا وإسبانيا، ليدن، 1866) بالاشتراك مع دوزيه، قام دي غويج بنشر مقالات انتقادية لنصوص الجغرافيا العربية، والتي تضمنت في النهاية سبعة مجلدات تضمنت نصوص أبرز الجغرافيين العرب في القرنين التاسع والعاشر ميلاديين (ابن حوقل، المقدسي، ابن فقيه، قدامة بن جعفر، اليعقوبي، المسعودي) (ترجمناه بالتصرف عن مقال نشر بالإنجليزية في موسوعة إيرانيكا).

هذا وقد نشرت الترجمة الفرنسية لـدوزيه ودي غويج في ليدن عام 1866 (منشورات E.J. Brill)، وهي إعادة ترجمة لعمل أمديه جوبير الذي انتقد بشدّة. عاب عليها دي غويج النقص الفادح في المعرفة الفيلولوجية اللازمة للترجمة. عدّد في مقدّمته الأخطاء الكثيرة لجوبير. وكان انتقاده موجها خاصة لوصف المسجد الكبير لقرطبة (يمكننا تصنيفها في خانة الترجمات التصحيحية، أنظر الصفحة 13 من مقدمة الكتاب). أمّا الترجمة التي اعتمدناها في أطروحتنا فهي من طبعة 1968. جاءت هذه الترجمة الفرنسية مصحوبة بالنص العربي المنسوخ عن المخطوطين B وA لباريس وأكسفورد وتعليقات هامشية ومسرد تفسيري ثنائي اللغة للمفردات العربية وترجمتها الفرنسية. اعتمد المترجمان دوزيه ودي غويج في إنتاجهما لهذا المسرد على عدّة معاجم ومسارد جاء ذكر عناوينها ومؤلفيها في ملاحق النص المترجم (ص.267–389) أمّا الترجمة التي اعتمدناها في أطروحتنا فهي من طبعة 1968. يذكر دي غويج، نقلا عن م.أماري (M.Amari) أنّ «عمل الإدريسي يتصدّر جميع أعمال الجغرافيّين الوسيطيّين (دي غويج، 1968: 5). كان أوّل نشر لخلاصة صغيرة عام 1592 ترجمت ونشرت باللاتينية في 1619.

1.1.6.3 ترجمة محمد حاج صادق

ولد المترجم الجزائري محمد حاج صادق (1907–2000) في عائلة من الأشراف المتديّنين. طبعت طفولته روايات المعارك التي خاضها سلفه الأمير خالد في صفوف جيش الأمير عبد القادر. التحق بمدرسة اللغات الشرقية بباريس (1929–1932) لمزاولة

دراســـته على كبار المعرّبين أمثال وليام مارســـيه (William Marçais) ولويس ماســـنيون (Louis Massignon). انتقل بعدها (1932) إلى المدرســـة الثانوية بســـطيف لتدريس للغة العربية ثم إلى ثانوية Duveyrier بالبليدة. بعد تحصـــله على شـــهادة التبريز في اللغة العربية (1947)، عينه الحاكم العام للجزائر أنذاك، مارســـيل نايجلين (Marcel Naegelen) في ديوانه الوزاري كمستشار لمتابعة ملفات التربية. بتدعيم من الإصلاحيين الاستعماريين، يعمل الأســتاذ المســتشــار على ترقية المســلمين الجزائريين عبر التعليم المدرســي وينجح خاصــة في مصــاهرة القســمين A و B اللذان كانا يفصــلان بين التلاميذ "الأنديجان "[1] (indigènes) وأصــحابهم الأوروبيين بالمدرســة الابتدائية. كما نجح عام 1951 في تحويل "المدرســات" التابعة للدولة، التي كان يســعى الإدماجيون لغلقها، إلى ثانويات التعليم الفرا نكو-إســلامي. وحركة حاج صــادق الإصــلاحية هاته فتحت المجال التعليمي والتربوي للبنات المســـلمات اللائي طالما عانين من ظلم نزعة المحافظة الكولونيالية والتيارات الاسلامية التقليدية.

أمّا ترجمته لكتاب النزهة، فجاءت جزئية تضـــمّ الإقليمين الثالث والرابع أي بلاد المغرب. في غياب المخطوط الأصلي المكتوب بيد الإدريسي، لقد اعتمد حاج صادق في ترجمته على النســخ الأربعة عشــر[2] التي مكّنت من لمّ الأجزاء المتشــتتة لنص النزهة في كتاب الـ " Opus geographicum" على يد مختصين في الدراسات الإدريسية وبتكليف من المعهد الإيطالي للدراسات الشرقية بروما.

1.1.6.4 ترجمة أنلييس نيف وهانري بريسك

أنلييس نيف، متحصـــلة على شـــهادة الدكتوراه في التاريخ (باريس 10، 2001)، أســتاذة محاضــرة في تاريخ العصــر الوســيط بجامعة باريس IV (2008). من اهتماماتها العلمية: تاريخ صــقلية (القرن IX-XIII م)، التواصــل بين بيزنطة والإمبراطورية الإســلامية

[1] نظرا للشــحنة الدلالية التي تحملها هاته الكلمة وهي تحيل إلى الأهلي والمتخلف والمحلي وابن المســتعمرات، نفضّــل دائما استنساخها كما هي في شكلها الفرنسي عوضا عن ترجمتها بمقابل عربي لا يوفي بكامل معناها.

[2] هذه النســخ محفوظة في مكتبات باريس، لندن، كامبريج، أكســفورد، غوته، لنينغراد، صــوفيا، إســطنبول، القاهرة، الموصل.

والغرب اللاتيني، تاريخ المنطقة الوسطى للبحر المتوسط وأسلمة الغرب الإسلامي. لها رصيد هائل من المنشورات الفردية أو الجماعية (حوالي ثمانون مقالا).

هانري بريسك، مؤرخ وسيطي مزدوج اللغة (فرنسي–إطالي)، أستاذ جامعي، عضو المدرسة الفرنسية بروما، متحصل على شهادة دكتوراه في الآداب (باريس، 1982)، وشهادة التبريز في التاريخ.

أمّا الترجمة التي يقترحها الثنائي بريسك ونيف فهي تقدّم نفسها كمراجعة لنص أمديه جوبير، حيث جاء التركيز فيها على الغرب، وخاصة على جزيرة صقلية التي حظيت بوصف مطوّل باعتبارها الفضاء الأقرب إلى الواصف. أمّا الجديد الذي تحمله فيتمثل في تقديم مطول من خمسين صفحة، وملحق يكاد يكون بنفس الطول، ملاحظات ترجمية، كرونولوجيا وقائمة بالمراجع. وهما يعتقدان أنّ كلّ هذه العناصر المناصية من شأنها تسهيل القراءة وبثّ شيء من الحيوية داخل نص يطغى عليه أسلوب التكرار والعدّ.

1.2 قياس القرب اللساني والأسلوبي وفق نموذج أنطوان برمان

بالرغم من الاهتمام الذي أثارته " النزهة" لدى العديد من الباحثين، لم نجد أية دراسة لسانية خاصة بنص النزهة، ما عدا دراسة جيروم لونتان (Jérôme Lentin) التي تناولت الكراسات الأربعة الأولى لعمل الإدريسي ضمن مساهمة كان يرجو منها إبراز بعض خصائص اللهجة العربية الصقلية للعصر الوسيط (2007، ص ص. 45–53). وكانت الغاية الأولى من هذه الدراسة اللسانية[3] ابراز الخصائص المشتركة بين اللغة الصقلية المحلية واللغة العربية. ونحن نرى فيه شخصيا محاولة لإثبات الأصل الصقلي للإدريسي، لا غير. فلم تكن هذه الدراسة كافية للتعرف على أسلوب الخطاب في كتاب " النزهة". وجاء في بعض الدراسات الاستشراقية أنّ الإدريسي كغيره من مؤلفي المخطوطات في العصر الوسيط، كان يكتب اللغة العربية العامية، ويقصد بها لغة المدن أو اللغة المحكية

[3] نحو الإمالات الصوتية والإملائية، وشكل الاسم والفعل والجنس وصيغة الجمع وأدوات الإشارة والنعوت وحروف الجر والظرف، وتركيب الجمل والمفردات.

للعرب سكان المدن في العصور الوسطى، وهي تشكل نوعا مختلفا تماما من اللغة مقارنة بفصـــحى التراث (لوبيداف، 1977، ص.13) . في الواقع، لا يقصـــد بها لغة القرون الوسطى، بل يقصد بها اللغة المشتركة للكتابة. وسوف نرى من خلال تحليلنا للأسلوب، أنّ اللهجة العامية العربية لا تتعدّى هنا المستوى المعجمي.

منهجيا، يكون تحليلنا نقديا، لأننا نؤمن أنّ نقد الترجمات هو وحده الذي يضمن استمرارية النشاط الترجمي. ولا نقصد بالنقد إبراز الجانب السلبي للترجمات الذي يقتصر على الإشارة إلى أخطاء المترجم، بل ملاحظة خصائص كل ترجمة والرجوع إلى الأسباب واقتراح بدائل ترجمية أقرب إلى النص الأصلي شكلا ومضمونا. وهذا ما نسمّيه بالنقد المنتج. وجاء تحليلنا للأسلوب في سلسلة الترجمات وفق الميول التحريفية لأنطوان برمان على النحو التالي:

1.2.1 الميل الأول: العقلنة

تذكيرا لما سـبق تفسـيره في الباب النظري، نقول أنّ هذا الميل التحريفي يمسّ بالدرجة الأولى التراكيب النحوية للنص الأصـــلي والعلامات الفارقة. وهذا المســـاس بالعلامات الفارقة وبتركيب الجمل ينجم عنه تغيير في ترتيب الجمل وتنظيمها. باختصـــار، فإن العقلنة تنتقل بالنص من الملموس إلى طابع تجريدي ويتجســـد ذلك خاصـــة عبر ترجمة الأفعال بالأسـماء والتكرار والتكثيف من الجمل التابعية الموصـولة وأسـماء الفعل والمفعول والجمل الاعتراضية والجمل الطويلة والجمل الاسمية...".

المثال 1 (الإقليم الثاني، الجزء الأول)

ن.أ (الإدريسي، 1154)	ت1 (أمديه جوبير، 1836)	ت 2 (دوزيه ودي غويج، 1866)
إنا لما رسمنا الإقليم الأول وما احتوى عليه في عشرة الأجزاء التي **قسمناه** بها و**ذكرنا** في كل جزء منه حصته	**Après avoir décrit** avec les détails convenables, dans chacune des dix sections **dont se compose** le premier climat, tout ce	**Après avoir décrit** avec les détails convenables, dans chacune des dix sections dont se compose le premier climat, tout ce

الواجبة له (…) **وجب علينا** أن نذكر في هذا الإقليم الثاني ما فيه من البلاد	qu'il y a de remarquable (…) **il convient de donner**, à l'aide du secours divin, dans ce deuxième climat, la description des pays, (…)	qu'il y a de remarquable (…), **il convient de donner** dans ce deuxième climat la description des pays, (…)

تحليل:

تظهر العقلنة هنا (ت1، ت 2) في تحويل الفعل الإنجازي (performatif) المتصرف بضمير المتكلم الذي يظهر في صيغة الجمع "رسمنا" بظرف زمان متبوع بفعل غير متصرّف "Après avoir décrit». وكذلك الحال بالنسبة للأفعال الإنجازية الأخرى التي جاءت متسلسلة في سياق الخطاب "**إنّا** لما **رسمنا** الإقليم الأول وما احتوى عليه في عشرة الأجزاء التي **قسمناه** بها و**ذكرنا**..." والتي تلاشت في الترجمة بفعل الاختزال. كما نلاحظ ترجمة الجملة المصدرية "وجب علينا أن نذكر" التي تعبّر عن نيّة الفعل الصادرة عن المتلفّظ في صيغة الجمع "نحن" بجملة مبنية لغير المعلوم، أي أنّ الضمير فيها لا يعود على ذات فاعلة أو ضمير "il convient de donner". وهذا يضعف من قيمة العنصر الخطابي الذي يضفي حيوية على النص.

المثال الثاني (الإقليم الثاني، الجزء الأول)

ن. أ (الإدريسي)	ت1 (أمديه جوبير)	ت 2 (دوزيه ودي غويج)
ونبتدئ الآن بذكر الجزء الأول من الإقليم الثاني بحول الله وعونه فنقول إن هذا الجزء الأول من الإقليم الثاني مبدؤه من المغرب الأقصـــى **حيث** بحر الظلمات ولا يعلم ما خلفه وفي هذا الجزء من الجزائر جزيرة مسفهان وجزيرة لغوس وهما من الجزائر الستة المتقدم ذكرها وتسمى الخالدات ومنها بدأ بطلميوس بالتعديل وأخذ أطوال البلاد و**عروضـــهـا** وإلى هتين	Nous disons donc que la présente section du deuxième climat commence à l'extrémité de l'occident**, c'est-à-dire** à la mer ténébreuse **;** on ignore ce qui existe au-delà de cette mer**.** A cette section appartiennent les îles de Masfahan et de Lamghoch**,** qui font partie des six dont nous avons parlé sous la désignation des (îles) éternelles et d'où	Nous allons donc commencer à présent**,** à l'aide du secours divin**,** par la première section du deuxième climat**,** en disant que cette section commence à l'extrémité de l'occident**,** c'est-à-dire à la mer Ténébreuse **;** on ignore ce qui existe au-delà de cette mer**.** A cette section appartiennent les îles de Masfahân et de Lagous**,** qui font partie des six dont nous avons parlé sous la désignation d'al-Khâlidât (les îles Fortunées) et d'où Ptolémée commence à compter

les longitudes des pays. Dzou 'l-Carnaïn (l'homme aux deux cornes), c'est-à-dire Alexandre le Grand, alla jusque-là et c'est de là qu'il commença son retour.	Ptolémée commence à compter les longitudes des pays. Alexandre le Grand alla jusque-là et en revint.	الجزيرتين وصـــل ذو القرنين أعني الإسكندر ومنها رجع.

تحليل:

تظهر العقلنة في هذا المثال في إعادة تركيب الجمل. ولاحظنا أنّه من خصـــائص (ت 1) إعادة تركيب الجمل العربية بكلّ حرية، وهذا واضـــح في تغيير النســق الشــكلي وزعزعة الترتيب الأصـلي للكلمات. في الواقع، يبدو جليّا من هذا المثال أنّ (ت 1) لجأت إلى أكثر من ميل تشــويهي: اســتبدال كلمات بكلمات أخرى (حيث/ c'est-à-dire)، اللجوء إلى الإيضــاح بين قوســين (îles)، حذف مفردات لازمة (عروضــها)، ســوء تهجئة أســماء الأماكن (لمغوش).

المثال الثالث

ت 4 بريسك ونيف (1999)	ت 3 محمد حاج صادق (1983)	ن. أ (الإدريسي)
La première section du troisième climat commence au grand océan environnant (al-baḥr al-kabîr al-muḥîṭ) qui baigne la partie occidentale du globe terrestre. Il renferme les îles suivantes : Sâwa*, proche de l'océan Ténébreux, et où, un jour, le « Bicornu » (Dhû al-qarnayn ou Alexandre) aurait-dit-on- abordé avant que les ténèbres ne l'eussent recouverte pour y passer la nuit ;	**Les îles de l'Atlantique** 2._ Le début de ce premier ğuz' du troisième 'iqlīm part de la grande mer environnante qui baigne la partie occidentale du globe et renferme les îles suivantes : 3._ Sāra, située à faible distance [du rivage] dans la mer ténébreuse ; Ḏû l-Qarnayn y débarqua avant qu'elle ne fut envahie par les ténèbres et y passa une nuit.	إن هذا الجزء الأول من هذا الإقليم الثـالـث مبـدؤه من البحر الكبير المحيط بـالجهـة الغربيـة من كرة الأرض وفيه من الجزائر جزيرة ساوة قرب البحر المظلم يقـال إن ذا القرنين نزلها قبل أن تدخلها الظلمة وبات بها وكانوا يرمون بالحجارة وأوذي بذلك جماعة من أصـــحابه وجزيرة الســـعالي فيها خلق كخلق النســـاء لهم أنياب بادية وعيونهم كالبرق وســوقهم كالخشــب المحرق يتكلمون بكلام لا يفهم ويحــاربون الدواب البحرية ولا فرق بين الرجال منهم والنسـاء إلا بالذكور والفروج لا

غير ورجالهم لا لحى لهم ولباســـهم ورق الشجر.		

تحليل:

تظهر **إعادة تركيب الجمل** بوجه خاص في (ت 3)، حيث لجأ المترجم حاج صادق إلى استحداث شكل جديد للكتابة بل إلى **إعادة صياغة** الأفكار وفق نموذج شخصي يتوافق مع معايير الكتابة الجغرافية الحديثة (أواخر القرن العشـــرين). وفي هذا **التطويع الشكلي** تغيير لوظيفة النص العربي وماهيته، حيث تتلاشى الملامح الشكلية للمخطوط الذي أضحى مجرّد مادة خام قابلة لإعادة الصقل بعد التحقيق فيها.

ومن المفارقة أنّ المترجم حاج صادق قد عوّض هذا النقص في الترجمة باللجوء إلى نسخ مفردتي "جزء/ ’ğuz" و"إقليم/ iqlīm‘"، وهو يتصرف معها كمصطلحات ثقافية أو محليّة غير قابلة للترجمة، والحال أنّها مصـــطلحات جغرافية ثابتة الدلالة ومنه قابلة للترجمة. وبدا لنا أنّ المترجم حاج صـــادق يريد بهذا الإجراء الانزياح عن الفكر الجغرافي الكلاسيكي الموروث عن بطليموس[4].

المثال الرابع (الإقليم الثاني، الجزء الأول)

ن. أ (الإدريسي)	ت 2 (دوزيه ودي غويج)	ت 3 محمد حاج صادق (1983)	ت 4 بريسك ونيف (1999)
فقال لهم الإسكندر يأتيكم هـذا التنين من مكـان واحد أو من أمكنة كثيرة	"Est-il dans l'usage de sortir par un seul endroit ou par plusieurs ?" demanda Alexandre. — "Par	« Ce dragon se montre d’un seul endroit ou de plusieurs ? » leur demanda ´Iskandar	Alexandre leur demanda : « le dragon sort-il toujours du même endroit ou bien de

[4] كلوديوس بطليموس أو بَطْلُمْيوس (حوالي 100م – حوالي 170) هو ريـاضـــي وعـالم فلك وجغرافيّ ومنجم وشـاعر إبيجراما في الأنثولوجيا الإغريقية. وهو وصـاحِب كتاب المَجَسْـطي، ترجم إلى العربية، نقلاً عن السـريانية، ثم إلى اللاتينية، نقلاً عن العربية، في النصـف الثاني من القرن الثاني عشـر الميلادي. وكتابـه الآخر هو كتاب الجغرافية ويعد هذا الأخير تجميعا للمعرفة الجغرافية للعالم اليوناني الروماني. يعد عمل بطليموس استمرارية لتطور طويل في العلوم القديمة يقوم على ملاحظة النجوم والأعداد والحساب والقياس.

قالوا من مكان واحد قال لهم أروني مكانه (…)	un seul." — "Indiquez-moi donc le lieu." —	– « d'un seul » - « montrez-le moi » -	plusieurs ? » ils répondirent : « Touj ours du même. » Il leurs dit : « montrez-le-moi ! »

تحليل:

في هذا المثال، عمد المترجمون إلى **إعادة تركيب الجمل على مســـتوى الخطاب:** وفي هذا الإجراء الترجمي تكييفا مستمرّا مع المعايير السائدة في كلّ فترة من فترات الكتابة النثرية الفرنسية. والأهمّ من ذلك أنّ عنصر الجنسية لا يغيّر شيئا في قضية ميل الترجمة إلى تملّك النص، حيث أنّ المترجم محمد حاج صــادق، الجزائري الأصــل، لم يســلم من تأثير اللغة الفرنســـية على كتابته. وعليه، يمكننا أن نفتح بابا جديدا وهو باب الازدواجية اللغوية الفراكوفونية التي تؤثر على وعي الكاتب / المترجم.

المثال الخامس (الإقليم الثالث، الجزء الأول، جزائر المحيط)

ن. أ (الإدريسي)	ت 2 (دوزيه وديغويج)	ت 3 (محمد حاج صادق)	ت 4 بريسك ونيف
إن هذا الجزء الأول من هذا الإقليم الثالث مبدؤه من البحر الكبير المحيط بالجهة الغربية من كرة الأرض وفيه من الجزائر جزيرة ساوة قرب البحر المظلم يقال إن ذا القرنين نزلها قبل أن تدخلها الظلمة وبات بها وكانوا يرمون بالحجارة وأُوذي بذلك جماعة من أصـــحابه وجزيرة الســـعالي فيها خلق كخلق النساء لهم	La première section du troisième climat commence à l'océan qui baigne la partie occidentale du globe terrestre. Du nombre des îles de cet océan est celle de Sâra, située près de la mer Ténébreuse. On raconte que Dzou 'l-Carnaïn y aborda avant que les ténèbres eussent couvert la surface de la mer, y passa une nuit, et que les habitants de cette île l'assaillirent, lui et ses compagnons de voyage, à coups	**Les îles de l'Atlantique** **2._ Le début de ce premier ğuz' du troisième 'iqlīm part de la grande mer environnante qui baigne la partie occidentale du globe et renferme les îles suivantes :** **3._ Sāra, située à faible distance [du rivage] dans la mer ténébreuse : Ḏû l-Qarnayn y débarqua avant qu'elle ne fut envahie par les ténèbres et y passa une nuit. Reçu à coup de pierres,**	La première section du troisième climat commence au grand océan environnant (al-baḥr al-kabîr al-muḥîṭ) qui baigne la partie occidentale du globe terrestre. Il renferme les îles suivantes : Sâwa*, proche de l'océan Ténébreux, et où, un jour, le « Bicornu » (Dhû al-qarnayn ou Alexandre) aurait-dit-on- abordé avant que les ténèbres ne l'eussent recouverte pour y passer la nuit ; ses compagnons auraient alors été

أنياب بادية وعيونهم كالبرق وسوقهم كالخشب المحرق يتكلمون بكلام لا يفهم ويحاربون الدواب البحرية ولا فرق بين الرجال منهم والنساء إلا بالذكور والفروج لا غير ورجالهم لا لحى لهم ولباسهم ورق الشجر.	de pierre et en blessèrent plusieurs. Une autre île du même océan se nomme l'*île des diablesses* (Djazîrato 's-S'âlî), dont les habitants ressemblent plutôt à des femmes qu'à des hommes : les dents canines leur sortent de la bouche, leurs yeux étincellent comme des éclairs et leurs jambes ont l'apparence de bois brûlé ; ils parlent un langage inintelligible et font la guerre aux monstres marins. Sauf les parties de la génération, nulle différence ne caractérise les deux sexes, car les hommes n'ont pas de barbe : leurs vêtements consistent en feuilles d'arbres.	**quelques-uns de ses compagnons subirent des dommages. 4._ Sa`âlî (= les ogresses) où vivent des êtres qui ressemblent à des femmes, ayant des crocs qui ressortent de leur bouche, des regards foudroyants, des jambes comme en bois brûlé, parlant une langue inintelligible, faisant la chasse à la faune marine ; mâles et femelles ne se distinguent que par le sexe, les uns et les autres étant imberbes, vêtus de feuillage d'arbres.**	assaillis à coups de pierre et plusieurs d'entre eux auraient été blessés. Il est une autre île qui se nomme Sâalî* (« Les ogresses »). On y trouve des êtres qui ressemblent à des femmes ; les dents leurs sortent de la bouche, leurs yeux lancent des éclairs et leurs jambes ont l'apparence du bois brûlé ; ils parlent un langage inintelligible et font la guerre aux monstres marins. Excepté leurs organes génitaux, nulle différence ne caractérise les deux sexes, car les hommes n'ont pas de barbe et leurs vêtements consistent en feuilles d'arbres.

تحليل:

يشكل **تغيير علامات الوقف عنصرا هامّا من عناصر العقلنة.** في الواقع، لا يمكن الحديث عن تغيير في علامات الوقف بل عن استحداث الترجمة لعلامات تنقيط لم ترد في النص العربي إطلاقا. وكأنّ الترجمة تحاول استدراك نقص يُحسب عليها في الكتابة، لأنّ المعيار في النصوص النثرية والشعرية المكتوبة بالفرنسية هو التنقيط وكلّ ما يتصّل به من قيمة دلالية وخطابية تجعله قابلا للقراءة. ونظرا لشمولية هذا الإجراء في كلّ الترجمات الفرنسية لكتاب "النزهة"، سنكتفي بهذا المثال الذي يمكن تعميمه على سلسلة النصوص المترجمة.

1.2.2 الميل الثاني: الإيضاح

المثال الأول (جزائر المحيط)

ن. أ (الإدريسي)	ت1 (أمديه جوبير)	ت 2 (دوزيه ودي غويج)
الخالدات ذو القرنين أعني الإسكندر	**(îles)** éternelles Alexandre le Grand	al-Khâlidât **(les îles Fortunées)** Dzou 'l-Carnaïn **(l'homme aux deux cornes),** c'est-à-dire Alexandre le Grand,

تحليل:

يظهر الإيضاح هنا في لجوء (ت 2) إلى الاقتراض التام لأسماء الأماكن والأسماء الشخصية ثمّ ترجمتها بمكافئات فرنسية بين قوسين شارحين.

ونتساءل عن سبب ترجمة الخالدات (les îles éternelles) بـ "les îles Fortunées"، علما انّ المحيط كان يُقرن قديما بأساطير الجزر العجيبة، سواء بالنسبة لأوروبا المسيحية أو العالم الإسلامي؟ وكان العرب على غرار الرومان والإغريق يشيرون إلى جزر عديدة بما فيها الخالدات الواقعة بالمحيط الأطلنطي، والتي قد تذكّر بالجزر السعيدة المعروفة في العصور القديمة.

فيما يخص ترجمة المصطلحات الثقافية، نلاحظ أنّ (ت 1) تمارس التوطين باختيارها للمكافئات اللغوية الفرنسية، في حين تختار (ت 2) أسلوب التغريب بواسطة الاقتراض ثمّ بالنقل الحرفي للكلمات وشرحها بين قوسين.

المثال الثاني (جزائر المحيط)

ن أ (الإدريسي)	ت1 (أمديه جوبير)	ت 2 (دوزيه ودي غويج)
وأيضا أن في جزيرة لغوس المذكورة صنم وثيق البناء لا يمكن الصعود إليه وفي هذه الجزيرة يقال مات الذي بناه وهو	L'on ajoute que dans l'île de Lamghoch **(ou de Lagos)** on voit aussi une statue **de construction** très solide, dont l'accès est impossible. On dit que celui qui la fit	L'on ajoute que dans l'île de Lagous on voit aussi une colonne de construction très solide, et qu'il est impossible de parvenir à son sommet. On

تبع ذو المرائد[5] وقبره هناك في هيكل مبني من المرمر والزجاج الملون	élever y mourut, et que **ses héritiers** lui élevèrent un tombeau dans un temple bâti en marbre et en pierres de couleur.	dit que Tobba Dzou 'l-Marâtsid, qui la fit élever, y mourut, et que son tombeau s'y trouve dans un temple bâti en marbre et en verre de couleur.

تحليل:

نجد في هذا المثال وجها آخرا للإيضاح، وهو تأويل شخصي لما هو غير وارد في النص الأصلي: ففكرة "الورثة" / ses héritiers التي جاءت في (ت 1) من تخمين المترجم ولا مرجع لها في النص الأصلي. وإلى حدّ الآن، كان هذا النوع من التأويل أو سوء التقدير للمعنى سببا مباشرا في كثرة الأخطاء التي وقع فيها أمديه جوبير. وسوف نرى لاحقا أنّ عدم القدرة على استيعاب المصطلح الثقافي وخاصة أسماء العلم، ستؤول به إلى اقتراح ترجمات قليلة الرجحان لكونها بعيدة جدّا عن المعنى المقصود في النص الأصلي.

1.2.3 الميل الثالث: التمديد

المثال الأول (جزائر المحيط)

ن أ (الإدريسي)	ت1 (أمديه جوبير)	ت 2 (دوزيه ودي غويج)
فأمّا جزيرة مسفهان فحكى صاحب كتاب العجائب أن في وسطها جبلا مدورا عليه صنم أحمر بناه أسعد أبو كرب الحميري وهو ذو القرنين الذي ذكره تبع في شعره ويسمى بهذا الاسم كل من بلغ طرفي الأرض	Quant à Masfahan, l'auteur du livre des Merveilles rapporte qu'au centre de cette île est une montagne ronde, au-dessus de laquelle on voit une statue de couleur rouge, élevé par Esaad abou-Kerb el-Haïri (Alexandre dzoul'carneïn), dont il sera question ci-après, dans son	Quant à Masfahan, l'auteur du *Livre des merveilles* rapporte qu'au centre de cette île est une montagne ronde, au-dessus de laquelle on voit une colonne de couleur rouge, élevé par Asad Abou Carib al-Himyâri, le Dzou l'Carnaïn dont Tobba fait

5) قرأنا في كتاب البداية والنهاية لعبد الله بن عباس: "ذكر جمع من المؤرخين أن ذا القرنين أحد التبابعة الاذواء اليمنيين من ملوك حمير باليمن كالأصمعي في تاريخ العرب قبل الاسلام، وابن هشام في السيرة والتيجان وأبى ريحان البيروني في الآثار الباقية ونشوان بن سعيد الحميري في شمس العلوم –على ما نقل عنهم –وغيرهم. وقد اختلفوا في اسمه فقيل اسمه مصعب بن عبد الله، وقيل: صعب بن ذي المرائد وهو أول التبابعة، وهو الذي حكم لإبراهيم في بئر السبع، وقيل: تبع الأقرن واسمه حسان، وذكر الأصمعي أنه أسعد الكامل الرابع من التبابعة بن حسان الأقرن ملكي كرب تبع الثاني ابن الملك تبع الأول، وقيل: اسمه " شمر يرعش". وقد ورد ذكر ذي القرنين والافتخار به في عدة من أشعار الحميريين وبعض شعراء الجاهلية.

وإنما نصـــب أبو كرب الحميري ذلك الصـنم هناك ليكون علامة لمن قصد تلك الناحية من البحر ليعرفه أنـه ليس خلفه مســـلك يســـلكه ولا موضـــع يخرج إليه وأيضـــــا أن في جزيرة لغوس المذكورة صـــنم وثيق البناء لا يمكن الصـــعود إليه وفي هذه الجزيرة يقال مات الذي بناه وهو تبع ذو المرائد [6]وقبره هنـاك في هيكل مبني من المرمر والزجاج الملون. وحكى صـــاحب كتاب العجـائـب أن في هـذه الجزيرة دواب هائلة وأن فيها أمورا تطول أوصـــافها وتمتنع العقول عن قبولها" **(114 كلمة)**	expédition, et qu'on donne ce nom (d'abou-Kerb el-Haïri) à tous les voyageurs qui sont parvenus aux deux bouts du monde. Abou-Kerb el-Haïri fit placer là cette statue, afin d'indiquer aux navigateurs qu'au-delà de ce point il n'y a point d'issue, point de lieu de débarquement. L'on ajoute que dans l'île de Lamghoch (ou de Lagos) on voit aussi une statue de construction très solide, dont l'accès est impossible. On dit que celui qui la fit élever y mourut, et que ses héritiers lui élevèrent un tombeau dans un temple bâti en marbre et en pierres de couleur. Le même auteur raconte que cette île est peuplée de bêtes féroces, et qu'il s'y passe des choses qu'il serait trop long de décrire, et dont l'admission répugne à la raison. (**169 كلمة**)	mention dans ses poésies, car on donne cette épithète à quiconque est parvenu aux deux bouts du monde. Abou Carib al-Himyâri fit placer là cette colonne, afin d'indiquer aux navigateurs qu'au-delà de ce point il n'y a point d'issue, point de lieu de débarquement. L'on ajoute que dans l'île de Lagous on voit aussi une colonne de construction très solide, et qu'il est impossible de parvenir à son sommet. On dit que Tobba Dzou 'l-Marâtsid, qui la fit élever, y mourut, et que son tombeau s'y trouve dans un temple bâti en marbre et en verre de couleur. Le même auteur raconte que cette île est peuplée de bêtes féroces, et qu'il s'y passe des choses qu'il serait trop long de décrire, et dont l'admission répugne à la raison. **(169 كلمة)**

تحليل:

يسـمح لنا هذا الجدول باسـتخراج عدّة ميول سـوف نتناولها بالشـرح كلّ واحدة في موضعها:

أ- التمديد الذي تفرضه الخصوصيات اللسانية الفرنسية والذي يستحيل تفاديه:

"وأن فيها أمورا تطول أوصافها وتمتنع العقول عن قبولها" /

« et qu'il s'y passe des choses **qu'il serait trop long de décrire**, et dont l'admission répugne à la raison ».

[6] قال المقريزي في الخطط" اسمه الصعب بن ذي مرائد. وهو من الملوك التبابعة اليمنيين.

نلاحظ هنا تحويل الجملة المصدرية بـــ "أنّ" إلى جملة صلة الموصول أُثريت بفعل في صـيغة الشـرطية ونعت موصـول وفعل ثان غير متصـرّف، واسـم موصـول وجملة موصولة (فاعل وفعل ومفعول به غير مباشر).

ب- التمديد الناتج عن العقلنة:

يظهر مثلا في إضـافة علامات الوقف وإعادة تركيب الجمل، وهو ميل يشـمل كلا الترجمتين ويأتي بنفس الوتيرة.

ت- التمديد الناتج عن الإيضاح:

المثال الأول: "ويسمى بهذا الاسم كل من بلغ طرفي الأرض" /

« et qu'on donne ce nom (d'abou-Kerb el-Haïri) à tous les voyageurs qui sont parvenus aux deux bouts du monde ».

بعد إضافة اسم Alexandre بين قوسين في الجملة السابقة، يلجأ المترجم الأول إلى إيضاح الاسم بين قوسين وإضافة كلمة "voyageurs"، وكلها إضافات غير ضرورية لإتمام المعنى.

المثال الثاني: "في وسطها جبلا مدورا عليه صنم أحمر"/ « au centre de cette île est une montagne ronde, au-dessous de laquelle on voit une **statue de couleur rouge**, »

في هذه الحالة، تكون إضـــافة كلمة "couleur" من باب الإفراط اللغوي (hyper-correction)، حيث كان بإمكان المترجم الاكتفاء بالنعت "rouge"، ما دام الجميع يعرف أنّ المقصود هو اللون. وهذا من باب الإفراط والمبالغة في الترجمة.

المثال الثالث: وأيضا أن في جزيرة لغوس المذكورة صنم وثيق البناء لا يمكن الصعود إليه / L'on ajoute que dans l'île de Lagous on voit aussi une colonne de construction très solide, et qu'il est impossible de parvenir à son sommet.

لجأ المترجم في ت 2 إلى إضافات عديدة بعضها ناجم عن تغيير الصنف النحوي (وأيضا/ L'on ajoute que) وبعضها الآخر يعزى إلى استعمال صيغ تفسيرية يمكن الاستغناء عنها.

لهذا نقترح الترجمة التالية:

«et dans l'île de Lagous déjà citée, se trouve une statue solide à laquelle on ne peut accéder. »

تحليل:

في هذه العيّنة، يمكن توضيح الميل إلى التمديد بالأرقام على النحو التالي:

	ن.أ	ت 1	ت 2	الزيادة
عدد الكلمات	114 كلمة	169 كلمة	169 كلمة	55
عدد الحروف	472 حرف	799 حرف	799 حرف	322

يتبيّن من هذا الجدول أنّ الفارق المسجل بين عدد الكلمات الأصلية والكلمات المترجمة يشكّل زيادة بنسبة 48.2%. وأنّ الفارق المسجل بين عدد الحروف الأصلية والحروف المترجمة يشكّل زيادة بنسبة 69.2 %. وهذا يحملنا إلى تسجيل عدّة ملاحظات، أوّلها أنّه لا يمكن تفادي التمديد النحوي (على مستوى المحور التركيبي) حين ننتقل من العربية إلى الفرنسية: مثلا، نسجّل تحويل الجار والمجرور "عليه" (حرف + ضمير متصل) إلى «au-dessus de laquelle " (حرف ظرف + حرف + ضمير وصل)، وهو تحويل إجباري تفرضه معايير لغة التلقي. أمّا التمديدات الأخرى، فهي تعزى إلى ماهية الفعل الترجمي حسب المنظور البرماني.

1.2.4 الميل الرابع: التنميق

رغم ندرة حالات التنميق في كلتا الترجمتين، إلاّ أنّنا نجدها على المستوى المعجمي في ت. م 2 عند استعمال "épithète" كمرادف لـ "اسم" في المثال التالي:

أ- ويسمى بهذا **الاسم** / on donne cette **épithète**

فلفظة épithète يقصد بها الصفة، في حين أنّ المقصود في هذا المثال هو اسم العلم.

ونحن نرى في هذا الاستعمال نوعا من الزخرفة اللغوية لا غير.

ب- dont l'admission **répugne à** la raison/ **تمتنع** العقول عن قبولها

إنّ استعمال الفعل المتعدي غير المباشر " répugne à " في هذا السياق غير لائق وفيه نوع من المبالغة. فهو فعل "شعوري" (حسب تصنيف النحو التوليدي) يدلّ على كراهية فعل الشيء أو النفور منه. في حين أنّ "الامتناع" هنا يكون بمثابة الإجراء العقلي. وهذا تحويل صريح في التصنيف الفعلي يفرزه الحدس. ونرى أنّه كان بإمكان المترجم (ت 1) الاكتفاء بترجمة حرفية سليمة تدلّ على الامتناع الإرادي للعقول أي "le refus ". فيكون اقتراحنا نحو: " que la raison refuse d'admettre ".

1.2.5 الميل الخامس: الإفقار النوعي (إفقار الثراء الدلالي)

نظرا لما يحتويه هذا العنصر من ميول تحريفية مختلفة للنص الأصلي، عمدنا إلى تقسيمه إلى العناصر الفرعية التالية:

أ- أخطاء التهجئة

يوجد في الترجمة الأولى أخطاء تهجئة كثيرة، وتظهر خاصة في تقييد أسماء العلم. ونظرا لكثرة الحالات التي وجدناها في الجزء الأول من الإقليم الثالث، سنكتفي بمثال واحد:

المثال الأول (جزائر المحيط)

ن أ (الإدريسي)	ت1 (أمديه جوبير)	ت 2 (دوزيه ودي غويج)
أسعد أبو كرب **الحميري** وهو ذو القرنين	(...) Esaad abou-Kerb **el-Haïri** (Alexandre dzoul'carneïn),	(...) Asad Abou Carib al-Himyâri, le Dzou l'Carnaïn

تحليل:

قد يعود الخطأ في تهجئة **الحميري** /el-Haïri (ت 1) إلى صعوبة في قراءة أو تفكيك المرجع القافي الذي يشكّله اسم العلم: وهذا يدل على عدم اكتراث المترجم الأوّل بمساءلة المراجع التاريخية للتأكّد من التهجئة الصحيحة للاسم وربطها بالسياق العام للنص الذي وحده يمكّن من التحكّم في المعنى والصحيح هو أسعد أبو كرب الحميري[7].

فعلا، نقلنا عن المؤرخين العرب والإخباريين أنّ أسعد أبو كرب الحميري هو أسعد الكامل اليمني، من أكبر ملوك حمير **التبابعة، أي قوم تبّع** الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم (غير أنّنا لم نجد أيّ نصّ تاريخي يقيم علاقة بين أبي كرب الحميري وذي القرنين، ونتساءل عن المصدر الذي استقى منه الإدريسي هذه المعلومة؟). والأخطر من هذا أنّ هذا الخطأ في قراءة اسم العلم كان سببا مباشرا في وقوع المترجم في سلسلة من الأخطاء التأويلية أدّت به إلى الابتعاد تماما عن المعنى الأصلي.

أمّا المترجم الثاني، فقد لجأ إلى النهج الصحيح واستدرك هذه الأخطاء بالرجوع إلى كتب المؤرخين العرب على غرار إبن كثير الذي ذكر أنّ تبّع اسمه **أسعد أبو كريب (بإضافة الياء)** قائلا أنّه مرّ على المدينة المنوّرة وحارب أهلها ثم سالمهم وترك عندهم **لوحا فيه شعر**: والدليل على ذلك أنّ المترجم الثاني قد اطّلع على ما كتبه ابن كثير، حيث نقل اسم العلم إلى الفرنسية " Abou Carib".

ب- التأويل الخاطئ

المثال الأول (جزائر المحيط)

ن أ	ت1	ت 2
(الإدريسي)	**(أمديه جوبير)**	**(دوزيه ودي غويج)**

[7] هو أسعد الكامل اليمني، من أكبر الملوك الحميريين التبابعة (عرب اليمن)، وعددهم سبعين ملكا. ولد في 702 ق.م. امتدّ حكمه إلى وسط الجزيرة العربية، كان ملكا لسبأ، وحضرموت، ويمنت. توسّع إلى القرن الإفريقي وفارس والشام والمغرب العربي. كان موحّدا حنيفا فرض دين التوحيد على قومه، وهم أهل تبّع الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم.

بناه أسـعد أبو كرب الحميري وهو ذو القرنين الذي ذكره **تبّع** في شعره،	(...) élevé par Esaad abou-Kerb el-Haïri (Alexandre dzoul'carneïn), **dont il sera question ci-après**, **dans son expédition,**	(...) élevé par Asad Abou Carib al-Himyâri, le Dzou l'Carnaïn **dont Tobba fait mention dans ses poésies**,

تحليل:

نتيجة للخطأ الواقع في تهجئة إســم العلم، لم يتمكّن المترجم من تتبّع المخطّط الذي يفرضـه التشـاكل الدلالي (isotopie sémantique)، الذي يستلزم الربط بين المدلولات المكوّنة للخطاب والتركيز على الجانب البراغماتي، حيث التبس عليه معنى " تُبّع" (بضـمّ الأوّل)، وحين لم يجد أيّة صلة بين هذه الكلمة وما يليها مباشرة، راح يؤوّل " تُبّع" بـــ " تَبَع " dont il sera question ci-après "، و "شعره" بـ " son expédition " بإسقاط المعنى على ذي القرنين. ومثل هذه الأخطاء تدعم فكرة وحدة النص **ووجوب مراعاة شبكة التعالقات الدلالية الداخلية (البنيات الدقيقة) والخارجية (البنيات الكلية) أثناء الترجمة.**

المثال الثاني (جزائر المحيط)

ن أ (الإدريسي)	ت1 (أمديه جوبير)	ت 2 (دوزيه ودي غويج)
حجر البهت وهو مشـــهور عند **أهل المغرب الأقصى**	La pierre dite el-behet, renommée dans **l'Afrique occidentale**,	La pierre dite baht, renommée dans **l'Afrique occidentale**,

تحليل:

في هذا المثال، التبس على كلا المترجمين المقصـود من "المغرب الأقصـى" لأنّهما ربطا المعنى بالجزء المقصـود بالوصـف وهو الجزء الأول من الإقليم الثاني حسـب تقسـيم الإدريســي الذي يضــمّ بالفعل إفريقيا الغربية[8] (l'Afrique occidentale) كما أشــرنا إليه في عنوان المدونـة. لكن المعنى هنـا يحتوي على مقارنـة بين موضـــوع المقارنـة في الجزء الموصوف أي "البهت في إفريقيا الغربية" و"مثيله في بلاد المغرب"، وهي الموطن الأصلي

[8] كانت إفريقيا الغربية تضـمّ 8 مسـتعمرات فرنسـية (1895–1958): موريتانيا، السـينغال، السـودان الفرنسـي (مالي)، غينيا، ساحل العاج، النيجر، فولتا العليا (بوركينا فاسو)، وداهومي (البنين).

للإدريســـــي، وهذا النوع من المقارنة جار في كتابات الجغرافيين والرحالة العرب (كما سنلاحظه عند ابن بطوطة مثلا). وعليه، نقترح الترجمة التالية:

« La pierre dite el-baht, renommée au *Maghreb Extrême*»

ت- إغفال ترجمة بعض الكلمات أو أجزاء من النص

المثال الأول (جزائر المحيط)

ن أ (الإدريسي)	ت1 (أمديه جوبير)	ت 2 (دوزيه ودي غويج)
وفي ســواحل هذا البحر الصــادر عن هـذه الجزائر وغيرهـا يوجـد العنبر الجيد **ويوجد** أيضـــا في **ســاحله حجر** البهت وهو مشــهور عند أهل المغرب الأقصـــى ويباع **الحجر** منه بقيمة جيدة لا سيما في بلاد لمتونـة وهم يحكون عن هـذا **الحجر** أن من أمســكه وســار في حاجة قضـــيت لـه بـأوفى عنـاية **وشفع فيه** وهو جيد عندهم في عقد الألسنة على زعمهم.	**Sur les rivages de ces îles et de plusieurs autres,** on trouve de l'ambre de qualité supérieure, ainsi que la pierre dite el-behet, renommée dans l'Afrique occidentale, où elle se vend à très-haut prix, surtout dans le pays de Lamtouna dont les habitants prétendent que celui qui en est porteur réussit dans toutes ses entreprises. On dit aussi que cette pierre jouit de la propriété de lier la langue.	**Sur les rivages de cette mer** on trouve de l'ambre de qualité supérieure, qui semble provenir de ces îles et d'autres, ainsi que la pierre dite baht, renommée dans l'Afrique occidentale, où elle se vend à très-haut prix, surtout dans le pays des Lamtouna, qui prétendent que celui qui en est porteur réussit dans toutes ses entreprises. On dit aussi que cette pierre jouit de la propriété de lier la langue.

تحليل:

نلاحظ في هذه الحالة تفادي (ت 1) و (ت 2) لتكرار بعض الأفعال والأســـماء (ساحل، يوجد، حجر) وإغفال ترجمة الفعل المتعدّي المعطوف "وشفع فيه".

المثال الثاني (جزائر المحيط)

ن أ (الإدريسي)	ت1 (أمديه جوبير)	ت 2 (دوزيه ودي غويج)
وأيضـا أن في جزيرة لغوس المذكورة صـنم وثيق البناء لا يمكن الصـعود إليه وفي هذه	L'on ajoute que dans l'île de Lamghoch (ou de Lagos) on voit aussi	L'on ajoute que dans l'île de Lagous on voit aussi une colonne

الجزيرة يقال مات الذي بناه وهو **تبع ذو المرائد**[9] وقبره هناك في هيكل مبني من المرمر والزجاج الملوّن	une statue de construction très solide, dont l'accès est impossible. On dit que celui qui la fit élever y mourut, et que **ses héritiers** lui élevèrent un tombeau.	de construction très solide, et qu'il est impossible de parvenir à son sommet. On dit que Tobba Dzou 'l-Marâtsid, qui la fit élever, y mourut, et que son tombeau s'y trouve dans un temple bâti en marbre et en verre de couleur.

تحليل:

نتيجة لما وقع فيه صاحب الترجمة الأولى من أخطاء تأويلية في ترجمة لقب "تُبَّع"، وهو أرقى من الملك رتبة في النظام الملكي اليمني القديم، فقد عمد في نهاية الفقرة إلى حذف عبارة " **تبّع ذو المرائد**" من جهة وإضافة عبارة "**ses héritiers** " وهي غير واردة في النص الأصلي.

المثال الثالث

ن أ (الإدريسي)	ت1 (أمديه جوبير)	ت 2 (دوزيه ودي غويج)
لا سيما في بلاد لمتونة وهم يحكون عن هذا الحجر أنّ من أمسكه وسار في حاجة قضيت له بأوفى عناية **وشفع فيه**	(…) pour le pays de Lamtouna, dont les habitants prétendent que celui qui en est porteur réussit dans toutes ses entreprises.	(…) dans le pays des Lamtouna, qui prétendent que celui qui en est porteur réussit dans toutes ses entreprises.

تحليل:

[9] قرأنا في كتاب البداية والنهاية لعبد الله بن عباس: "ذكر جمع من المؤرخين أن ذا القرنين أحد التبابعة الاذواء اليمنيين من ملوك حمير باليمن كالأصمعي في تاريخ العرب قبل الاسلام، وابن هشام في السيرة والتيجان وأبى ريحان البيروني في الآثار الباقية ونشوان بن سعيد الحميري في شمس العلوم –على ما نقل عنهم –وغيرهم. وقد اختلفوا في اسمه فقيل اسمه مصعب بن عبد الله، وقيل: صعب بن ذي المرائد وهو أول التبابعة، وهو الذي حكم لإبراهيم في بئر السبع، وقيل: تبع الأقرن واسمه حسان، وذكر الأصمعي أنه أسعد الكامل الرابع من التبابعة بن حسان الأقرن ملكي كرب تبع الثاني ابن الملك تبع الأول، وقيل: اسمه " شمر يرعش ." وقد ورد ذكر ذي القرنين والافتخار به في عدة من أشعار الحميريين وبعض شعراء الجاهلية.

لجأت كلتا الترجمتين إلى حذف الفعل " شفع" الذي جاء في هذا المثال متعديّا إلى جار ومجرور "فيه" وهي من المتلازمات اللفظية (collocation) التي تُكسب الأفعال دلالات ضمنية تضاف إلى المعنى الأوّل. لغة، **شفع في الأمر** يعني كان وسيطا فيه، والشفاعة هي واسطة لقضاء حاجة. تحمل هذه العبارة معاني عديدة في الدين الإسلامي، وهي ترتبط بالتوسّل والاستغاثة بالله والرسول وأحيانا بالأولياء الصالحين. لكننا نرى أنّ الإدريسي قد استعمل مصطلح "الشفاعة " بمعنى "التعويذة"، أي ما يحمل أو يعلّق على الجسد للتوسّل إلى الله من أجل قضاء الحاجة. **وعليه، نقترح الترجمة التالية:**

« ...notamment dans le pays des *lamtouna* où l'on raconte que cette pierre intercède pour celui qui la porte afin qu'il puisse atteindre pleinement tout ce à quoi il aspire ».

المثال الرابع (جزائر المحيط)

ن أ (الإدريسي)	ت1 (أمديه جوبير)	ت 2 (دوزيه ودي غويج)
ويوجد أيضا بساحل هذا البحر أحجار كثيرة ذات ألوان شتى وصفات مختلفة **يتنافسون في أثمانها ويتوارثونها بينهم**	On y trouve aussi un grand nombre d'autres pierres de formes et de couleurs variées, **qu'on recherche beaucoup et dont on fait le commerce**, (…)	On y trouve encore un grand nombre d'autres pierres de formes et de couleurs variées, **qu'on recherche beaucoup et qui passent de père en fils par héritage**,

تحليل:

لا نجد في أيّ من الترجمتين فكرة "التنافس في الثمن"، وهي أن تباع الحجارة أو تشترى في المزاد. كما حذفت فكرة توارث الحجارة بين أفراد قبيلة لمتونة في ت 1، وهذا الكم الهائل من الحذف دليل على قلّة الصرامة والدقة ويؤدي بنا إلى تصنيف ت 1 خاصة ضمن الترجمات الناقصة. ونقترح الترجمة التالية:

« On trouve aussi sur les côtes de cette mer de nombreuses pierres de formes et de couleurs variés qu'ils vendent aux enchères et se transmettent par voie d'héritage ».

المثال الخامس (جزائر المحيط)

ن أ (الإدريسي)	ت1 (أمديه جوبير)	ت 2 (دوزيه ودي غويج)
ويوجد أيضا بساحل هذا البحر أحجار كثيرة (...) **فمن ذلك أحجار تعلق على الثدي الموجعة فتبرأ من وجعها مسرعا** ومنها أحجار تعلق للولادة فتسهل وأحجار يمسكها الماسك بيده ويشير على من شاء من النساء والأطفال فيتبعه ومثل هذه الأحجار عندهم كثيرة وهم بالرقى عليها مشهورون وبه معروفون.	On y trouve aussi un grand nombre d'autres pierres (…) **Telles sont celles qu'on emploie à combattre les humeurs nuisibles et à calmer promptement les douleurs qui en résultent** ; telles sont encore celles qui facilitent les accouchements ; celles au moyen desquelles, en faisant un signe à des femmes ou à des enfants, on s'en fait suivre. Les habitants de ces îles possèdent beaucoup de pierres semblables et sont renommés pour les **opérations magiques** qu'ils pratiquent (à l'aide de ces pierres), et auxquelles ils sont initiés.	On y trouve encore un grand nombre d'autres pierres (…) Telles sont celles que les femmes dont les mamelles sont malades suspendent sur leur sein et qui en calment promptement la douleur ; telles sont encore celles qui facilitent les accouchements, et celles au moyen desquelles, en faisant un signe à des femmes ou à des enfants, on s'en fait suivre. Ils (les Lamtouna) possèdent beaucoup de pierres semblables et sont renommés pour les opérations magiques qu'ils pratiquent à l'aide de ces pierres.

تحليل:

إنّ ما يلفت الانتباه هنا هو استمرار المترجم الأول (ت 1) في ممارسة إعادة الكتابة بـ:

– تأويله الخاطئ لما لا يحتمل التأويل: فاستعمال عبارة " **humeurs**[10] **nuisibles** "، وهي من وحي المترجم، تحمل معان ذات صلة بالطب التقليدي الشعبي القديم (غير الوضعي)، غير واردة تماما في (ن. أ).

– حذف جملة "**توضع على الثدي**" وهي جوهرية في التشاكل الدلالي القائم في هذه الفقرة.

10) (Vieilli) (Médecine non conventionnelle) Toute substance liquide qui se trouve dans un organisme. Par exemple, l'altération des humeurs cause diverses maladies.

أمّا الترجمة الثانية، فجاءت تصـــحيحية لأخطاء الترجمة الأولى، كما أشـــرنا إليه سالفا.

الحالة السادسة (جزائر المحيط)

ن أ (الإدريسي)	ت1 (أمديه جوبير)	ت 2 (دوزيه ودي غويج)
ومثل هذه الأحجار عندهم كثيرة وهم **بـالرقى عليهـا** مشـــهورون وبـه معروفون.	(...) Les habitants de ces îles possèdent beaucoup de pierres semblables et sont renommés pour les opérations magiques qu'ils pratiquent (à l'aide de ces pierres)، et auxquelles ils sont initiés.	Ils (les Lamtouna) possèdent beaucoup de pierres semblables et sont renommés pour les opérations magiques qu'ils pratiquent à l'aide de ces pierres.

تحليل:

في هذا المثال كذلك، لجأت الترجمتان (ت 1 و ت 2) إلى المكافئ اللغوي لـ "الرقي"/ opérations magiques ، بدلا من الاقتراض، وهذا دليل آخر على بعد المســـافة الثقافية بين اللغتين. لغويا، يقصـــد بالرقي أو الرقية العوذة التي يُرقّى بها المريض ونحوه، ورقى المريض يعني عوّذه وقرأ له ليشفي: "باسم الله أرقيك والله يشفيك". أمّا صيغة الفعل المتعدي "رقى على"، فلم نجد لها أثرا في اللسان العربي المتداول، ونعتقد أنّها تعبير محلّي أو شخصي.

وعليه، نقترح الترجمة التالية:

"Ce genre de pierres est très répandu chez eux, et ils sont fort renommés par leur usage dans la *ruqiya*."

1.2.6 الميل السادس: الإفقار الكمي

إلى حدّ الآن، لم نجد أيّ مثال عن هذا النوع من الإفقار في الترجمات المتتالية. والســـبب في ذلك يعود إلى طبيعة النص الجغرافي العربي الوســـيطي الذي لا تكثر فيه ظاهرة التعدد الدلالي (polysémie)، كما هو الشـــأن في النثر الروائي والشـــعر. والتعددية الدلالية تثبت فكرة عدم وجود المرادفات اللغوية التامة، وأنّ لكلّ مرادف معنى تضـــمينيا

"حسـيّا". وغالبا ما يكون اسـتعمال الترادف داخل العمل الروائي أو القصـة مقصـودا فلا ينبغي على المترجم اختزاله بل مراعاة صفة التعددية الدلالية فيه.

1.2.7 الميل السابع: هدم الإيقاعات

وفق المنظور البرماني، يتجلى هدم الإيقاع خاصـــة في تغيير علامات الوقف والتركيبة النحوية للجمل. وعليه، نستطيع ضمّ كلّ الأمثلة السابقة للعقلنة إلى هذا الصنف، وهي كثيرة فلا داعي لتكرارها. وسنكتفي بهذا الجدول الذي يظهر فيه هدم الإيقاع بصورة جديدة:

المثال الأول (جزائر المحيط)

ن أ (الإدريسي)	ت 3 (محمد حاج صادق)	ت 4 (بريسك ونيف)
ومنها جزيرة خســـرا[11]ن وهي أرض واسعة وفيها جبل عال في سفحه ناس سمر قصار ولهم لحى تبلغ ركبهم ووجوههم عراض ولهم آذان كبيرة وطعامهم وعيشهم مما تنبته الأرض هناك من الحشيش وموافق النبات مثل ما تأكله البهائم وعندهم نهر صـــغير عذب يجري من تحت الجبل وفيه جزيرة الغور وهي كبيرة الطول والعرض كثيرة الأعشـــاب والنبات وفيها أنهار وغدران وآجام تأوي إليها حمر وبقر لها قرون طوال جدا.	5._ Ḫusrân (= la perdition) : vaste territoire où s'élève une haute montagne au pied de laquelle vivent des gens au teint brun, de petite taille, avec des barbes qui leur descendent aux genoux, des faces larges et de grandes oreilles ; comme des animaux, ils se nourrissent d'herbes et de plantes. Une petite rivière d'eau douce prend sa source au pied de la montagne. 6._ Al-Ġawr (= le bas-fond) est assez longue et assez large ; a beaucoup d'herbes et de plantations ; des cours d'eau, des étangs, des fourrés où se cachent des ânes sauvages et des bovins à très longues cornes.	On remarque ensuite l'île de Husrân* (« la perdition »), d'une étendue considérable et dominée par une haute montagne au pied de laquelle vivent des hommes de couleur brune, de petite taille et qui portent une barbe qui leur descend jusqu'aux genoux. Ils ont le visage large et de longues oreilles ; ils mangent et vivent de ce que la terre produit, soit d'herbes et de végétaux semblables à ceux dont se nourrissent les animaux. Il y a dans cette île une petite rivière d'eau douce qui coule de la montagne. L'île de Ghawr*, qui est aussi longue que large, abonde en herbe et en plantes. On y trouve des rivières, des lacs et des forêts denses qui servent de retraite à des ânes et à des bœufs qui ont de très longues cornes.

[11] "حسران" و"حسرات" في مخطوطات أخرى.

تحليل:

إذا كان "هدم الإيقاع" يتجلّى في سلسلة الترجمات فهو أكثرا وقعا في ت 3، حيث لجأ المترجم م. حاج صادق إلى **إعادة الكتابة** بتحويل التركيبة النحوية واعتماد مادة شكلية مغايرة تماما للمادة الأصلية، باستحداث جهاز ترقيمي خاص يضمّ 198 مادة، تدلّ كلّ مادة فيه على موقع جغرافي معيّن وما يرتبط به من سكان وحياة اقتصادية ونبات وحيوان. لهذا يصبح هذا الجدول نمطيا يمكن تعميمه على ترجمة محمد حاج صادق، ويكون هدم الإيقاع الميل التحريفي الرئيسي في هذه الترجمة.

1.2.8 الميل الثامن: هدم شبكات الدلالة التحتية

يقصد بهدم الترجمة لشبكات الدلالة التحتية هدمها لكلّ الإشارات الخارجة عن النص التي يحيل بها الكاتب بصفة غير مباشرة لأعمال أخرى ذات صلة بعمله. وقد تظهر الشبكة التحتية كذلك في استعمال الكاتب لشبكة دالة من المفردات المتباعدة فضائيا والتي يبنيها (باستعمال اللواحق والسوابق في اللغة الفرنسية مثلا) وينسّقها خدمة لنظرته الخاصة والمقصود من القول. لكن التعالق النصي عند الإدريسي مقصور على استشهادات منفصلة واضحة (غير ضمنية)، فلا يمكنه أن يشكل شبكة سفلية من الدلالات تختفي وراء النص الظاهر المعروض للقراءة، وعليه لا تطرح إشكالية الهدم هنا على الترجمة. على سبيل المثال، يبرز إجراء الاستشهاد في النص الأصلي في ذكر ما أورده صاحب كتاب العجائب (يقصد به المسعودي) مثلا:

1- " ... ومن علوّ هذا الجبل في الهواء **حكى صاحب كتاب العجائب عنه أنّ السحاب تمطر المطر دونه ولا تصيب رأسه...**".

2- " ... منها وتليها جزيرة راقا ... ويقال أنّ بها ثمرا يشبه التين الكبير وأكله ينفع من جميع السموم **وحكى صاحب كتاب العجائب أنّ ملكا من ملوك إفرنجه أُخبر بذلك فوجّه إليه بمركب معدّ ليجلب له كمن ذلك الثمر...**".

1.2.9 الميل التاسع: هدم النسق

يكون هذا الميل التحريفي نتيجة حتمية للميل الأول والثاني والثالث: فالعقلنة والإيضاح والتمديد غير الضروري من شأنهم هدم النسق اللفظي الذي بني وفقه النص الأصلي. ويظهر هذا الميل من خلال تغيير الطابع الزمني واستبدال الجمل التابعة وتغيير التراكيب النحوية. من هذا المنظور البرماني، نستطيع القول أنّ كلّ الأمثلة التي استخرجناها سابقا تندرج إذن في خانة هدم النظام اللغوي الأصلي. وتفاديا للتكرار، سوف نركّز اهتمامنا على بعض الأمثلة التي يكون فيها تغيير التركيبة النحوية تمييزيا بالدرجة الأولى:

المثال الأول (جزائر المحيط)

ن أ (الإدريسي)	ت 3 (محمد حاج صادق)	ت 4 (بريسك ونيف)
وفي هذا البحر جزيرة الغنم وهي جزيرة كبيرة والظلمات بها وفيها من الغنم ما لا يحصى عددها وهي صغار ولا يقدر أحد أن يأكل لحومها لمرارتها وقد أخبر بذلك أيضا المغرّرون.	10.- Al-Ġanam (= les Ovins), grande île entourée de ténèbres et dans laquelle vivent d'innombrables ovins de petite taille, dont personne à en croire al-Maġrūrūn, ne peut manger la chair tellement elle est amère ;	Dans cette mer, il y a également une grande île couverte de ténèbres. On l'appelle Jazîrat al-Ghanam* (« île des moutons », car ils y sont innombrables. Mais ils sont petits et personne ne peut les manger tant leur chair est amère, d'après le récit des « Aventuriers ».

المثال الثاني (جزائر المحيط)

ن. أ	ت 3 محمد حاج صادق (1983)	ت 4 (بريسك ونيف، 1999)
وفيه جزيرة الغور وهي كبيرة الطول والعرض كثيرة الأعشاب والنبات وفيها أنهار وغدران وآجام تأوي إليها حُمر وبقر لها قرون طوال جدّا.	6.- Al.Ġawr (= le bas-fond) est assez longue et assez large ; a beaucoup d'herbe et de plantations ; des cours d'eau, des étangs, des fourrés où se cachent des ânes sauvages et des bovins à très longues cornes ;	L'île de Ghawr*, qui est aussi longue que large, abonde en herbe et en plantes. On y trouve des rivières, des lacs et des forêts denses qui servent de retraite à des ânes et à des bœufs qui ont de très longues cornes.

تحليل:

إنّ تغيير التركيبة النحوية في ت 3 يمس الشكل العام للنص الأصلي كما أسلفنا، ونحن نرى في هذا تحويلا لوظيفة النص. حيث ينتقل المترجم من أسلوب الحكي إلى أسلوب التصنيف "المعجمي" إلى حدّ ما.

1.2.10 الميل العاشر: هدم شبكات اللهجات المحلية

لم نسجّل أيّ مثال عن هذا الميل في الشذرات المختارة للتحليل. ويعود هذا إلى طبيعة النص الجغرافي التاريخي والأسلوب المستعمل.

1.2.11 الميل الحادي عشر: هدم التعابير الاصطلاحية

لم نسجّل أيّ مثال عن هذا الميل. ويعود هذا إلى طبيعة النص الجغرافي التاريخي والأسلوب المستعمل.

1.2.12 الميل الثاني عشر: محو التراكبات اللغوية

لم نسجّل أيّ مثال لمحو التراكبات اللغوية في الشذرات المختارة للتحليل. ويعود هذا إلى طبيعة النص الجغرافي التاريخي والأسلوب المستعمل.

1.3 قياس القرب الثقافي: تحليل المناص

لقد حصرنا القرب الثقافي في هذه الدراسة في مسألة جوهرية بالنسبة لظاهرة إعادة الترجمة وهي تحليل المصاحبات النصية التي تبرز خاصة وضعية المترجمين في النظام الثقافي السائد أثناء الترجمة الأولى وإعادة الترجمة.

1.3.1 مقدّمة دوزيه ودي غويج

جعلت المقدمة هنا في 23 صـــفحة، وفق مخطط ضـــمني يمكّننا أولا من تحديد السياق التاريخي للكتابة الأولى، أي نص النزهة، حيث نستنتج من قراءتنا للأسطر الأولى للمقدمة أنّ الظرف كان مواتيا للقيام بها:

في هذه الفقرة تعبير عن زمن الكتابة، وهو القرن الوسيط المسيحي، ومكان الكتابة، وهو صقلية الإيطالية. كما نجد إشارة تقييمية إلى سماحة الأمراء النورمان تجاه المسلمين المقيمين بالجزيرة والذين كانوا يمثّلون أغلبية رعاياهم. ويبرر المترجمان تلك الســـماحة بكون الأمراء النورمان متأثرين للغاية بثقافة الشرق إلى حدّ القول إنهم شبه عرب.

ولم تخلُ المقدمة من ذكر مزايا كتاب النزهة (قســـم إفريقيا وإســـبانيا)، وفي هذا الســـياق يكتفي المترجمان دوزيه ودي غويج بما أورده م. رينو M.Reinaud، وم.دوســـــلان M. de Slane، وم.أماري (ص V). كما أدرج المترجمان في مقدمتهما تعليقات وملاحظات حول الترجمة، وذكرا النصـــوص الفوقية ذات الصـــلة بالنص المترجم. وأشـــارا باقتضـــاب إلى بيوغرافيا المترجمين، وإلى لغة النص الأصـلي. أمّا ذكرهما لهفوات ونقاط ضـعف الترجمة الأولى الذي جاء في الفقرة الأخيرة من المقدمة، **فيؤكّد بوضـــوح مبدأ " الكمال" الذي بُنيت عليه فرضية إعادة الترجمة.**

1.3.2 مقدّمة محمد حاج صادق

جاءت المقدمة مطوّلة (ســتة وأربعين صــفحة)، وهذا دليل على تراكم المعرفة حول الموضوع وصاحبه الإدريسي، حيث استهلّ المترجم محمد حاج صادق بذكر سلسلة نسب

الشـريف الإدريسـي بألقابه السـبعة الأخرى[12]. غير أنّه ألحّ على قلّة اهتمام كتّاب التراجم والجغرافيين المشارقة أو علماء المغرب بحياة الإدريسي:

« On a dit qu'il y a eu « conspiration du silence » envers un « renégat » au service d'un despote mécréant, à une époque où toute la race de ce despote portait des coups de boutoir à l'islâm, partout : en Espagne, au Magrib, au Proche Orient (introduction, p.15).

" لقد قيل إنه كانت هناك "مؤامرة صـمت" ضـد "مرتد" في خدمة طاغية كافر، في وقت كانت فيه ملّة هذا المستبد منهمكة في ضرب الإسلام في كل مكان: في إسبانيا، في المغرب، في الشرق الأدنى" (ترجمتنا).

ونتساءل عن استعمال المترجم محمد حاج صادق لصيغة المجهول في هذه الجملة الهامة التي تعبّر عن موقف العرب والمسـلمين من بني ملّتهم، الإدريسـي. واكتفى بتعليق خارج نص المقدمة (ملاحظات عن المقدمة، ص.48) صدر عن الأستاذ قنّون بدون ذكر المرجع الكامل. كما يشـكّك في صـحة بعض المعلومات والأخطاء بخصـوص مسـاره العلمي (ص.17) وشـهاداته الحيّة عن الكثير من المناطق (ص.17). وأكثر من ذلك، فهو يشـكك في اسـتعمال الإدريسـي لبعض العبارات داخل نص "النزهة" كقوله: الآن، في هذا الوقت، حين تأليفنا هذا، رأيت، رأينا، شـاهدتُ، عاينتُ، ...التي تدلّ على الملاحظة الآنية للأماكن التي زارها الكاتب (ص.18). ويعطي مثالا واضـحا عن عدم ثبوت هذه الشهادات كان دافعا لرفضه أو عدم تصديقه لبعض الأخبار (ص.18).

وخلافا لما أورده المترجمان السـابقان، يقدّم محمد حاج صـادق دلائل كثيرة عن واقع المسـلمين في صـقلية الذين كانوا إمّا يعانون من بطش الملوك النورمان أو يجبرون على اعتناق المسـيحية أو يفرون إلى بلاد المسـلمين، علما أنّ هذا لم يحدث في عهد روجار الثاني، بل في عهد غيوم الأول الذي تلاه على الحكم.

رغم كلّ النقاط السوداء التي يذكرها محمد حاج صادق بخصوص وضعية المسلمين العرب في صـقلية وإشـاراته إلى أفول نجم ملوك الطوائف ومن بينهم الحموديّين الأدارسـة،

[12] لقّب بالشـريف لانتمائه إلى سـلالة الرسـول محمد صـلى الله عليه وسـلم، والثعالبي والعلوي والحسـني والإدريسـي، والحمّودي والقرطبي والصقلي (المقدمة، ص.11 – 13).

فهو يقرّ بمكانة الثقافة العربية تحت حكم الروجارين، الأول والثاني (ص. 28). ولم تفُته الإشارة إلى الاهتمام الكبير الذي أولاه المستشرقون والمعرّبون الأوروبيون لشخصية الإدريسي وعمله الجغرافي.

ما عدا هذا، لم نجد في مقدمة الترجمة أيّة إشارة صريحة إلى سبب لساني لإعادة الترجمة.

1.3.3 مقدمة هانري بريسك وأنلييس نيف

بعد إعطائه لنبذة عن حياة صاحب النص الأصلي وأعماله، يبدأ المترجم بذكر الترجمات السابقة ابتداء من 1836 قائلا: " كان نص الإدريسي محلّ ترجمة فرنسية كاملة وحيدة وهي ترجمة أمديه جوبير الصادرة عن المطبعة الملكية ما بين 1836 و1840. وعلى غرار الترجمات التي قام بها كبار المستشرقين في القرن الماضي... وهما الميزتان اللتان أثنى عليهما رينهارت دوزيه. اعتمدت هذه الترجمة على مخطوطي باريس " للجغرافيا" (أنظر المراجع) إلاّ أنّها تشكو من بعض النقائص والهفوات وأخطاء الفهم لنصّ الإدريسي، ممّا جعل مراجعة الترجمة أمرا ضروريا:

" اعتمدنا في مراجعتنا على طبعة ... المعهد الشرقي بنابولي (روما–نابولي، 1970–1978). يحتوي هذا النص على فروق طفيفة مقارنة بالمخطوطات التي اعتمدها جوبير وهي تخصّ أساسا الجزأين الرابع (Péloponèse،IV) و 7.1(إنكلترا).

أمّا عن ملاحظاتها الشخصية فتقول أنلييس نيف: "جاءت ترجمتنا لبعض الكلمات حرفية لتمكين المعرّبين من معرفة ما يختفي وراء بعض المفردات المفتاحية. استثنائيا، وضعنا الكلمة العربية المنسوخة بين قوسين". تضمّ المجموعة الأولى المفردات التي تحيل إلى طبيعة الإقامات البشرية (التجمّعات؟). يتغير معناها حسب الجهات والمناطق. ترجمت قرية بـ village دون استثناء. غير أنّنا في الجزء 4.2 بخصوص صقلية (Sicile)

خصّصنا ترجمة village لكلمة "منزل" كما أشرنا إلى بعض استعمالات كلمة "قرية" بين قوسين[13]".

كما تركّز المترجمة على ترجمة بعض الكلمات ذات المرجعية الثقافية: قرية (village)، قلعة (forteresse)، حصن (bourg/ bourgade fortifiée)، قصر (village fortifié)، مُنية (village)، رحل (domaine agricole)، معقل (point fortifié)، إقليم (district)، عمال (circonscription)، ضيعة (exploitation agricole)، سوق (marché)، فندق (hôtellerie)، عرب (nomades/Arabes/nomades arabes)، عامر (prospère)، متحضّر (de caractère urbain).

ونستخلص من هذا التدقيق اللساني في استعمال المكافئات في صلب المقدمة أنّ المترجمة تعترف ضمنيا بهفوات الترجمات السابقة ونسبية المعاني المنسوبة إلى المصطلح الثقافي عموما.

[13] نلاحظ بدورنا أنّ المترجمة أنلييس نيف تبرّر تنوّع الترجمة استنادا إلى التعدّد الدلالي أو الخصوصيات الثقافية واللغوية لكلّ منطقة.

خلاصة الفصل الأول

نرى من مجموع الحالات المدروسة أنّ كلّ ترجمة تقع في حدود المشروع التي جاءت من أجله، وأنّ اختيارات المترجمين تتضح كلّما تمّ تحديد السياق التاريخي الذي أنتجت فيه الترجمات المختلفة. ولا شكّ في أنّ فعل إعادة الترجمة يعكس موقفا انتقاديا بالدرجة الأولى، وأنّ كلّ الترجمات قد اعتمدت إجراء التطويع والتكييف وفق زاوية نظر خاصة وهذا يثبت فكرة ذاتية المترجم ومرئيته.

تشكّل العقلنة الميل التحريفي الأكثر شيوعا في الترجمات الفرنسية لـ "النزهة". بالإضافة إلى تكييف نظام علامات الوقف بالنظام الفرنسي السائد، وتتجسّد العقلنة هنا في التكييف النحوي للنص بإعادة ترتيب الكلمات داخل الجمل.

كما نستنتج من الحالات المدروسة ضمن الترجمات الفرنسية لـ "النزهة"، أنّ الميل إلى التمديد جاء معتبرا ومتساويا في الترجمتين المتعاقبتين. وهذا يدلّ على تقارب الخيارات الأسلوبية لدى المترجمين رغم الفارق الزمني الذي يفصلهما. وإذا كان التمديد يترتّب حتما عن الميلين السابقين وهما العقلنة والإيضاح غير الضروري، فيبدو هنا أكثر وقعا على الإيقاع الشامل للنص الأصلي وهو بذلك يعكس صورة محرّفة تماما لأسلوب الإدريسي.

إنّ ندرة حالات التنميق في سلسلة الترجمات الفرنسية لمخطوط النزهة تدلّ على التوازن اللغوي بين اللغتين-الثقافتين العربية والفرنسية في العصر الوسيط حيث لا يظهر منطق تفوّق لغة الترجمة من خلال ما يسمّيه أنطوان برمان "التمركز العرقي الأوروبي" الذي يفرض سيطرته الفكرية من خلال أنماط معيّنة من الكتابة يكون التنميق فيها جوهريا.

كما تبيّن لنا من الحالات المدروسة هنا أنّ الإفقار النوعي هو أكثر الحالات التحريفية مساسا بالنص الأصلي. فالأخطاء المعجمية والتأويل الخاطئ للمعنى وعدم القدرة على فكّ الرموز الثقافية والتفرقة بين الكلمات المتجانسة، كلّها عوامل من شأنها تفكيك وحدة النص الدلالية التي وحدها تكفل تجاوز صعوبات الترجمة. وما دام إجراء الحذف أو الإغفال معتبرا عند أمديه جويبر، فيمكن اعتباره كلازمة مقصودة أراد منها المترجم تكييف نص الوصول بمعايير الكتابة النثرية الفرنسية.

وكون الميول التحريفيــة أكثر كثــافــة في ت 1، يحملنــا إلى دعم فكرة النقص الفيلولوجي الفادح الذي نسبه المترجمان دوزيه ودي غويج للمترجم الأول لكتاب النزهة أي أمديه جوبير ويكون تبريرا "موضوعيا" لإعادة الترجمة.

من جهة أخرى، وخلافا لما ســـوف نلاحظه في إجراءات الترجمة الأولى لكتاب "الرحلة"، بحوزتنا ما يكفي من الحجج في هذه الحالة لدعم "فرضـــية إعادة الترجمة" التي تلحّ على النقص الفيلولوجي وهفوات الترجمة الأولى لأيّ عمل أدبي كان. ولجوء الترجمة الثانية إلى مراجعة الترجمة الأولى وتصـــحيح أخطائها ســـببا كافيا لتصـــنيفها ضـــمن الترجمات المعادة التصحيحية.

ولا يمكن اعتبار هدم الإيقاع كميل أساسـي في الترجمة، بل نتيجة حتمية لما يسبقه من ميول تحريفية. ومن الواضـــح أنّ الترجمة التي يكون فيها هدم الإيقاع خاصـــية ثابتة تراهن كثيرا على الابتعاد عن الأصل. ونعتقد أنّ السبب الرئيسـي لإعادة الترجمة في هذه الحالة يكون بدافع الذاتية أي الرغبة في إعادة تشـكيل وصـياغة المادة الأوّلية، أي تكييف الموضـــوعة مع تاريخانية جديدة تأخذ في الاعتبار كلّ المعارف المتراكمة حولها بفعل الزمن. وهذا النوع من الترجمة لا يحترم وحدة النص (الشــكل والمضــمون معا) ويفضّــل ترجمة المعنى (sens) على ترجمة الدلالية (signifiance). ونسـتنتج من الحالات المدروسـة أنّ هدم الإيقاع من خاصـيات ت 3، أي ترجمة محمد حاج صـادق، ونتسـاءل عن دوافع هذا المشـروع الترجمي الذي ربما نجد له بعض التفسـيرات الموضـوعية من خلال تحليل المناص؟

أمّا بالنسـبة لهدم التنسـيقات اللغوية، فيأتي هذا الميل التحريفي نتيجة حتمية للميول السـابقة: فالعقلنة والإيضـاح والتمديد غير الضـروري من شـأنهم هدم التنسـيق اللغوي الذي بني وفقه النص الأصـــلي. ويظهر هذا الميل من خلال تغيير الطابع الزمني واســـتبدال الجمل التابعة وتغيير التراكيب النحوية. من هذا المنظور البرماني، نسـتطيع القول أنّ كلّ الأمثلة المدروسـة تندرج إذن في خانة هدم النسـق اللغوي الأصـلي. وما دام الحال كذلك، لا يمكن اعتبار هذا الميل ميلا أساسيا ويمكن بذلك دمجه ضمن الميول الأولى.

الفصل الثاني

تحليل مدونة "الرحلة" وترجماتها الفرنسية

2.1 تحديد السياق التاريخي للمدونة الأصلية وترجماتها الفرنسية

ما دمنا قد اعتمدنا في هذا البحث المنهج الشمولي، فكان لا بدّ علينا من تحديد السياق العام للكتابة (النص الأصلي) وإعادة الكتابة (النص المترجم). الأمر الذي لن يتأتى إلاّ بالرجوع إلى أصحاب تلك المشاريع والظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية التي مهّدت لظهور مؤلفاتهم. فكل مشروع للكتابة يولد داخل نظام معياري تنافسي يسعى فيه كل من الأدب والثقافة والعلم إلى فرض وضعيته السلطوية. ومن خلال هذا السياق كذلك يبرز " النص الفوقي" المصاحب للنصوص كما حدّدناه في القسم النظري لهذه الأطروحة.

2.1.1 من هو ابن بطوطة؟

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي، الشهير بابن بطوطة. وُلد في مدينة طنجة عام 703هـ/ 1304م، ويُنسب إلى قبيلة لواتة البربرية، التي انتشرت بطونها على طول سواحل إفريقية حتى مصر، وينحدر من أسرة عالية، أُتيح لكثير من أبنائها الوصول إلى منصب القضاء والنبوغ في العلوم الشرعية (حميدة، 2008، ص. 559).

وفي طنجة درس ابن بطوطة العلوم الشرعية وفقًا للمذهب المالكي السائد في أقطار المغرب، ولكن يبدو أنه لم يُتِمَّ دراسته؛ لأن سنَّ الحادية والعشرين التي خرج فيها للرحلة تدلُّ على أنه لم ينتظر حتى يستكمل دراسة الفقه؛ لأن الدراسة في ذلك الوقت كانت تطول فلا يفرغ الشاب من دراسته إلا في حدود الثلاثين، والواضح أن رغبته في السفر والتجوال أعجلته عن إتمام الدراسة (مؤنس، 1980، ص. 17). وهو من أعظم الرحَّالة المسلمين وأوسعهم شهرة، سُمِّيَ بشيخ الرحالين لكثرة طوافه في الآفاق، فقد أمضى حوالي ثماني وعشرين عامًا من حياته في أسفارٍ متصلة ورحلاتٍ متعاقبة. كان أوفر الرحَّالين نشاطًا واستيعابًا للأخبار، وأشهرهم عناية بالحديث عن الحالة الاجتماعية في البلاد التي تجوَّل فيها، كما كان من المغامرين الذين دفعهم حبُّ الاستطلاع إلى ركوب الكثير من الصعاب. كان الدافع وراء خروج ابن بطوطة لرحلاته أولاً أداء فريضة الحج، إضافةً إلى رغبته في رؤية أحوال الناس في مختلف الأقطار، وشوقه إلى المعرفة، وولعه بالتنقل والمغامرة والتجربة، ومعرفة أحوال الدنيا من حوله. بدأت رحلة ابن بطوطة الأولى من مدينة طنجة عام 725هـ/ 1326م، حيث طاف بأنحاء المغرب الأقصى، ثم اتجه نحو الشرق عبر الجزائر أو المغرب الأوسط، ثم إلى تونس وليبيا، وانتهى به المطاف في مصر. ومن الإسكندرية اتجه جنوبًا إلى القاهرة ثم إلى الصعيد حتى وصل إلى ميناء عيذاب على ساحل البحر الأحمر، ثم عاد إلى القاهرة وتابع رحلته إلى مكة المكرمة عن طريق بلاد الشام (رمضان، 1945، ص. 370) وبعد أداء فريضة الحج اتجه إلى العراق وإيران وبلاد الأناضول،

ثم عاد إلى الحجاز وحج للمرة الثانية، وبقي في مكة سنتين. وفي عام 730هـ/ 1329م غادر الحجاز إلى اليمن وبلاد الخليج العربي، وقد تحدث ابن بطوطة عمّا وجده هناك من تقاليد وعادات وأنواع أطعمة غريبة لم يشاهدها من قبل، ثم سار في الخليج العربي متجهًا إلى البحرين والأحساء (المرجع نفسه، ص.371).

بعد ذلك اتجه ابن بطوطة إلى بلاد الروم (الدولة البيزنطية)، ومنها عاد إلى مكة ليحج للمرة الثالثة، ثم قطع البحر الأحمر فوصل إلى وادي النيل كي يحاذيه باتجاه الشمال قاصدًا سوريا، ومنها ركب البحر من اللاذقية قاصدًا آسيا الصغرى حيث نزل ميناء آلايا، ومنه إلى ميناء سينوب على البحر الأسود، ثم قصد شبه جزيرة القرم، وتوغل حتى بلاد روسيا الشرقية، وهناك انضم إلى سفارة السلطان محمد يزبك الذاهبة إلى القسطنطينية، وعاد إلى القرم كي ينطلق منها إلى بخارى وبلاد الأفغان، إلى أن وصل إلى دلهي على نهر الغانج فاستقر بها مدة عامين، عمل خلالهما قاضيًا للمذهب المالكي.

ولقد حاول أن يرافق بعثة سياسية أرسلها سلطان الهند محمد شاه إلى ملك الصين، فلم يتجاوز جزائر (ذيبة المهل)، حيث استقر مدة سنة ونصف تولى فيها منصب القضاء، وبعدها استمر في رحلته عن طريق ساحل البنغال، ودخل بلاد الهند الشرقية وجزر إندونيسيا، ووفّق إلى زيارة الثغرين الصينيين زيتون (تسوتونج) وكانتون، ثم قفل إلى الجزيرة العربية عن طريق سومطرة والهند في 748هـ/ 1347م، ومنها صعد في الخليج العربي، وعاد إلى بلاد فارس عن طريق ميناء هرمز، ثم سافر إلى العراق فبلاد الشام، فمصر، ومنها انطلق إلى مكة ليؤدي فريضة الحج للمرة الرابعة (حميدة، 2008، ص. 560). ثم واصل سيره عائدًا إلى بلاده عبر مصر وتونس والجزائر حتى وصل فاس في المغرب الأقصى عام 750هـ/ 1349م، وبعد أن قام فيها مدة عام، عاوده الشوق والحنين إلى الارتحال، فقام برحلة عام 751هـ/ 1350م إلى غرناطة بالأندلس (رمضان، 1945، ص ص.379-380).

ثم رجع إلى فاس ليهيئ نفسه لرحلة إلى إفريقية الغربية عام 754هـ/ 1353م، فدخل تومبوكتو وهكار، ومنها عاد إلى المغرب عن طريق مدينة توات، ليستقر هناك حتى أدركته المنية (حميدة، 2008، ص. 560).

هكذا أمضى ابن بطوطة أكثر عمره في الترحال بين المدن والبلدان؛ من أجل رؤية عادات الشعوب والأقوام، وليسجل لنا تلك الأحداث التي أصبحت دربًا يسلكه كل من أراد المضي في هذا المجال. توفي ابن بطوطة في مراكش عام 779هـ/ 1377م، وقد أطلقت عليه جمعية كمبردج لقب "أمير الرحّالين المسلمين".

2.1.2 السياق التاريخي للمغرب الأقصى والعالم الإسلامي عند ظهور مخطوط الرحلة

" لم يكن رحّالتنا مؤرخا، لكن الخلفية التاريخية للعالم الإسلامي في القرن الرابع عشر تتجلى من روايته، حيث نرى أنّ المسالك البرية والبحرية كانت حينئذ بين يدي التجار المسلمين. وكانت التجارة مزدهرة وكان العالم الإسلامي "مستقرا نسبيا ومشجعا على الرحلات" (ڤيب، 1929، ص. 17). وكان المغرب الأقصى تحت حكم أبي الحسن المريني (1331 – 48) وابنه أبي عنان (1348 – 58) " مثقّفا " وذا زرع وافر. غير أننا لن نترك جانبا ملاحظات جاك بيرك (1949، ص. 78) التي تشير إلى " انفجار المؤسسات الأهلية إثر استقرار العرب الهلاليين وتدهور ثقافة الحضر المترتب عنه... من بلد ذي قرى زراعية محاطة بأشجار الزيتون والكروم إلى مجتمع بلدي، تحول المغرب الأقصى إلى بلد سهبي أو بلد مزارعين غير مستقرين " (مونتاي، كما ورد في ديفريميري، ص. XVIII). وفي مقدمة الطبعة الجديدة لترجمة سنجوبناتي وديفريميري (1982)، يتحدث ستيفان يراسيموس مطوّلا عن الظروف التاريخية التي جاءت فيها رحلة ابن بطوطة لخصناها على هذا النحو:

(...) عندما غادر ابن بطوطة موطنه الأصلي في 14 يونيو 1325، لأداء فريضة الحج الأولى، كان المغرب العربي قد أنجز بالفعل تقسيمه الثلاثي الذي سيصبح من الثوابت في تاريخه السياسي. وكان أفول نجم إمبراطورية الموحّدين، التي تمكّنت من توحيد شمال إفريقيا إلى حدود مصر، سببا في بعث الحركة الطاردة للقبائل. وفي الوقت الذي يبلور فيه الزناتة من بني مارين وبني عبد الواد المعارضات، فهم يتبعون مسارات مختلفة.

(...) وأهم ما في الأمر أن ابن بطوطة ينتقل من تلمسان إلى تونس عبر قسنطينة في خضم الحرب الأهلية دون أن ينبس ببنت شفة في نصه. هذا من شأنه أن يفسر ذلك التعديل الطفيف في التواريخ إمّا رغبة في تجاهل الأحداث المثيرة للفتنة أو سهوا منه. وسيكون خبر إعادة توحيد المغرب العربي تحت حكم المرينيين حافزا في عودة ابن بطوطة من مصر إلى وطنه كما سنرى ذلك في المجلد الأخير" (ترجمتنا).

2.1.3 "الرحلة": نشرها وتلقيها

جاءت نصوص الرحلة في شكل مخطوطات دوّنت لأول مرة على يد ابن جزي الكلبي (1321 – 1356) الكاتب الغرناطي للسلطان المريني أبو عنان (1348 – 1358) بمدينة فاس. انتهت كتابة "الرحلة" بعد ثلاثة أشهر من عمل مشترك جمع الرحالة ابن بطوطة بالكاتب ابن جزي، أي في التاسع من ديسمبر 1355، تضم النصوص الأخبار التي أملاها ابن بطوطة عن حفظ على الكاتب ابن جزي الذي أدخل عددا من الإضافات أراد بها تنميق النص بأسلوبه الجميل ومقتطفات من الشعر (غالبا مع الإشارة المرجعية). يمكن تصنيف رحلة ابن بطوطة ضمن الروايات البيوغرافية الذاتية المطولة.

2.1.3.1 نشرها وتلقيها في الغرب

يتفق الكثيرون على أنّ ابن بطوطة لم يترك خلفه أي إنتاج أدبي، سوى سردٍ لأسفاره في مخطوط " تحفة النظار في عجائب الأمصار وعجائب الأسفار"، الشهير بكتاب الرحلة. وهذا كلام غير صحيح فنّده المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي في تحقيقه للرحلة مستشهدا بما أورده ابن سودة في كتابه "دليل مؤرخ المغرب الأقصى" الذي يذكر فيه أنّ لابن بطوطة تأليفا آخرا يحمل اسم "الوسيط في أخبار من حلّ تمنطيط"، وهو مجلد ضخم (ابن سودة، كما ورد في التازي، 1997، ص. 86).

صدر مخطوط الرحلة بأمر من السلطان المغربي أبو عنان فارس المريني الذي أعجب برحلات ابن بطوطة وقصصه المشوقة فطلب منه أن يمليها على كاتبه محمد بن جزيّ الكلبي الغرناطي، وقد أطلق ابن جزي على الكتاب اسم تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. فهو إذن عمل مشترك قام به ابن بطوطة وابن جزي: الأول أملاها من حفظه على الثاني، بعدما كانت مذكراته قد ضاعت منه في حادثة لصوصية بالمحيط الهندي. يتفق الكثير من المحققين في مخطوط ابن بطوطة على كون ابن جزي قد كتب الإملاءات من إنشائه، مع احتفاظه ـ أحيانا ـ بكلام الرحالة على وضعه، وقليلا يضيف زيادات من كلام بعض الرحالة السابقين (خاصة ابن جبير في وصف مدينة صور مثلا) والشعراء (غالبا بدون الإشارة إلى المرجع)، أو من كلامه نفسه وهذا واضح في نص الرحلة. فالسرد هنا ثنائي الصوت والتناص فيه واضحا: حيث صبغه كل منهما بطابعه الخاص، وجعل فيه ابن جزي أسلوبه الذي لا يخلو من صنعة وتكلف وتنميق، فهو " كتاب سلس الإنشاء، وفيه رواية حوادث نادرة فكهة، وتقاليد شاذة، وقد أحس ابن بطوطة بأن ما يذكر من أخبار عن الهند تُعَدُّ غريبة، وبعيدة عما هو مألوف، وبأنها ستحمل الكثير من الناس على الشك في صحة كلامه، فأقسم على ذلك بأنه صادق فيما رأى وفيما تكلم (م. عفيفي، 1976، ص.294).

لكنه تبيّن لنا بعد مراجعة هذه المواقف تجاهه ابن بطوطة وعمله الفريد أنّ المحقق المغربي الوحيد الذي أنصفه هو عبد الهادي التازي، حيث نشرت له أكاديمية المملكة المغربية، عام 1997، تحقيقا شاملا للرحلة وصاحبها. ويبقى هذا التحقيق أفضل مرجع في هذا السياق، اعتمدنا عليه خاصة في معرفة الكلمات المغربية المستعملة في نص الرحلة وصحة ترجمتها لدى المترجمين الذين خصصنا لهم الدراسة الحالية.

2.1.3.2 نشرها وتلقيها في المغرب العربي

كان ابن خلدون من المشكّكين فيما رواه ابن بطوطة إذ يقول في كتاب العبر:

> أنّه ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين
> رجلٌ من مشيخة طنجة يُعرف بابن بطوطة، كان رحل منذ عشرين

ســـنة قبلها إلى المشـــرق، وتقلَّب في بلاد العراق واليمن والهند، ودخل مدينة دهلي حاضـرة ملك الهند وهو السـلطان محمد شـاه، واتصـــل بملكها لذلك العهد وهو فيروز جوه، وكان له منه مكان، واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية، ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان، وكان يحدِّث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند، ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون؛ مثل أن ملك الهند إذا خرج إلى الســـفر أحصـــى أهل مدينته من الرجال والنســـاء والولدان، وفرض لهم رزق ســـتة أشـــهر تُدْفَع لهم من عطائه، وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود، يبرز فيه الناس كافة إلى صحراء البلد ويطوفون به، ويُنصب أمامه في ذلك الحقل منجنيقات... ترمى بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس، إلى أن يدخل إيوانه. وأمثال هذه الحكايات، فتناجى الناس بتكذيبه، ولقيت يومئذ وزير الســـلطان فارس بن وردار البعيد الصـــيت، ففاوضـــته في هذا الشـــأن، وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه.

(...) فقال لي الوزير فارس: " إياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال الدول؛ بما أنك لم تره، فتكون كابن الوزير الناشـــئ في الســـجن. وذلك أن وزيرًا اعتقله سلطانه، ومكث في السجن سنين رَبَّى فيها ابنه في ذلك المجلس، فلما أدرك وعقل ســـأل عن اللحمان التي كان يتغذى بها، فقال له أبوه: هذا لحم الغنم. فقال: وما الغنم؟ فيصفها له أبوه بشياتها ونعوتها. فيقول: يا أبت، تراها مثل الفأر؟ فينكر عليه ويقول: أين الغنم من الفأر! وكذا في لحم الإبل والبقر؛ إذ لم يعاين في محبسه من الحيوانات إلا الفأر فيحسبها كلها أبناء جنس الفأر، ولهذا كثيرًا ما يعتري الناس في الأخبار كما يعتريهم الوســـواس في الزيادة عند قصـــد الإغراب (1886، ص ص. 181-182).

لقد شكك ابن خلدون فيما رواه ابن بطوطة من عادات الشعوب وتقاليدهم، وربما كان السبب في ذلك أنه لم يكن هناك مَنْ يتحدَّث عن تلك العادات والتقاليد، فعندما سمعوا ذلك كان الأمر عندهم أشبه بالخيال.

غير أنّ بحوث العلماء فيما بعدُ قد أيدَّت أن كل ما ذكره ابن بطوطة عن الهند كان صحيحًا؛ مما يدلُّ على أن ابن بطوطة كان ثقة أمينًا، ويمتاز عن غيره من الرحَّالين السابقين أنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أَلَمَّ بها (عفيفي، 1976، ص. 295). وكان لعبد الهادي التازي (1997)، الجغرافي المغربي الشهير الذي قضى خمس عشرة سنة في تحقيق "الرحلة"، الفضل الأكبر في ردّ الاعتبار للرحالة ابن بطوطة وعمله الأدبي والأنثروبولوجي والعلمي.

2.1.4 أهمية "الرحلة" بشهادة علماء الغرب

ردّا على المشككين في مصداقية ابن بطوطة وكتابه، تشهد جماعة من الباحثين أنّ الرحالة المغربي كان يتمتع بقدرته على تذكُّر ما رآه في رحلاته، على الرغم من مرور السنوات، وتعدُّد المناطق التي زارها، وكان ما يميزه أيضًا أنه ذكر حقائق لأول مرة ولم تُذْكَر عند غيره، فقد ذكر استعمال أوراق النقد في الصين، وأشار إلى استخدام الفحم الحجري[14].

وتُعتبر رحلاته من أطرف القصص رغم ما تحتويه من غرائب العادات، فإن تسجيل عادات تلك الأقوام وتقاليدهم أفاد كثيرًا في معرفة عادات تلك الشعوب البعيدة، كما أفاد في معرفة تاريخ تلك البلاد، ومعرفة جغرافيتها من خلال وصف البلاد وجبالها وبحارها. ومن الغرائب التي ذكرها ابن بطوطة عن نظام التأمين الاجتماعي في الصين؛ أن العامل أو الصانع كان يُعفى من العمل وتنفق عليه الحكومة إذا بلغ الخمسين، وأن من بلغ ستين سنة عَدُّوه كالصبي فلم تُجْر عليه الأحكام (حسن، 1981، ص. 161).

لقي ابن بطوطة الكثير من الثناء من علماء الغرب لمَا قدَّمه من وصف لأسفاره، فيقول عنه المستشرق ريجيس بلاشير بخصوص كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار : "لهذا الكتاب أهمية فائقة في التعرف على العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي ؛ ففي هذا الكتاب يكثر الاستطراد وتختلط فيه الأساطير مع الحكايات البعيدة عن التصديق، والأوصاف المتكررة تكشف فيها أيضًا معلومات تاريخية دقيقة ومفيدة، لا سيما تلك التي لا تحصى والمتعلقة بعقائد وعادات وأخلاق السكان كما يراها هذا الرحالة المسلم، الذي يتفوق عنده حبُّ الاستطلاع على حدَّة الذكاء".

[14] مجموعة من العلماء: موسوعة الشروق 16/1.

أما المستشرق الروسي كراتشكوفسكي فيعتبره: "آخر جغرافي عالمي من الناحية العلمية، أي أنه لم يكن نقَّالة اعتمد على كتب الغير؛ بل كان رحالة انتظم محيط أســفاره عددًا كبيرًا من الأقطار، وقد جاوز تجواله مقدار مائة وخمسة وسبعين ألف ميل، وهو بهذا يُعَدُّ منافسًا خطيرًا لمعاصره الأكبر منه سنًّا (ماركو بولو) البندقي الإيطالي (1254–1323م)، الذي دفعه حب الأسفار إلى اجتياز كل آسيا عن طريق منغوليا، وعاد عن طريق سومطرا، والذي عهد إلى كاتب له في إخراج مذكراته إخراجًا أدبيًّا، واسمه (كتاب ماركو بولو)".

ويقول الباحث الياباني ياموتو: "إنه من العسير القول بأن جميع حكايات ابن بطوطة عن الصين هي من نسج الخيال وحده، حقًّا إن وصفه لتلك البلاد يشمل عددًا من النقاط الغامضة، ولكنه لا يخلو أحيانًا من فقرات معينة تعتمد على ملاحظة مباشرة عن الصين، فضلاً عن أنه من المستحيل القول بأن رواياته التي وجدت توكيدًا في المصــادر الصــينية وفي أســفار ماركو بولو قد كانت من تلفيق مخيلته" (كما ورد في حميدة، 2008، 563–564).

2.1.5 الترجمات الفرنسية للرحلة

لقد اهتم المستشرقون بنشر أجزاء هذه الرحلة وترجمتها[15]، فأخذوا يبحثون عنها وعن نسخها المختلفة إلى أن تمكّن المستشرق السويسري جون لويس بوركهارت (1784–1817) من الوصول إلى مختصر للرحلة في أعقاب المهمة التي كلف بها عام 1809. كما تمكن المستشرق " ستزن" وهو بالمشرق سنة 1810 من الحصول على مختصر آخر للرحلة، وهكذا استمرت جهود المستشرقين في جمع النســخ إلى أن تمكن الفرنســيان ديفريميري وســانجينتي ما بين 1853 و1858 بتكليف من "الجمعية الأسيوية" من استكمال جمع النسخ المتبقية مما حصل عليه الفرنسيون بعد أن فرضوا هيمنتهم على الجزائر، حيث نشــر الاثنان الرحلة مترجمة في أربع مجلدات. اعتمد ديفريميري وســانجينتي في ترجمتهما على المخطوطات الخمس المحفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنســية. في مقدمتهما، يذكر المترجمان المخطوط 907 أو "Manuscrit Delaporte"، المخطوطين 909 و911 والمخطوطين 908 و910 اللذين نســخا في القرن الثامن عشــر. وهما يذكران كذلك أنّ المخطوط الأخير هو الأكمل والأصح (ديفريميري وسانجينتي، 1968، ص. 9).

15) أحصيت إلى حدّ الآن حوالي عشرون ترجمة منشورة لمخطوط الرحلة: إلى الألمانية (1911) والتركية (1917) والإنجليزية (1929) على يد هاملتن كيب الذي استفاد منه المستشرق الروسي كراتشكوفسكي في ترجمته الروسية (1951). كما ترجمها إلى التشيكية العالم إيفان هربك (1960)، والإيطالية (1961)، والبرتغالية بالتصرف، والفارسية والسويدية والهندية واليابانية والأرمنية والصينية.

2.1.5.1 ترجمة سنجويناتي ودفريميري

تعد ترجمة المستشرقين سنجويناتي ودفريميري في مضمونها أكمل وأوفى ترجمة فرنسية للنص الرحلة. ومع هذا، أشـــار عبد الهادي التازي (1997) في تحقيقه للرحلة إلى الأخطاء التي وقع فيها لمترجمين عند ترجمة بعض المصـــطلحات الثقافية المغربية قائلا: "وأذكر على ســـبيل المثال كلمة " الفقاع" (233– IV) التي تعنى بكل بســـاطة: الفطر أو الكمأة لكن زملاءنا رأوا فيها ما يوحي بنبيذ الشـــعير...! الهودج أو المحفّة التي تحمل فيها العروس، فراحا يبحثان عن معناها في اللّغات الأسيوية. و"القريّة": وقد التبست على المترجمين فقراها القربة بالباء (146 – IV). و"المُقيّرة " (12 – IV) [16] التي استعملها ابن بطوطة نعتا للجبة عند ما وقع أسيرا بأيدي الهنود وغدا مدينا بحريته لشابّ هندي أعطاه الرحالة المغربي جبته–وكانت من نوع رفيع–فأعطاه الشـــاب الهندي جبة مقيّرة باليّة. هنا بالرغم من أن الناشـــرين الاثنين يريان أن النســـخ التي يتوفران عليها تكتب المقيّرة فانهما– كما يؤكدان في التعليق– لم يترددا في أنها (المنيرة) بالنون عوض القاف وراحا يبحثان في الأصـــل الفارســـي عن الكلمة وترجماها بالفعل بأنها آتية من النّيلة الفارســـية، ومع أن كلمة مقيّرة معروفة إلى الآن عند المغاربة بمعنى وسخة كأنها مطليّة بالقار، يقال ثوبه مقير يعني عليه طبقات من الأوساخ ... والجدير بالذكر أن المخطوطات التي نتوفر عليها بما فيها مخطوطة گايانگوس والخزانة الملكية والخزانة العامة، وفيها ما نعتقد أنه بخط الرحالة المغربي، كلّها وبدون استثناء ترسمها مقيّرة على نحو ما نعرفه نحن اليوم" (التازي، 1997 ، ص ص. 104–105).

كما أشار التازي كذلك إلى أخطاء سنجويناتي وديفريميري في ترجمة أسماء الأعلام قائلا:

> وقد اعترضتنا بعد هذا انسياقات أخرى كان عليهما أن يتريّثا فيها، مثلا حديثهما (ج 1 ص 155) عن الأديب أبي الفتيان جبوس عوضـــا عن ابى حيّوس الذي هو الصـــواب. وحديثهما (ج 1، 191) عن الشاعر شرف الدّين ابن محسن عوضا عن الشاعر أبي المحاســـن عنين الذي هو الصـــواب (...) وقد كان مما لفت نظرنا ما ورد عندهما (جا ، ص. 248) حول العلامة ابن الشحنة الحجار، فقد نقلا معا أنّه الحجازي عوض الحجّار (...) وقد كان

[16] Variantes et Notes : P.12 (1). Nos quatre manuscrits portent مُقيّرة, mot que nous n'avons pas hésité à lire مُنيَّرة , comme dans le ms. De M.de Gayangos (cité par Dozy, Dictionnaire des noms des vêtements, p.427). Mais nous ne pensons pas, avec ce dernier savant, que مُنَيَّرة puisse signifier ici « une espèce de manteau grossier ". C'est tout simplement l'adjectif منيّر, et au féminin مُنيّرة, dérivé de نير (en persan نيله) « indigo », et signifiant « teint en bleu avec de l'indigo », ainsi que M.Dozy lui-même l'a montré (ibid.p.78, 79). L'épithète *monayyarah* convient très-bien aux pagnes qui, le plus souvent, sont de couleur bleue. (Defremey et Sanguinetti, Voyages d'Ibn Battuta, deuxième édition, 1968, T. IV, p.453).

مما وقفنا عليه عند الناشرين المذكورين (جا ، ص. 252) ما ورد حول الشـــيخ (البجدي بالباء ثم الجيم فلقد تحرف عندهما إلى النجدى، هذا إلى خطأ آخر في نفس الجزء والصفحة (جا ، ص. 252) ويتعلق الأمر بجمال الدّين أبي المحاسـن يوسـف المزي الذي رسم خطأ المزني (بالنون) ، الامر الذي سار عليه كل الذين نقلوا عن الاثنين دون روية ! ... وفي الأعلام الشـخصـية التي كانت تحتاج إلى التصـحيح ما ورد عندهما (ج II ص 83) حول "روز جهان القبلي" عوض "روز بهان البقلى" الذي هو الصـــحيح (...) وقد كان من الأخطاء التي أثارت الانتباه ما ورد من حديث عن ابن شـبرين (بالباء) السـبتي نسـبة إلى سـبتة المغربية، هذا العالم تحوّل اسـمه عندهما إلى ابن شـيرين (بالياء) عوض الباء كما تحول السـبتي إلى البسـتي نسـبة إلى بسـت، ويا بعد ما بين سـبتة وبسـت!! وفي حديثهما عن ابن بطوطة وهو بتونس عائدا من المشـــرق تحوّل عندهما (ج 4، ص. 330) اســـم زيان بن أمديون العلوي وزير السلطان أبي الحسن وصـهره وظهيره إلى ابن أمريون بالراء عوض الدال. ومثلا (ج 4، ص. 331) تحول اسـم الآبلي نسـبة لآبلة AVILA (في الأندلس) إلى الأبلي نسـبة إلى الأبلة في البصـــرة! وقد كان من غريب ما وقع فيه المترجمان أن تلتبس عليهما في البداية كلمة (الصاحب) التي كان يقصد بها ابن بطوطة: الصاحب بن عباد، بكلمة (الصاحب) التي تعني الصديق (ج 2، ص. 16).

2.1.5.2 ترجمة بول شارل دومينيك

خلافا للترجمة الأولى (سـنجويناتي وديفريميري)، تحمل ترجمة بول شـارل دومينيك خصـائص النصـوص المكيّفة لغرض براغماتي صـريح وهو نشـر رواية بمقومات أدب نهاية القرن العشـرين في فرنسـا. فلم يكن التكييف هنا بسـبب اسـتحالة ترجمة المفردات الثقافية للنص الأصـلي، بل كان تحويلا للخطاب الأدبي والأنثروبولوجي والتاريخي في مكوناته الشـــكلية والجوهرية. فمهوم الثقافة يحمل ميزات مختلفة للغيرية والاختلاف، ولا يمكن حصر هذه الغيرية في مرجعيات أو إحالات ضيّقة كالكلمات، من أسـماء الأعلام وغيرها، بل إنّها تشـمل الجمل التي تضـبط تركيبها وحتى النص الذي يصـبح وحدتها الدلالية.

وباعتباره مرآة للسياقات التاريخية والسياسية والاجتماعية، يكشف النص الأدبي عن أنماط الفكر والعيش ونوع العلاقة بالكون وكلّها تعكس مخيالا اجتماعيا وثقافيا مشتركا (غوهار، 2004، ص ص. 6-11). وبمحوها لمقومات الكتابة الأدبية في فترة معينة بالمغرب والأندلس، كالعناصر التناصية المتجلية في خطاب المدح الموجّه لولي العهد الآمر بالتدوين، والاستشهاد بقصائد فحول شعراء العصر، وما إلى ذلك من الممارسات الدينية وطقوس الأولياء الصالحين، تكون المترجمة قد سارت في إجراء إعادة الكتابة. ومن مظاهر إعادة الكتابة عند هذه المترجمة، الاستغناء عن فقرات بل صفحات كاملة اعتبرتها مجرّد استطرادات دون طائل، وهي تقصد بها استطرادات ابن جزي، وهذا يثبت الجانب التبسيطي والمستخفّ للاقتباس الذي يكون تشويهيا بالدرجة الأولى: فالتحريفات هنا تمسّ الشكل والمضمون. وما أثار انتباهانا كذلك اقتراح المترجمة لمسار خطي للرحلة يبدأ في النقطة "ألف" وينتهي في النقطة "ب"، وفي هذا تشويه للمسار الحقيقي الذي ورد في رواية ابن بطوطة.

ونحن نرى في هذه **الاستراتيجية الترجمية إخفاقا في التعبير عن التعاقبية الزمنية** في كلّ جوانبها ممّا يؤول بنا إلى استنتاج أولي مفاده أنّ **المسافة بين الأصل والترجمة المعادة كبيرة جدا وهي بطبيعة الحال أكبر بكثير من المسافة التي فصلت الأصل عن الترجمة الأولى لسنجويناتي وديفريميري** (ت 1).

2.2 قياس القرب على المستوى اللساني والأسلوبي وفق نموذج أنطوان برمان

تمهيد:

لقد سبق وأن أشرنا في القسم النظري أنّ اهتمامنا بالترجمة يندرج ضمن النزعة الحرفية (littéralisme) التي تهتم بترجمة الحرف والنص باعتباره حرفا. وهي نزعة تسعى إلى "هدم" (وهو مفهوم استعاره برمان من هايدغر) تقليد الترجمة القائم على التمركز العرقي وعلى خاصيته التحويلية والأفلاطونية (برمان، 1986، ص. 63). وتحليلية الترجمة -التي اعتمدها أنطوان برمان لنقد النزعة المركزية العرقية[17] والنزعة التحويلية والنزعة الأفلاطونية-تسمح بالانفتاح على البعد الجمالي والشعري والفكري لفعل الترجمة. وانطلاقا من التجربة التاريخية لفعل الترجمة التي توفرها ترجمات المصادر العربية إلى الفرنسية، سنرى إلى أيّ حدّ يمكن إعادة النظر في تقليد الترجمة عبر الهدم المنهجي وتحليل الميول التحريفية التي تحصل في كلّ ترجمة.

[17] نشأت الترجمة المتمركزة عرقيا في روما، حيث بدأت ترجمة كلّ المتن المكتوبة باليونانية إلى اللاتينية، وعملية الترجمة الهائلة هاته أسّست للثقافة اللاتينية. وأُنشئت ورشة الترجمة الإلحاقية بروما على يد شيشيرو وهوراس والقديس جيروم من بعدهم.

لكن، قبل الولوج في الدراســـة التحليلية المقارنة، رأينا أنه من الضـــروري الإحالة إلى نوع الخطاب في رحلة ابن بطوطة كي نحيط بالاســـتراتيجيات التي اعتمدها ســـنجويناتي وديفريميري في ترجمتهما لنص الرحلة. أوّلا، يجب أن نشير إلى أنّ مخطوط الرحلة، في جانبه الشكلي، يوظف أسلوب السرد والحكي بضـمير المتكلّم. وهو سـرد يعتمد التعاقبية الزمنية، أي مبدأ الخطية، في تنظيمه للمتن: ذكريات ابن بطوطة عن رحلة شـخصـية دامت قرابة ثمانية وعشـرين سـنة. وهي بذلك تجمع بين أهوال الرحلة وما يتعرض إليه صـاحبها من مشـقة حقيقية، وبين متعة المشـاهدة والاتصـال بالأقوام الأخرى. وهذه المتعة ينقلها ابن بطوطة للقارئ بكثير من الإثارة نلاحظ فيها توظيف المخيّلة المغربية التي لا تخلو من ذاتية الراوي وتأويله للأحداث والمشاهد. وهنا يشغل الرحالة وظيفة الراوي العليم والمشارك في الأحداث.

وميزة الخطاب في الرحلة ثنائية الصوت التي يفرضـها تدخل الكاتب ابن جزي لتأييد أقوال الراوي بخطابات خارجية منقولة عن شخوص يعرفها.

أمّا مواضـيع الرواية فجاءت متنوعة، تمازج فيها العنصـر الأدبي والتاريخي والجغرافي والأنثربولوجي. وأمّا النظرة إلى الآخر، فطغى عليها جانب الإعجاب تارة، وجانب الغرائبية والعجائبية تارة أخرى. فكلّما دخل الراوي في فضـــاء بعيد عن أصـــله الجغرافي والثقافي، كلّما كاد الحكي أن يكون خرافيا (كما هو الحال بالنسبة لجزر الهند).

وأمّا من الناحية الأسـلوبية المحضـة، فإنّ نص الرحلة يحمل كلّ مقومات النثر المسـجوع الذي يلازم الكتابة من العنوان إلى آخر نقطة في المخطوط. وجانب التناص فيه وفير حيث تكثر الإحالات المضـمرة منها أو الصـريحة إلى القرآن الكريم ومراجع أخرى وظّفها الكاتب الناسـخ ابن جزي، أهمّها كتاب رحلة محمد ابن جبير الذي نشر بمدينة لايدن (Leyde) عام 1852. يذكر مترجما ابن بطوطة في الاسـتهلال أنّ رحلة ابن جبير قد سـاعدتهما في ضـبط ومقارنة الفقرات التي نسـخها ابن جزي كما هي عن كلام الكاتب الإسباني ابن جبير مستشهدا به أحيانا أو دون الاستشهاد به في أغلب الأحيان. لكن، يستطرد المترجمان قائلين أنّ أسلوب الرواية عند ابن بطوطة يسّر عليهما فهم رواية ابن جبير التي يشوبها الغموض أحيانا لكثرة استعمال أساليب البديع. وإذا كان أسلوب ابن بطوطة يتّسم بالبساطة والوضوح على الأقلّ بالنسبة للروايات والنوادر، إلاّ أنّ عددا كبيرا من الفقرات جُعل بالنثر المسجوع كما سنراه في المقدمة، ومستهلّ الفقرات الواصفة للحضائر الكبيرة والتي نقل بعضـها عن ابن جبير كوصفه لمدينة حلب السورية (ص.146) ومدينة صور الفلسطينية (ص.131). دون أن ننسى الإشكال الهام التي تطرحه الأبيات العديدة المدرجة هنا وهناك في طيّات الرواية والقاطعة لسـير الخطاب إذ يصـعب على القارئ المترجم تأويل معاني الأبيات لأنّها جاءت معزولة عن القصـــائد التي اســـتخرجت منها وبعضـــها مجهولة المؤلف. ونضـــيف إلى أســـباب غموض نص الرحلة اســـتعمال المفردات والتعابير

المحلية المغربية التي لم يتفطّن لها بعض المترجمين وذهبوا للبحث عن معانيها في معاجم اللغة العربية. إلاّ أنّ هذا الأمر لم يفت المترجمين سنجوناتي وديفريميري حيث وجدا الكثير من تلك المفردات المغربية مفسّرة في قاموس م.دوزيه " Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes" ودراسة م.شاربونو " Définition lexicographique de plusieurs mots usités dans le langage de l'Afrique septentrionale" التي نشرت في المجلة الأسيوية في 1849.

2.2.1 الميل الأول: العقلنة

المثال الأول(العنوان)

ن أ (ابن بطوطة، 1355)	ت 1 (ديفريميري وسنجوناتي، 1854)	ت 2 (بول شارل دومينيك، 1992)
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار	Présent fait aux observateurs, **traitant** des curiosités **offertes** par les villes et des merveilles **rencontrées** dans les voyages	Présent à ceux qui aiment à réfléchir sur les curiosités des villes et les merveilles des voyages*

تحليل:

تظهر أوّل حالة للعقلنة في العنوان، حيث قام المترجم باستبدال الوحدات النحوية العربية بوحدات نحوية أخرى في الفرنسية: تحويل الجملة الإسمية المتكونة من مبتدأ وخبر بجملة إسمية فرنسية تتكون من أفعال غير متصرفة "fait" و"traitant" و"offertes" و"rencontrées" بُنيت حول الاسم "Présent"، ممّا يضاعف من طول الجملة العربية تقريبا ثلاث مرات. والعقلنة واضحة كذلك في إضافة علامات الوقف كالفاصلة في ت1.

المثال الثاني

ن أ	ت 1	ت 2
"وكان ممن وفد على بابها السامي، وتعدى أوشال البلاد إلى بحرها الطامي، الشيخ الفقيه السائح **الثقة الصدوق، جوال الأرض، ومخترق الأقاليم** بالطول	Au nombre de ceux qui arrivèrent à son illustre porte, et qui, après avoir traversé les étangs des autres contrées, parvinrent à cette mer immense, se trouvait le cheïkh, le jurisconsulte, le voyageur, l'homme digne de foi, sincère, **qui a voyagé dans toute la terre et en a traversé les diverses**	Au nombre* de ceux qui se sont dirigés vers l'illustre cour de Fès et qui ont parcouru le monde pour arriver dans cette cité tumultueuse, se trouve : le cheikh, juriste, voyageur, homme digne de foi, sincère qui a parcouru le monde et qui a sillonné les contrées de

والعرض، أبو عبـد الله محمد (27 **كلمة**)	**régions en long et en large,** Abou Abd Allah Mohammed (**62 كلمة**)	long en large, Abû ‘Abdallah Muḥammad **(56 كلمة)**

تحليل:

تكمن العقلنة هنا في استبدال الاسم العربي باسم موصول خاص:

جوّال الأرض ومخترق الأقاليم / qui a voyagé dans toute la terre et en a traversé les diverses régions en long et en large (ت 1)

جوّال الأرض ومخترق الأقاليم / qui a parcouru le monde et qui a sillonné les contrées de long en large، (ت 2).

المثال الثالث (شذرات من مقدمة ابن جزي[18])

ن أ	ت 1	ت 2
بسم الله الرحمن الرحيم	AU NOM DU DIEU CLÉMENT **ET** MISÉRICORDIEUX	Au nom d’Allah, le clément, le miséricordieux

تحليل:

نلاحظ إضـــافة الرابط المنطقي "ET" في **ت 1** وهي إضـــافة ضـــرورية في التركيبة النحوية الفرنسية لا يمكن الاستغناء عنها.

المثال الرابع (تابع المقدمة)

ن أ	ت 1	ت 2
بسم الله الرحمن الرحيم	AU NOM DU DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX	Au nom d’Allah, le clément, le miséricordieux

18) أنظر المخطوط الأصلي في ملحق المخطوطات للمقارنة.

تحليل:

إنّ لجوء المترجم إلى الفواصـــل في **ت 2** يؤكد الوظيفة الدلالية لعلامة الوقف: في حين تكون العبارة العربية وحدة دلالية غير قابلة للتجزئة، تأتي الترجمة بنموذج كتابي مغاير تلعب فيه الفواصـــل دور الصوت البشري الذي يحتاج إلى نفس معين لتأدية الحروف ومعانيها.

المثال الخامس (تابع المقدمة)

ن أ	ت 1
[…] المعروف بابن بطوطة، رحمه الله ورضـي عنه وكرمه آمين آمين، الحمد لله الذي ذلل الأرض لعباده ليســلكوا منها ســبلا فجاجا،[…] وجعل منها وإليها تاراتهم الثلاث نباتا وإعادة وإخراجا،	[…] connu sous le nom d'Ibn Battuta, que Dieu lui fasse miséricorde et soit content de lui par l'effet de sa bonté et de sa générosité **!** Ainsi soit-il**.** Louange à Dieu qui a soumis la terre à ses serviteurs afin qu'ils y marchassent dans les routes spacieuses […] qui a placé dans cette terre et qui y fait aboutir les trois vicissitudes de leur destinée **:** la création […] *le retour dans la terre et l'extraction de ses entrailles* [19] […]

تحليل:

نجم عن إضـــافة علامات الوقف في هذا المثال تحويلا للإيقاع الأصـــلي: في الجملة الأولى مثلا، تفيد علامة التعجب الدعاء، وفي الجملة ما قبل الأخيرة، تفيد النقطتان الرأســـيتان التفرقة بين الشـــيء وأقســـامه وتوضـــيحها. وكأنّ المترجم يحسّ بنقص في شـــكل الكلمات ومعناها لن يكتمل إلاّ بإضافة هذه الرابطة أو تلك. وعليه، يكون استعمال علامات الوقف كتعويض عن تغيّر نبرات الصوت التي تترجم العواطف أثناء الإلقاء أو الإملاء أو القراءة.

المثال السادس (تابع المقدمة)

ن أ	ت 1
ثم أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض **بعد الممات،**	**Puis du ciel il a fait descendre de l'eau, avec laquelle il a vivifié la terre lorsqu'elle a été desséchée…**

[19] استعمل المترجمان سنجويناتي وديفريميري الترجمة الفرنسية للقرآن لكلود إيتيان سفاري، 1826.

تحليل:

نلاحظ في هاته الحالة قلبا في التركيبة النحوية للجملة يتمثل في تقديم ظرف المكان على الفعل: "**Puis du ciel il a fait descendre de l'eau**,". كما نرى كذلك تحويلا في الطباق الأصلي وهو طباق تام يجمع بين فعل الحياة والممات واستبداله بطباق غير مباشر يجمع بين الحياة والجفاف: فالجفاف ليس ضـــدّا للحياة. ضـــدّ الحياة هو الموت الذي ينتج عن الجفاف. كان بإمكان المترجم اللجوء إلى ترجمة حرفية مقبولة وهي أقرب إلى النص العربي حرفا ومعنى:

« Puis il a fait descendre du ciel de l'eau, vivifiant ainsi la terre après sa mort ».

2.2.2 الميل الثاني: الإيضاح

للتذكير، يلخص برمان إجراء الإيضاح بهذه العبارات:

> Là où l'original se meut sans problème dans *l'indéfini*, notre langue littéraire tend à imposer du défini [...] l'explicitation vise à rendre "clair" ce qui ne veut pas l'être dans l'original. [...] La traduction paraphrasante ou explicative [est] un autre [mode de clarification] » (TOLAM, p. 41 ; TRACE, p. 72).

> في الوقت الذي ينتقل فيه الأصل بدون إشكال داخل حدود النكرة، تميل لغتنا الأدبية إلى فرض المعرفة [...]والهدف من التعريف هو "إيضـــاح" ما لا يُراد إيضـــاحه في الأصـــل [...]والترجمة بالصيغ التفسيرية أو الشرح هي وجه آخر للإيضاح (ترجمتنا).

المثال الأول (تابع المقدمة)

ن أ	ت 1	ت 2
... أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي ثمّ الطنجي...	Abou Abd Allah Mohammad, fils d'Abd Allah, fils de Mohammed, fils d'Ibrâhîm alléouâty atthandjy.	Abû 'Abd-Allah Muḥammad ben 'Abd-Allah ben Muḥammad ben Ibrâhîm al-Lawâti aṭ-Ṭanjî, connu sous le nom d'Ibn Baṭṭûta et de Shams ad-dîn en Orient.[…] (p.1)

تحليل:

في هاته الحالة، يظهر الإيضـــاح كذلك في ترجمة أســـماء العلم العربية في ت 1. في حين تمارس ت 2 إجراء الاقتراض التام. وهذا يعني أنّ فكرة ثبات الدلالة في أسـماء العلم، بما فيها أسـماء الأشـــخاص وأســـماء الأماكن (المدن، الولايات أو الأقاليم، المناطق، المعالم التاريخية) والإحالات أو المراجع الثقافية (أسـماء الأحزاب، والأعياد والمؤسـسـات التعليمية أو الإدارية أو الثقافية، أسـماء أو عناوين الكتب والمجلات)، من المفاهيم التي آلت إليها البحوث الحديثة ذات الصـــلة بالهوية والثقافة. ومنه يمكننا أن نسـتنتج أنّ الفارق الزمني الكبير (138 سـنة) الذي يفصـل ت 1 عن ت 2 يكون في صـــالح الترجمة المعادة التي تنســـاق بكلّ بســـاطة إلى الاحتفاظ بالمقومات الثقافية والهوياتية للنص الأصلي. وهذا يعني أنّ التغير في الترجمة يكون كذلك رهين التغير الأيديولوجي.

المثال الثاني (تابع المقدمة)

ن أ	ت 1
الحمد لله الذي ذلل الأرض لعباده ليســـلكوا منها سـبلا فجاجا، وجعل منها وإليها تاراتهم الثلاث نباتا وإعادة وإخراجا،	**Louange à Dieu, qui a soumis la terre à ses serviteurs, afin qu'ils y marchassent dans des routes spacieuses (Coran, LXXI, 19), qui a placé dans cette terre et qui y fait aboutir les trois vicissitudes de leur destinée : la création (littéral, la germination),** ***le retour dans la terre et l'extraction de ses entrailles*** **(Coran, XX, 57)**

المثال الثالث (تابع المقدمة)

ن أ	ت 1
وفجر البحرين عذبا فراتا، وملحا أجاجا، وأكمل على خلقه الإنعام بتذليل مطايا الأنعام، وتســخير المنشــئات كالأعلام [...]	**Il a fait couler les deux mers : l'une d'eau douce et rafraîchissante, l'autre salée et amère (Coran, XXV, 55). Il a complété ses bienfaits envers ses créatures, en leur assujettissant les chameaux, et en leur soumettant des vaisseaux semblables aux montagnes (Coran, LV, 24)**

تحليل:

حفاظا على وحدة النص والمعنى، ونظرا لتكرار الاستراتيجية الترجمية نفسها بالنسبة للحالتين الثانية والثالثة، تكون ملاحظتنا موحّدة: لجأ المترجم هنا إلى تفكيك التعالق النصي الموجود في النص الأصلي بالكشف عن الإيحاءات القرآنية، حيث "يستشهد" ابن جزي بالسور القرآنية[20] في متن الخطاب دون إشارة صريحة إلى المصدر، وهذا أسلوب جار في الخطاب عند العرب بعد الإسلام. وهذا يعني أنّ الكاتب واع بقدرة القارئ العربي على تفكيك المعنى التناصي، أمّا المترجم فاختار اللجوء إلى التوضيح بإثبات المرجع القرآني[21] للقارئ الفرنسي. وسنرى لاحقا أنّ هذا النوع من التوضيح إنّما هو دليل على تسرّب ذاتية المترجم داخل جسد النص وهو نوع من التعليق على الترجمة يقع عادة في حواشي النص. وهذا النوع من التوضيح يمكن ربطه بميل تحريفي آخر وهو هدم الشبكات الدالة الضمنية الذي يحمل رقم 10 في تصنيف أنطوان برمان.

المثال الرابع (تابع المقدمة)

ن أ	ت 1
وفد الله المعتمر	L'hôte de Dieu, **qui s'est acquitté de la visite des lieux saints**,

تحليل:

تبيّن هذه الحالة نوعا آخرا من التوضيح وهو إعادة الصياغة. كان بإمكان المترجم ترجمة "المعتمر" بـ "pèlerin" وإن كانت غير وافية تماما للمعنى. وهنا يكون لازما على المترجم تبيين الفرق بين الحاج والمعتمر باقتراض أو نسخ الكلمة العربية إلى الفرنسية "mu ʿ tamir" لعدم وجود مكافئ معروف في اللغة الفرنسية.

المثال الخامس (تابع المقدمة)

ن أ	ت 1
وجعل بسيفه وسيبه لكل ضيقة انفراجا	Avec son épée et ses dons, **il a élargi tout ce qui était étroit (c'est-à-dire il a surmonté les obstacles et mis fin à la pauvreté).**

[20] هنا إشارة واضحة لسورة الأنبياء، الآية 31: " وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ"، أو سورة نوح: " واللّهُ أَنْبتكُمْ مِن الْأَرْضِ نباتا (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها ويُخْرِجُكُمْ إِخْراجا (18).

[21] استعمل المترجمان سنجويناتي وديفريميري الترجمة الفرنسية للقرآن لكلود إيتيان سفاري، 1826.

تحليل:

يكتسي هذا المثال أهمية خاصة في إبراز خطوات الترجمة حيث عمد المترجم إلى ترجمة حرفية "كلمة بكلمة" كي يتضّح له أنّ الجانب المحسوس لصورة الكلمة ودلالتها المباشرة لا يفيان هنا بغرض القول، وأنّ العبارة تحمل في طياتها معنى مجازيا لا بد من أخذه في الاعتبار.

المثال السادس (تابع المقدمة)

ن أ	ت 1
والجود الذي قطّر سحابه اللجين والنضار	(…) une libéralité semblable au nuage qui arrose à la fois les feuilles tombées des arbres et les arbres eux-mêmes ;

تحليل:

كلمة الجود تحمل معنيين: الكرم والمطر الغزير. واللجين يعني الفضّة وورق الشجر، والنضار معناه الخالص من كل شيء ويقصد به كذلك الذهب الخالص. وكلها مفردات تصبّ في نفس الحقل المعجمي تربطها علاقة التشابه. غير أنّ المترجم ذهب إلى معنى العشب والشجر، ليربط بين السحاب والمطر الغزير والنبات وهو تشاكل دلالي قد يبدو طبيعيا لكن القراءة السياقية تبعدنا تماما عن هذا التأويل. ونحن نذهب إلى التشاكل الدلالي الثاني الذي يتصل فيه الجود أي **الكرم** بالفضة والذهب. ولنقل هذا التشبيه البليغ (الذي لا تظهر فيها أداة التشبيه، على خلاف ما يظهر في ت 1)، نقترح ترجمة أقرب إلى السياق العام للنص: « une libéralité dont les pans pleuvent d'or et d'argent»

المثال السابع (مصر)

ن أ	ت 1
ثمّ خرجت من هذه القرية فوصلت مدينة دمنهور، […] أم مدن البحيرة بأسرها،	Je partis de cette bourgade et arrivai à la ville de Demenhoûr (Timenhor, ou la ville de **Horus**, autrement appelée **Hermopolis parva**.) […] C'est la métropole de tout Bohaïrah (gouvernement qui tirait son nom du Bohaïrah ou **lac Maréotis**) […]

تحليل:

يبرز الإيضاح هنا في التعقيب على أسماء الأمكنة بجمل كاملة جُعلت بين قوسين. ويكون هذا التعقيب بالمكافئ الفرنسي والروماني الذي يحيل على الحضرة (**Horus**) أو المقاطعة الإدارية

(**Hermopolis parva**) أو البحيرة (**lac Maréotis**) في مصـــر القديمة. وهي تعقيبات "عالمة" تزيد من كثافة النص وتعيق القراءة المسترسلة.

المثال الثامن

ن أ	ت 1	ت 2
الشيخ ياقوت الحبشي	**Le cheikh Yâkoût l'Abyssin**	**Le cheikh Yāqût al.Ḥabashî**

تحليل:

يظهر الإيضـاح في فرنسـة ت 1 لاسـم العلم "الحبشـي". بينما تلجأ **ت 2** إلى الاقتراض التام، وهذا دليل على **قربها الثقافي** من النص الأصلي.

المثال التاسع

ن أ	ت 1	ت 2
وكان ممن وفد على **بابها الســامي**، و**تعدى أوشــال البلاد إلى بحرها الطامي**[22]، الشـيخ الفقيه السـائح الثقة الصـدوق، جوال الأرض، ومخترق الأقاليم بـالطول والعرض، أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة [...]	Au nombre de ceux qui arrivèrent à **son illustre porte**, et qui, après avoir traversé les étangs des autres contrées, parvinrent à **cette mer immense**, se trouvait le cheïkh, […] Abou Abd Allah Mohammed, […] plus connu sous le nom d'Ibn Batoutah, […]	Au nombre* de ceux qui se sont dirigés vers l'illustre **cour de Fès** et qui ont parcouru le monde pour arriver dans **cette cité tumultueuse**, se trouve : le cheikh, Abû 'Abdallah Muḥammad connu sous le nom d'Ibn Battûta […]

تحليل:

نلاحظ أنّ (ت م 1) قد أتت بتوضـيح ما هو مضـمر في النص الأصـلي: حيث ترجمت التورية الموجودة في عبارتي "بابها السامي" و"بحرها الطامي" بـــ "cour de Fès" و"cité tumultueuse" وهذا التفكيك للصورة البيانية يعدّ ضروريا في هاته الحالة.

[22] البحر الطامي الذي تفور أمواجه وتفيض.

2.2.3 الميل الثالث: التمديد

عمدنا من خلال هذه إلى تبيان إجراء التمديد الذي يكون في الواقع نتيجة الميلين السابقين. ولم نكتف في عرض الأمثلة بالنمذجة البرمانية في هذا السياق، حيث ذهبنا إلى استخلاص عناصر تكوينية جزئية للتمديد، نعرّف من خلالها ما هو حتميا وما هو اعتباطيا في هذا الميل التحريفي.

المثال الأول

ن أ	ت 1
...] ثم أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض **بعد الممات،** **(10 كلمات)**	**[...]** Puis du ciel il a fait descendre de l'eau, avec **[...]** laquelle il a vivifié la terre lorsqu'elle a été desséchée… **(20 كلمة)**

تحليل:

نشير مباشرة إلى استعمال جملة تابعة تفيد الأسبقية (الزمنية) مكان ظرف الزمان العربي. وهذا التمديد، إن كان يحترم التركيب النثري الفرنسي، فهو لا يضيف شيئا إلى المعنى. فعلا، جاء استعمال ابن جزي لتركيبة قد تبدو غير عادية، حيث كان بإمكانه القول: **فأحيا به الأرض بعد موتها، وهو يستوحي هنا معنى** واردا في القرآن الكريم "وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها (سورة الروم، الآية 24). كما نلاحظ استبدال ثنائية الحياة والموت المنسوبة للأرض بثنائية الماء والجفاف، علما أنّ كلّ هذه المفردات تنتمي إلى نفس الحقل ويربطها نفس التشاكل الدلالي. وعليه، نقترح ترجمة أقرب إلى الأصل تأتي في هذا الشكل:

« Il a fait descendre du ciel une eau dont il a vivifié la terre après sa mort ».

المثال الثاني

ن أ	ت 1
ونستوهب الله تعالى لمولانا الإمام الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين المجاهد في سبيل الله المؤيد بنصر الله –أبي عنان فارس ابن مواليا الأئمة	Nous prions Dieu d'accorder à notre maître khalife, le prince des croyants, qui met sa confiance dans le souverain des mortels, qui combat dans la voie de Dieu et qui est fortifié par son secours, Abou Inân Fâris , fils de nos seigneurs les imâms bien dirigés, les khalifes

المهتدين الخلفاء الراشـدين نصـرا يوسـع الدنيا وأهلها ابتهاجا، وسـعدا يكون لزمانة الزمان علاجا، كما وهبه الله بأسـا وجودا لم يدع طاغيا ولا محتاجا، **(48 كلمة)**	légitimes* ; **de lui accorder**, disons-nous, une victoire qui remplisse d'allégresse le monde et ses habitants, un bonheur qui puisse remédier aux calamités du destin ; comme il lui a donné un courage et une générosité qui ne négligent ni un oppresseur ni un indigent. **(كلمة 94)**

تحليل:

في هذا المثال، اسـتعمل المترجم إجراء التمديد في تكرار عبارة "**de lui accorder**" التي لا تأتي بإضـافة في المعنى. كما نلاحظ إضـافة فاصـلتين منقوطتين أراد بها المترجم التقصـير من طول الجملة وتكييف النص بثوابت الكتابة النثرية الفرنسية. والحال أنّه كسر بها الإيقاع العام الذي أراده ابن جزي في تركيبه للخطاب.

المثال الثالث

ن أ	ت 1
وجعل بسـيفه وسـيبه لكل ضيقة انفراجا. **(28 حرف)**	Avec son épée et ses dons, il a élargi tout ce qui était étroit **[c'est-à-dire il a surmonté les obstacles et mis fin à la pauvreté].** **(107 حرف)**

تحليل:

أمّا هذا المثال فيكتسـي أهمية خاصـة في إبراز خطوات الترجمة حيث عمد المترجم إلى ترجمة حرفية "كلمة بكلمة"، مكّنته من نقل الدلالة الحسـية لكلمتي "سـيف" و"سـيب"، ولمّا أحسّ أنّ صـورة الكلمات ودلالتها المباشـرة لا يفيان تماما بغرض القول، وأنّ العبارة تحمل في طياتها معنى مجازيا لا بد من أخذه في الاعتبار، لجأ إلى إيضاحها بين حاضنتين. **ويكون إجراء التمديد في هذه الحالة نتيجة للإيضاح الذي جُعل بين قوسين.**

المثال الرابع

ن أ	ت 1	ت 2
وكـان ممن وفـد على بـابهـا السـامي، وتعدى أوشـال البلاد إلى بحرها الطـامي، الشـــيخ الفقيه السـائح الثقة الصـدوق، جوال الأرض، ومخترق الأقاليم بالطول والعرض، أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بـابن بطوطـة المعروف في البلاد الشـرقية بشـمس الدين، وهـو الـذي طـاف الأرض معتبرا، وطوى الأمصـــــار مختبرا، وبـاحـث فرق الأمم، وسـبر سـير العرب والعجم، ثم ألقى عصـــا التســـيار بهذه الحضـرة العليا، لما علم أن لها مزية الفضـــل دون شـــرط ولا ثنيـا، وطوى المشـــــارق إلى مطلع بـدرهـا بـالغرب، وآثرهـا على الأقطار إيثار التبر على الترب، اختيـارا بعـد طول اختبـار البلاد والخلق، ورغبـة اللحـاق بـالطـائفـة المثلى، التي على الحق **(102 كلمة) (490 حرف)**	Au nombre de ceux qui arrivèrent à son illustre porte, et qui, après avoir traversé les étangs des autres contrées, parvinrent à cette mer immense, se trouvait le cheïkh, le jurisconsulte, le voyageur, l'homme digne de foi, sincère, qui a voyagé dans toute la terre et en a traversé les diverses régions en long et en large, Abou Abd Allah Mohammed, fils d'Abd Allah, fils de Mohammed, fils d'Ibrâhîm alléouâty atthandjy, plus connu sous le nom d'Ibn Batoutah, et désigné, dans les contrées de l'Orient, par celui de Chems eddîn. C'est le même qui a fait le tour du monde et a parcouru les cités en homme attentif et instruit, qui a examiné avec soin les diverses nations et a exploré les coutumes des Arabes et des Persans ; après quoi il déposa le bâton du voyageur dans cette noble capitale, car il reconnut qu'elle avait un mérite supérieur, sans restriction et sans exception. Il parcourut donc l'Orient pour arriver au lieu où se lève cette pleine lune dans l'Occident, et il la préféra aux autres régions, de même que l'on préfère la poudre d'or à la poussière ; et cela de son propre mouvement, après avoir tâté pendant longtemps des autres pays et des autres hommes, et dans le désir de se joindre à la troupe qui ne cesse d'être occupée de Dieu. **(224 كلمة) (1032 حرف)**	Au nombre* de ceux qui se sont dirigés vers l'illustre cour de Fès et qui ont parcouru le monde pour arriver dans cette cité tumultueuse, se trouve : le cheikh, juriste, voyageur, homme digne de foi, sincère qui a parcouru le monde et qui a sillonné les contrées de long en large, Abû 'Abdallah Muḥammad ben 'Abd-Allah ben Muḥammad ben Ibrâhîm al-Lawâti at-Tanjî, connu sous le nom d'Ibn Battûta et de Shams ad-dîn en Orient. Il a fait le tour de la terre en observateur attentif et a visité les villes en spectateur averti. Il a exploré les différentes nations, a sondé les coutumes des arabes et des autres. Puis il a jeté son bâton de pèlerin dans cette noble capitale puisqu'il en a reconnu le mérite qui ne souffre ni restriction, ni exception. Il a parcouru l'Orient pour parvenir là où resplendit le joyau de l'Occident (Fès) qu'il a préféré à toute autre cité, de même qu'on préfère l'or à la poussière, choix guidé par son libre arbitre après avoir éprouvé longuement les pays et les hommes et parce qu'il désirait se joindre à ceux qui **sont toujours dans la vérité.** **(192 كلمة) (884 حرف)**

تحليل:

يسـمح لنا هذا الجدول من اسـتخلاص عدّة أوجه للتمديد غير الضـروري نتناولها بالشـرح كلذ واحدة في موضعها:

2.2.3.1 التمديد الناتج عن العقلنة

يظهر التمديد في هذا المثال خاصــة في اسـتحداث علامات وقف جديدة وإعادة تركيب الجمل. يمكننا إدراج في هذه الخانة كلّ الأمثلة السابقة.

2.2.3.2 التمديد الناتج عن الإيضاح الضروري

المثال 1:

" وكان ممن وفد على بابها السامي وتعدى أوشال البلاد إلى بحرها الطامي، الشيخ الفقيه..." /

"Au nombre* de ceux qui se sont dirigés vers l'illustre cour de Fès et qui ont parcouru le monde pour arriver dans cette cité tumultueuse، se trouve: le cheikh, juriste..."

المثال 2:

" ثم ألقى عصا التسيار بهذه الحضرة العليا، لما علم أن لها مزية الفضل دون شرط ولا ثنيا"، /

« Puis il a jeté son bâton de pèlerin dans cette noble capitale puisqu'il en a reconnu le mérite qui ne souffre ni restriction, ni exception ».

2.2.3.3 التمديد الناتج عن الإيضاح غير الضروري

المثال 1:

" وطوى المشارق إلى مطلع بدرها بالغرب، /

"Il parcourut l'Orient pour arriver au lieu où se lève cette pleine lune dans l'Occident,»

تحليل:

إنّ لجوء المترجم في هذا المثال للرابط المنطقي "donc" غير ضـــروري لاكتمال المعنى فلا طائل منه.

وعلى ضوء الجدول الوارد أعلاه (المثال الرابع)، نستطيع توضيح الميل إلى التمديد على النحو التالي:

	ن أ	ت 1	ت 2	الزيادة
عدد الكلمات	102 كلمة	224 كلمة	192 كلمة	90 / 122
عدد الحروف	490	1032	884	394 /542

يتبين من هذا الجدول التحصـــيلي أنّ الفارق المســـجّل بين عدد الكلمات الأصـــلية والكلمات المترجمة يشكّل زيادة بنسبة 119 % بالنسبة للترجمة ديفريميري (ت 1) و88 % بالنسبة لـــ ترجمة بول شارل دومينيك (ت 2). أمّا الفارق المسجّل بين عدد الحروف الأصلية والحروف المترجمة فيشكّل زيادة بنسبة 110 % بالنسبة لـ (ت 1) و80 % بالنسبة لـ (ت 2).

2.2.4 الميل الرابع: التنميق (التفخيم)

لاحظنا عموما من خلال تحليلنا للمدونات الأصـلية العربية، آليات عكسـية لهذا الميل، أي أنّ الترجمات الفرنســـية لم تكن في حاجة إلى زخرفة الأســـلوب، كما هو معتاد في الترجمات التوطينية للأعمال الأجنبية الناشـئة. وهذا دليل على وعي المترجمين بالمسـتوى اللغوي الثقافي للمصـادر العربية وأصحابها.

المثال الأول

ن أ	ت 1	ت 2
و**قضى** القاضي **نحبه** ضحى اليوم الرابع [...] وكان قد **توفى** من تجار تونس الذين صحبتهم من مليانة محمد ابن الحجر [...] **فانتهى خبره** لابن سيد الناس المذكور **فانتزعها من يده** وهذا أول ما شاهدته من **ظلم** عمال الموحّدين وولاّتهم...	Le matin du quatrième jour, le kâdhi **rendit le dernier soupir**. […] or, un des marchands de Tunis en compagnie desquels j'avais voyagé depuis Miliânah, le nommé Mohammed, fils d'Al-hadjar […] **était mort**, […] Ibn Seyid annâs, **ayant eu connaissance de ce fait**, **enleva la somme des mains du dépositaire**. C'est le premier acte d'injustice dont j'aie été témoin de la part des agents et lieutenants des Almohades.	Le cadi **mourut** dans la matinée du quatrième jour […] Ibn Sayyid an-Nâs **eut vent de l'affaire et frustra le dépositaire** de ses dinars. C'est le premier acte inique dont j'ai été témoin de la part des gouverneurs des Almohades*.

تحليل:

نلاحظ في هذا المثال استعمالا معكوسا للتنميق: نعني أنّ النص الأصلي هو الذي يوظف أسلوب التنميق بالدرجة الأولى، وإذا كانت ت 1 تراعي هذه الخاصية اللازمة للنص الأصلي، فالترجمة المعادة (ت 2) تضع الإفقار الكيفي **"mourut"** مقابل التنميق **"قضى نحبه"**، والتنميق " **eut vent de l'affaire et frustra le dépositaire**" مقابل الفعل العادي. وبهذا تكون ت 1 أقرب إلى النص الأصلي حيث تلجأ إلى إجراء التكافؤ للتنويع من المكافئات على المستوى التركيبي المعجمي: فهي تترجم قَضَى نَحْبَهُ (حرفيا، فرغ من عمله، ورجع إلى ربه) أي مات بـ " **rendit le dernier soupir**" (لفض نفسه الأخير).

2.2.5 الميل الخامس: الإفقار النوعي

المثال الأول

ن أ	ت 1	ت م 1
بسم الله الرحمن الرحيم	AU NOM DU **DIEU** CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX	**Au nom d'Allah, le clément, le miséricordieux**

تحليل:

يظهر الإفقار النوعي هنا في استعمال مكافئ فرنسي لكلمة الله. فترجمة الله بـ "Dieu" تعتبر تجنيسا، حسب تعبير لورانس فينوتشي، للعمل الأجنبي لا يأخذ في الحسبان الشحنة الدلالية الدينية والثقافية الإسلامية التي تصحب هذه الكلمة. وفي المقابل، لجأت بول شارل دومينيك إلى إجراء النسخ " Allah " للمحافظة على الشحنة الدلالية الإضافية الموجودة في كلمة الله، وهي بذلك تحاول تلقي الأجنبي كأجنبي وكأنها تحمل القارئ الفرنسي على قبوله. قلنا تحاول لأنّ استعمال بول شارل دومينيك لكلمة الله ليس نسقيا ما دامت قد اختارت في مواقع أخرى من النص المكافئ "Dieu" لترجمة نفس الكلمة. وفي هاته الحالة، لا يمكننا اعتبار هذه الترجمة نموذجا مصحّحا للقراءة بالمقارنة مع النموذج الأول الذي اعتمده المترجمان ديفريميري وسنجوبناتي في ترجمة المفردات الدينية والثقافية.

المثال الثاني

ن أ	ت 1	ت 2
"**وكان** ممن وفد على **بابها السامي، وتعدى أوشال البلاد إلى بحرها الطامي،** الشيخ	Au nombre de ceux qui arrivèrent à son illustre porte, et qui, après avoir traversé les étangs des autres contrées, parvinrent à cette mer immense , **se trouvait** le cheïkh, le jurisconsulte, le voyageur, l'homme	Au nombre* de ceux qui se sont dirigés vers l'illustre cour de Fès et qui ont parcouru le monde pour arriver dans cette cité tumultueuse , se trouve : le cheikh, juriste,

الفقيه السائح الثقة الصدوق، جوال الأرض، ومخترق الأقاليم بالطول والعرض، أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة المعروف في البلاد الشرقية بشمس الدين، **(44 كلمة)**	digne de foi, sincère, qui a voyagé dans toute la terre et en a traversé les diverses régions en long et en large, Abou Abd Allah Mohammed, fils d'Abd Allah, fils de Mohammed, fils d'Ibrâhîm alléouâty atthandjy, plus connu sous le nom d'Ibn Batoutah, et désigné, dans les contrées de l'Orient, par celui de Chems eddîn. **(90 كلمة)**	voyageur, homme digne de foi, sincère qui a parcouru le monde et qui a sillonné les contrées de long en large, Abû 'Abdallah Muḥammad ben 'Abd-Allah ben Muḥammad ben Ibrâhîm al-Lawâti at-Tanjî, connu sous le nom d'Ibn Battûta et de Shams ad-dîn en Orient. **(75 كلمة)**

تحليل:

نلاحظ في الترجمة الثانية لبول شارل دومينيك تصرفا واضحا في الأسلوب حيث أنّ أسلوب التورية الذي يوظّفه النص الأصلي كتعبير مجازي في عبارات "الباب السامي" و"البحر الطامي" قد استبدلته المترجمة بعبارات عادية شارحة "la cour de Fès و"tumultueuse cité" أفقرت بها البعد الجمالي للغة العربية.

2.2.6 الميل السادس: الإفقار الكمي

على الرغم من أنّ أنطوان برمان لم يتناول في دراسته مسألة الاقتباس أو التصرف في الترجمة، إلاّ أننا وجدنا في تعريفه للإفقار الكمّي تقاربا كبيرا بين المصطلحين. فمن المعلوم أنّ الاقتباس يأخذ صفات عديدة: قد يكون ظرفيا، أي انه لا يمس سوى فقرات معينة من الكتاب، أو شموليا كما هو الحال بالنسبة للترجمة المعادة لبول شارل دومينيك. وفي الحالة التي تهم هذه الدراسة، يمكننا تصنيف الترجمة المعادة لبول شارل دومينيك ضمن الاقتباسات المعيارية التي تتمثل في إعادة الكتابة لمواءمة المعايير الأدبية المعاصرة، ويترتب عن ذلك التكييف الجديد تغيير في الهدف والوظيفة يراع فيه انتظار وتطلعات جمهور جديد من القراء.

أول ملاحظة هامة نشير إليها بخصوص (ت 2) هي التقليص الشامل لمقدمة ابن جزي: ففي هذا الحالة، تحذف المترجمة ما لا يقلّ عن أربع صفحات. فعلا، لقد اختارت المترجمة أثناء تصرّفها بالنص الأصلي الاستغناء عن فقرات بل صفحات كاملة اعتبرتها مجرّد استطرادات دون طائل، وهذا ما يحملنا على القول أنّ التصرف هنا اختزالي[23] وإرادي ما دامت المترجمة قد صرّحت منذ الصفحة

[23] يأخذ الاقتباس صفات عديدة: قد يكون ظرفيا، أي انه لا يمس سوى فقرات معينة من الكتاب، أو شموليا كما هو الحال بالنسبة للترجمة المعادة لبول شارل دومينيك. وفي الحالة التي تهم هذه الدراسة، يمكننا تصنيف الترجمة المعادة

الأولى وعلى صورة الغلاف أنّها قد اكتفت بترجمة شذرات من العمل الأدبي الأصلي وهذا ما يبدو جليا عند قراءتنا للعنوان : *Ibn Baṭṭūta, voyages et périples choisis*.

ومن بين الحذف الذي مارسته المترجمة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، حذفها لمعظم النصوص التي أضافها ابن جزي على سبيل الاستشهاد : نصوص الجغرافي الحسين ابن جبير(وصف مدينتي حلب ودمشق في عدة صفحات)، والمحدّث الرحال شمس الدين بن حسان القيسي (ص.190)، والأبيات الشعرية لفحول الشعراء (علي ابن حبيب التنوخي في وصف مدينة صفاقس، وشرف الدين بن محسن ، وعرقلة الدمشقي الكلبي وأبو الوحش سبع ابن خلق الأسدي وابن المنير ونور الدين الغرناطي في وصف دمشق)، والحكايات الخاصة بالأولياء الصالحين وكراماتهم (الإمام الخليفة صاحب المكاشفات، والإمام الشاذلي في مصر وغيرهم) وحكايات أخرى خاصة بالمدن. وهذا ما يثبت الجانب التبسيطي والمستخفّ للتصرف الذي يكون تشويهيا بالدرجة الأولى: فالتحريفات هنا تمسّ الشكل والمضمون. وبتقليصها الشديد مثلا لعتبة النص التي تشكلها المقدمة ومحوها للتعالق النصي بين خطابي ابن بوطوطة وابن جزي، تكون المترجمة قد أعرضت عن إحدى خصوصيات الأسلوب العربي السائد في فترة معينة من الزمن (القرن 8 هـ/ 14 م)، ونحن نرى في هذه الاستراتيجية الترجمية إخفاق في التعبير عن التعاقبية الزمنية في كلّ جوانبها، ممّا يؤول بنا إلى استنتاج أولي مفاده أنّ المسافة بين الأصل والترجمة المعادة كبيرة جدا وهي بطبيعة الحال أكبر بكثير من المسافة التي فصلت الأصل عن الترجمة الأولى لسنجويناتي وديفريميري (ت 1). ونعود في الحالات التالية إلى فكرة الإفقار الكمي وفق المنظور البرماني:

لبول شارل دومينيك ضمن الاقتباسات المعيارية التي تتمثل في إعادة الكتابة لمواءمة المعايير الأدبية المعاصرة، ويترتب عن ذلك التكييف الجديد تغيير في الهدف والوظيفة يراع فيه انتظار وتطلعات جمهور جديد من القراء.

المثال الأول

ن أ	ت 1	ت 2
و**قضى** القاضي **نحبه** ضحى اليوم الرابع [...] وكان قد **توفى** من تجار تونس [...]محمد ابن الحجر [...] ولمّا وصلنا إلى بجاية... أصابتني الحمّا فأشار عليّ أبو عبد الله الزبيدي بالإقامة فيها حتى يتمكن البروء منّي فأبيت وقلت إن قضى الله عزّ وجلّ **بالموت** فتكون وفاتي بالطريق وأنا قاصد أرض الحجاز [...]	Le matin du quatrième jour, le kâdhi **rendit le dernier soupir**. […] Or, un des marchands de Tunis […] le nommé Mohammed, fils d'Al-Hadjar […] **était mort**, […] A peine étions-nous arrivés à Bougie que je fus pris de la fièvre. Abou Abd Allah azzobeidy me conseilla de m'arrêter en cette ville jusqu'à ma guérison ; mais je refusais de suivre cet avis, et je répondis : « Si Dieu a résolu ma **mort**, que du moins **elle** arrive pendant que je serai en route pour me rendre dans le Hidjâz.	Le cadi **mourut** dans la matinée du quatrième jour […] Or, Muḥammad ben el-Ḥajar, un des marchands de Tunis […] un des négociants de Tunis […] **vint à mourir** […] Arrivé à Bijâya, j'eus la fièvre. Abû 'Abd Allah az-Zubaydî me conseilla donc de rester dans la ville jusqu'à ce que je guérisse, mais je refusai : « Si je dois **mourir**, que ce soit sur la route du Hedjâz ! »

تحليل:

في هذا المثال، يظهر الإفقار الكمّي من خلال الضياع المعجمي المترتّب عن اختزال الدوال: فاستعمال النص الأصلي لمرادفات متنوعة لكلمة "موت" كالتعبير المجازي "**قضى نحبه**" والفعل "**توفّى**"، لا يقابله في (ت 2) سوى كلمة واحدة تتمثل في الفعل "**mourir**" للتعبير عن هذه المرادفات، في حين راعت (ت 1) الأسلوب العربي حيث ترجم الفعل بالفعل والتعبير المجازي بالتعبير المجازي، وهذا أقرب إلى الترجمة الحرفية وفقا للتعريف البرماني.

وفي هذا المثال كذلك استعمال علامات ترقيم أخرى وهي الحاضنتين التي يراد بهما تفعيل الحوار المباشر الذي ورد على لسان الراوي العليم (narrateur omniscient) وهو ابن بطوطة. ويكون توظيف الأسلوب المباشر في كلتا الترجمتين دليلا على ثبات هذه الخاصية الأسلوبية في النثر الفرنسي[24].

[24] بدأ استعمال الحاضنتين في القرن السادس عشر على يد المطبعيين الفرنسيين الذين كانوا يضعون تلك العلامات على الهامش الأيسر المخصص للاستشهاد ثمّ داخل النص مباشرة (Catach,1968 : 78-81).

المثال الثاني (عنوان فرعي)

ن أ	ت 1	ت 2
طيْبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وشرّف وكرّم	THAÏBA (MÉDINE), LA VILLE DE LENVOYÉ DE DIEU, QUE LA BÉNÉDICTION DE L'ÉTERNEL ET LA PAIX SOIENT SUR LUI ET QU IL SOIT ENNOBLI ET HONORÉ !	**Ṭayba, ville de l'Envoyé de Dieu**

تحليل:

يشـكّل الحذف وجها آخرا للإفقار الكمي. والمثال الذي بين أيدينا يبيّن كيف قامت المترجمة (ت 2) بحذف جملة كاملة تتشكل من فئات نحوية مختلفة (فعل + فاعل + حرف جرّ + ضمير + حرف عطف+ فعل+ حرف عطف+ فعل+ حرف عطف+ فعل). وهي تسـعى بذلك إلى تكييف النص بإخضاعه إلى المعيار الفرنسي السائد في صياغة العناوين. بينما يظهر في ت 1 اللجوء إلى التمديد والإيضاح بين قوسين والترجمة بالمكافئ الفرنسي الذي يضفي صفة التجنيس واللون الثقافي المسيحي على النص المترجم.

المثال الثالث

ن أ	ت 1
وبعد فقد قضـت العقول، وحكم **المعقول والمنقول**، بأنّ هذه **الخلافة العليّة المجاهدة المتوكّلية الفارسـية** هي ظلّ الله الممدود على الأنام وحبله الذي فيه الاعتصام، (...)	Or, les intelligences ont décidé, et les connaissances qui dépendent du raisonnement et de la tradition ont prononcé que ce règne sublime, belliqueux, pieux, fârisien (c'est-à-dire, d'Abou Inân Fâris), est l'ombre de Dieu même étendue sur les hommes, et *sa corde à laquelle on s'attache fortement* (Coran, III, 98) ;

تحليل:

أول ملاحظة تخص هنا عبارة المعقول والمنقول: أمّا المعقول لغة، فهو كلام أصـله العقل، وأمّا المنقول فهو النص الشرعي من آيات قرآنية وأحاديث نبوية. وتكون ترجمتهم الحرفية بـــ: la raison et la tradition مقبولة وكافية.

توجد في عبارة "الخلافة العليّة المجاهدة المتوكّلية الفارسـية" إحالة رمزية وفعلية إلى نظام الحكم الإسـلامي الذي بدأ ينزاح عن نسـق البداوة بظهور الخلفاء الراشـدين في القرن الأول للهجرة/ السـابع الميلادي. و"الخلافة العليّة المجاهدة المتوكّلية الفارسـية" تعدّ من هذا المنظور تعيينا أو تسـمية "رمزية" توارثها لملك أبي عنان فارس المريني، علما أنّ مؤسـسـة الخلافة بكلّ مقوماتها الأولى قد تلاشـت في أواخر القرن الثالث عشـــر. إذ نرى في عبارة " الخلافة العليّة المتوكّلية...، ظلّ الله على الأنام..."

إشارة إلى الإمامة لدى الشيعة الإسماعلية (الفاطميين) الذين أسسوا الإمامة بالقيروان في القرن الرابع الهجري (909 م). وهي عندهم عبارة عن نظام تيوقراطي، حيث يبرز الإمام كخليفة الله على الأرض. لكلّ هذه الأسباب، كان لا بدّ على المترجم مراعاة السياق التاريخي وما يفرزه من مصطلحات دينية وثقافية تفرض قيودها على كاتب النص.

2.2.7 الميل السابع: محو شبكات اللغة العامية المحلية

حسب برمان (1985، ص. 72)، "يشكل محو اللهجات العامية تهديدا لنصية الأعمال النثرية" (ترجمتنا). لكن، ما عدا المصطلحات العامية المغربية التي أشرنا إليها سابقا والمصطلحات الثقافية التي نقلها ابن بطوطة إلى العربية اقتراضا من اللهجات أو اللغات المحلية للبلدان الذي زارها في رحلته (خاصة في الهند والصين وتركيا)، لم نجد أي مثال عن لهجة مغربية أو غيرها تسرّبت داخل النص، نعني على مستوى الخطاب.

2.2.8 الميل الثامن: هدم شبكات الدلالة التحتية

خلافا لما أورده أنطوان برمان بخصوص هدم الترجمة لشبكات الدلالة التحتية المضمرة والصريحة في النص الأصلي، فإنّ المترجمان في (ت 1) عملا كلّ ما في وسعهما لتصريح المضمر وإبراز النص الموازي، كما سبقت الإشارة إليه في الأمثلة الخاصة بالإيضاح. وهذا دليل على مرئية المترجم والذاتية التي تبرز من خلال تدخلاته في صلب النص.

2.2.9 الميل التاسع: هدم الإيقاعات

المثال الأول

ن أ	ت 1	ت 2
قال ابن جزي أخبرني أبو عبد الله بمدينة غرناطة أن مولده بطنجة في يوم الإثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث وسبعماية رجع وكان ارتحالي في أيام أمير المؤمنين (...)	Ibn Djozay raconte ce qui suit : «Abou Abd Allah m'a dit à Grenade qu'il était né à Tanger, le lundi, 17 de redjeb de l'année 703 (24 février 1304) ». Mais revenons au récit du voyageur. Je me mis en route sous le règne du prince de croyants (…)	Ibn Juzay fait remarquer qu'Abû 'Abd Allah lui avait dit à Grenade qu'il était né à Tanger le lundi 17 rajab 703 *.

تحليل:

لقد سبق أن أشرنا إلى الطابع التناصي الذي يميز كتاب الرحلة. في هذه الحالة النموذجية غير الاستثنائية (أنظر كذلك ص.21، 23، 25، إلخ...)، نلاحظ استعمال حدود واضحة بين خطابي ابن جزي وابن بطوطة **تتجسد** في النص في كلمة **رجع.** وقد اختارت (ت 1) الحفاظ على هذه الحركية بين صوتي الحكي. ونظرا لعدم وجود مكافئ لهذه الصيغة في الفرنسية، اضطر المترجم لاستعمال جملة كاملة للتعبير عنها. غير أننا لا نجد أثرا لهذه الخاصية الأسلوبية في (ت م 1)، وهذه من بين إخفاقات الترجمة بالتصرف.

المثال الثاني

ن أ	ت 1
وبعد فقد قضت العقول، وحكم المعقول والمنقول، بأنّ هذه الخلافة العليّة المجاهدة المتوكّلية الفارسية هي ظلّ الله الممدود على الأنام وحبله الذي فيه الاعتصام، (...) فلها العزّ الذي عقد تاجه على مفرق الجوزاء، والمجد الذي جرّ أذياله على مجرّة السماء، والسعد الذي ردّ على الزمان غضّ شبابه، والعدل الذي مدّ على أهل الإيمان مديد أطنابه، والجود الذي قطّر سحابه اللجين والنضار ، والبأس الذي فيّض غمامه الدم الموّار، والنصر الذي نفض كتائبه الأجَل، والتأييد الذي بعض غنائمه الدول، والبطش الذي سبق سيفه العذل، والأناة التي لا يمل عندها الأمل، والحزم الذي يسدّ على الأعداء وجوه المسارب، والعزم الذي يفلّ جموعها قبل قراع الكتايب، والحِلم الذي يجني العفو من ثمر الذنوب، والرفق الذي أجمع على محبّته بنات القلوب، والعلم الذي يجلو نوره دياجي المشكلات، والعمل المقيّد بالإخلاص والأعمال بالنيّات، (...)	Or, les intelligences ont décidé, et les connaissances qui dépendent du raisonnement et de la tradition ont prononcé que ce règne sublime, belliqueux, pieux, fârisien (c'est-à-dire, d'Abou Inân Fâris), est l'ombre de Dieu même étendue sur les hommes, et *sa corde à laquelle on s'attache fortement* (Coran, III, 98) ; (…) Ce règne possède une gloire dont la couronne est placée sur le front d'Orion, et une illustration qui recouvre des pans de sa robe la voie lactée ; un bonheur qui a rendu au siècle une nouvelle jeunesse ; une justice qui déploie sa vaste tente sur les hommes religieux ; une libéralité semblable au nuage qui arrose à la fois les feuilles tombées des arbres et les arbres eux-mêmes ; un courage qui, de même que les nuées versent des torrents de pluie, répand des flots de sang. Ses escadrons victorieux secouent la mort. Il a pour lui l'assistance divine, du butin de laquelle font partie les empires ; une force impétueuse dont l'épée prévient les réprimandes ; une patience qui ne se fatigue pas d'espérer ; une prudence qui interdit aux ennemis l'approche des pâturages ; une résolution qui met en fuite leurs troupes, avant même que l'action soit engagée ; une douceur qui se plait à cueillir pardon sur l'arbre des péchés ; une bonté qui lui gagne tous les cœurs ; une science dont les lumières éclaircissent les plus ténébreuses difficultés ; une conduite conforme à la sincérité, et des actes conformes à ses intentions.

تحليل:

نلاحظ هنا تغيير الترجمة للتركيبة النحوية العربية التي جاءت في شكل:

- جملة مصـــدرية: " ... بأنّ هذه الخلافة العليّة المجاهدة المتوكّلية الفارســية هي ظلّ الله الممدود على الأنام وحبله الذي فيه الاعتصـــام " تعبّر عمّا يعلنه الفعل في الجملة الأولى من أمر تمّ حدوثه " قضت العقول، وحكم المعقول والمنقول"،
- جملة في محل خبر " فلها العزّ الذي ... والمجد الذي ... (إلى آخر الفقرة) وهنا جاءت الفاء زائدة للتوكيد، وهي شبيهة بالفاء الواقعة في جواب الشرط.

وهذا يعني أنّ الجمل الثلاثة تربطها علاقة شــرطية واضــحة: فما دامت الخلافة هي ظلّ الله الممدود على الأنام وحبله الذي فيه الاعتصـــام، فهي تســـتحق أن يدعى لها بالعزّ والمجد وســـائر الصـــفات الحميدة المذكورة في النص. وعليه، يمكننا القول أنّ ت 1 قد انحازت عن المعنى الأصـــلي لسببين:

- إعادة تركيب الجمل بإضافة علامة وقف بين الجملة الشرطية وجواب الشرط.
- الإخفاق في ترجمة المصطلحات الثقافية الحضارية ذات الصلة بالخلافة.

لهذا، نقترح ترجمة أقرب إلى الحرف، نراعي فيها التركيبة الأصـــلية والدلالة الثقافية للكلمات، لكن مع تغيير حتمي لعلامات الوقف يفرضه نسق الكتابة الفرنسي:

> *« Or, la raison et la tradition ont statué que le califat fâriside sublime, versé dans le djihad et confiant en Allah, est l'ombre d'Allah étendue sur les hommes, et sa corde en laquelle on s'attache fortement. (...) A lui donc, la gloire qui a paré de sa couronne le front d'Orion ; la noblesse qui a recouvert de ses pans la voie lactée le bonheur qui a rendu au temps la fraîcheur de sa jeunesse ; la justice qui a déployé ses bras sur les croyants, la générosité d'un ciel dont il pleut de l'or et de l'argent ; le courage dont les nuées répandent des flots de sang ; la victoire dont les escadrons furent secoués par la mort ; l'assistance du butin de laquelle font partie les empires ; la force impétueuse*

dont l'épée prévient les réprimandes[25] ; la patience qui ne se fatigue pas d'espérer ; la fermeté qui fait barrage aux ennemis ; la détermination qui vainc les troupes avant même que la bataille ne soit engagée ; l'indulgence qui cueille le pardon sur l'arbre des péchés ; la bonté qui lui gagne tous les cœurs ; la science dont les lumières triomphent sur l'obscurantisme ; la tâche exercée avec loyauté ; et les actes conformes aux intentions ».

المثال الثالث

ن أ	ت 1	ت 2
وكان ممن وفد على بابها السامي، وتعدى أوشال البلاد إلى بحرها الطامي، الشيخ الفقيه السائح الثقة الصدوق، جوال الأرض، ومخترق الأقاليم بالطول والعرض، أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة المعروف في البلاد الشرقية بشمس الدين، (44 كلمة)	Au nombre de ceux qui arrivèrent à son illustre porte, et qui, après avoir traversé les étangs des autres contrées, parvinrent à cette mer immense , se trouvait le cheïkh, le jurisconsulte, le voyageur, l'homme digne de foi, sincère, qui a voyagé dans toute la terre et en a traversé les diverses régions en long et en large, Abou Abd Allah Mohammed, fils d'Abd Allah, fils de Mohammed, fils d'Ibrâhîm alléouâty atthandjy, plus connu sous le nom d'Ibn Batoutah, et désigné, dans les contrées de l'Orient, par celui de Chems eddîn. (90 كلمة)	Au nombre* de ceux qui se sont dirigés vers l'illustre cour de Fès et qui ont parcouru le monde pour arriver dans cette cité tumultueuse , se trouve : le cheikh, juriste, voyageur, homme digne de foi, sincère qui a parcouru le monde et qui a sillonné les contrées de long en large, Abû 'Abdallah Muḥammad ben 'Abd-Allah ben Muḥammad ben Ibrâhîm al-Lawâti at-Tanjî, connu sous le nom d'Ibn Battûta et de Shams ad-dîn en Orient. (75 كلمة)

تحليل:

من خصائص الأسلوب في الحكي العربي عموما والرحلة خصوصا، استعمال الزمن الماضي. لكن المترجمة (ت 2) لجأت إلى استبدال الماضي بمضارع الحكي. وقد اكتسب هذا النمط الزمني في الأدب الفرنسي قيمة تمكنه من اختزال الفوارق الزمنية وتنشيط الأفعال وإعطائها حيوية تجعل القارئ يتعايش مع السرد. وباستعمالها للمضارع ترمي المترجمة بول شارل دومينيك إلى تسريع الصورة الزمنية

[25] "سبق السيف العذل". وهو من الأمثال التي تُضرب في حالة التسرع في إصدار القرارات وتنفيذها دون تفكيرٍ مسبق.

وتفعيل الوظيفة الدرامية للحكي، غير أنّ هذا يعدّ مساسا بالنسق الأصلي. أمّا ت 1 فاستعملت الماضي الناقص (Imparfait) للدلالة على الماضي الناقص وفي هذا مراعاة لجانب هام من أسلوب الحكي.

المثال الرابع

ن أ	ت 1	ت 2
قال ابن جزي أخبرني أبو عبد الله بمدينة غرناطة أن مولده بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث وسبعمائة رجع ولما وصلنا إلى بجاية كما ذكرته، أصابتني الحمى، فأشار علي أبو عبد الله الزبيدي بالإقامة فيها حتى يتمكن البرء مني، فأبيت وقلت إن قضى الله عز وجل بالموت فتكون وفاتي بالطريق وأنا قاصد أرض الحجاز. فقال لي أما إن عزمت فبع دابتك وثقل المتاع، وأنا أعيرك دابة وخباء وتصحبنا خفيفا، فإننا نجد السير خوف غارة العرب في الطريق،	Ibn Djozay raconte ce qui suit : « Abou Abd Allah m'a dit à Grenade qu'il était né à Tanger, le lundi 17 de redjeb de l'année 703 (24 février 1304) ». Mais revenons au récit du voyageur. A peine étions-nous arrivés à Bougie que je fus pris de la fièvre. Abou Abd Allah azzobeïdy me conseilla de m'arrêter en cette ville jusqu'à ma guérison ; mais je refusai de suivre cet avis, et je répondis : « Si Dieu a résolu ma mort, que du moins elle arrive pendant que je serai en route pour me rendre dans le Hidjâz. me dit-il.	Ibn Juzayy fait remarquer qu'Abû 'Abd Allah lui avait dit à Grenade qu'il était né à Tanger le lundi 17 *radjab* 703*. Arrivé à Bijâya, j'eus la fièvre. Abû 'Abd Allah az-Zubaydî me conseilla donc de rester dans la ville jusqu'à ce que je guérisse, mais je refusai : « Si je dois mourir, que ce soit sur la route du Hedjaz ! ».

تحليل:

يظهر تغيير أسلوب الخطاب في (ت 1) حيث حُوّل الأسلوب غير المباشر إلى الأسلوب المباشر بكلّ مكوّناته الشكلية: فعل كلام + نقطتان+ حاضنتان. وكلّها علامات ترتبط بأسلوب الخطاب المنقول عن وضعية تلفّظ سابقة. أمّا (ت 2) فوظّفت الأسلوبين معا. وتحويل الخطاب المروي (غير المباشر) في النص الأصلي إلى خطاب مباشر في (ت 1) و (ت 2) يراد به تفعيل الأحداث وتحيينها. وباختيارهما لأسلوب الحوار المباشر (استعمال علامات الوقف)، يفعّل المترجمين أسلوبا جديدا في الحكي[26] قد يراد منه الإيحاء بموضوعية أكبر في نقل الخبر عن مختلف المتلفّظين

[26] انتشر هذا الأسلوب منذ القرن السابع عشر في الأعمال الأدبية الغربية.

الذين يشـاركون الراوي العليم المشـارك (ابن بطوطة). كما نلاحظ إلى جانب هذا تغييرا في زمن الفعل الذي يتقدّم الجملة الأصلية: من الماضي إلى مضارع الحكي.

2.2.10 الميل العاشر: هدم التعابير الجامدة والاصطلاحية

يقصـــد أ. برمان بالتعابير الجامدة والاصـــطلاحية مجموع الصـــور المجازية (من بيان وبديع) وكذلك الأمثلة الشـعبية الشـائعة في ثقافة ما. لهذا، يمكننا أن نضـمّ إلى هذه الخانة كلّ الأمثلة السـابقة المستخرجة من مقدمة ابن جزي ومجموع الأبيات الشعرية الواردة في الرحلة ونصوص الورد كما جاءت في ذكر حزب البحر للإمام الشاذلي في مصر.

2.2.11 الميل الحادي عشر: محو التراكبات اللغوية

يقصـــد بالتراكبات اللغوية مبدأ الحوارية الذي أورده ميخاييل باختين (ذكره تودوروف، 1981: 89). ولقد سبق ان ذكرنا أنّ نص الرحلة يتشكّل من نصوص أخرى صريحة كانت أو ضمنية. وعليه، يكون إجراء الحذف الشمولي الذي مارسته المترجمة الثانية، بول شارل دومينيك، أفضل مثال عن محو التراكبات اللغوية (الأمثلة الســـابقة عن مقدمة ابن جزي، محو الأبيات الشـــعرية، محو بعض الاستشهادات عن ابن جبير).

2.2.12 الميل الثاني عشر: هدم الإيقاعات

المثال الأول

ن أ	ت 1
وبعد فقد قضـــت العقول، وحكم المعقول والمنقول، بـأنّ هـذه الخلافـة العليّـة المجاهدة المتوكلية الفارسـية هي ظلّ الله الممـدود على الأنـام (...) ، فلهـا العزّ الـذي عقـد تـاجـه على مفرق الجوزاء، والمجـد الـذي جرّ أذيـالـه على مجرّة الســماء، والســعد الذي ردّ على الزمان غضّ شـبابه، والعدل الذي مدّ على أهل الإيمان مديد أطنابه، والجود الذي قطّر سـحابه اللجين والنضـار ، والبأس الذي فيّض غمامه الدم الموّار، والنصـــر الذي	Or, les intelligences ont décidé, et les connaissances qui dépendent du raisonnement et de la tradition ont prononcé que ce règne sublime, belliqueux, pieux, fârisien (c'est-à-dire, d'Abou Inân Fâris), est l'ombre de Dieu même étendue sur les hommes, et *sa corde à laquelle on s'attache fortement* (Coran, III, 98) ; (…) Ce règne possède une gloire dont la couronne est placée sur le front d'Orion, et une illustration qui recouvre des pans de sa robe la voie lactée ; un bonheur qui a rendu au siècle une nouvelle jeunesse ; une justice qui déploie sa vaste tente sur les hommes religieux ; une libéralité semblable au nuage qui arrose à la fois les feuilles tombées des arbres et les arbres eux-mêmes ; un courage qui, de même que les nuées versent des torrents de pluie, répand des flots de sang.

نفض كتائبه الأجَل، والتأييد الذي بعض غنائمه الدول، والبطش الذي سبق سيفه العذل، والأناة التي لا يمل عندها الأمل، والحزم الذي يسدّ على الأعداء وجوه المسارب، والعزم الذي يفلّ جموعها قبل قراع الكتايب، والحِلم الذي يجني العفو من ثمر الذنوب، والرفق الذي أجمع محبّته بنات القلوب، والعلم الذي يجلو نوره دياجي المشكلات، والعمل المقيّد بالإخلاص والأعمال بالنيّات، (...)	Ses escadrons victorieux secouent la mort. Il a pour lui l'assistance divine, du butin de laquelle font partie les empires ; une force impétueuse dont l'épée prévient les réprimandes ; une patience qui ne se fatigue pas d'espérer ; une prudence qui interdit aux ennemis l'approche des pâturages; une résolution qui met en fuite leurs troupes, avant même que l'action soit engagée ; une douceur qui se plait à cueillir pardon sur l'arbre des péchés ; une bonté qui lui gagne tous les cœurs ; une science dont les lumières éclaircissent les plus ténébreuses difficultés ; une conduite conforme à la sincérité, et des actes conformes à ses intentions.

تحليل:

تشكل هاته الحالة أحسن مثال عن هدم الإيقاع النصي، حيث اجتمعت فيها كلّ الأسباب:

- تغيير مواضع الوقف وإعادة التركيبة النحوية،
- اللجوء إلى الإيضاح الذي يعدّ خاصية من خصائص ت 1 ولازمة لا تفارق النص المترجم،
- استحالة ترجمة الكلام المسجوع أو التجانس بين الحروف الذي حملنا إلى تصنيف نص الرحلة ضمن النثر المقفّى[27]،
- عدم مراعاة اتّزان الجمل من حيث عدد الألفاظ.

المثال الثاني (ترجمة الشعر):

حمى الله من شطّي حماة مناظراً
وقفت عليها السمع والفكر والطرفا
تغنى حمام أم تميل خمائل
وتزهى مباني تمنع الواصف الوصفا
يلومونني أن أعصي الصون والنُهى[28]
بها وأطيع الكأس واللهو والقصفا
إذا كان فيها النهر عاصٍ فكيف لا

[27] عُرف هذا النوع من التعبير عند العرب منذ العصر الجاهلي، وأصبح واسع الاستعمال في فنّ المناظرات والمقامات في العصور العباسية الأولى. وهو واسع الاستعمال في النص القرآني ولدى القُصّاص المسلمين في القرنين الثامن والتاسع م/ الثاني والثالث هـ.

[28] "إنّ في ذلك لآيات لأولى النُّهى" : والمقصود بالنهى ذوي العقول السليمة المستقيمة.

أحاكيه عصياناً وأشربها صرفـــا
وأشدو لدى تلك النواعير شدوها
وأغلبها رقصاً وأشبهها غرفـــــا
تئن وتذري دمعها فكأنها
تهيم بمرآها وتسألها العطفـــــا

(نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العبسي العماري الغرناطي)

ترجمة سنجويناتي:

Que Dieu protège les points de vue qui bordent la ville de Hamâh, et sur lesquels j'ai attaché l'ouïe, la pensée et le regard !

Des colombes qui chantent, des branches qui s'inclinent, des édifices qui brillent et qu'on est impuissant à décrire.

On me blâme de ce que je transgresse la réserve et les défenses (de la loi) dans cette ville, et de ce que je suis livré à la coupe, au jeu et au plaisir.

Puisque dans Hamah le fleuve est 'acy (un rebelle), comment n'imiterai-je pas sa rébellion, et comment ne boirai- je pas (le vin) pur et sans mélange ?

Et pourquoi ne chanterai-je point près de ces roues hydrauliques, de même qu'elles chantent ; et pourquoi ne l'emporterai-je pas sur elles à la danse, et ne leur ressemblerai-je pas dans l'action de puiser ?

Elles gémissent et versent leurs larmes ; et l'on dirait qu'elles se passionnent en voyant ces pleurs et implorent leur affection.

تحليل:

في هذا المثال، يصـــطدم القارئ منذ الوهلة الأولى بغرابة الشـــكل: حيث لم تتمكّن الترجمة من إبقاء الجانب الشـكلاني المعهود في كتابة البيت الشـعري التقليدي، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى عدم تكافؤ الجنســين الشــعريين. بالإضــافة إلى هذا، نرى أنّ كلّ الميول التحريفية الســابقة (العقلنة بكل مظاهرها، الإيضـــاح بين قوســـين، التمديد المفرط، الإفقار النوعي بكل مظاهره) شـــاركت في تهديم الإيقاع العام للبيت الشـــعري. فالمترجم هنا لا يراعي طبيعة النص الشـــعري ووظيفته. فلا نجد في الترجمة أثرا للتوازن بين شـــطري البيت ولا القوافي. فكلّ ما يمكن للمترجم فعله في هاته الحالة، هو اللجوء إلى " المحاكاة " التي تمكننا على الأقلّ من المحافظة على جزئ من الرسالة الشعرية وتعويض النقص. ولن يتأتّى هذا، في رأينا، إلاّ عبر البيت الشعري الحرّ، فنقول على سبيل المثال:

Qu'Allah protège les paysages bordant les rives de Hamâh
à eux restent attachés l'ouïe، la pensée et le regard
Des colombes roucoulent, des branches s'inclinent
des édifices fleurissent, à la beauté ineffable.
de transgresser la vertu et la raison on me blâme
De me soumettre à la coupe, au jeu et au plaisir
Si le fleuve lui-même y est Rebelle, pourquoi
me défendrai-je de l'imiter, de m'enivrer de sa pureté,
de chanter leur chant aux norias,
de les surpasser en danse, de les égaler en eau ?
Elles, gémissantes, versent leurs larmes
Moi, enivré, cherche leur compassion.

2.3 قياس القرب الثقافي وفق نموذج جيرار جينيت

وعيا منّا بحدود النموذج البرماني الذي ينحصر في تحليل البنى الدقيقة للنص، لقد سعينا إلى استنطاق عناصر المناص، كما سبق لنا تعريفها في القسم النظري، خاصة لمعرفة أسباب إعادة الترجمة والأنظمة الثقافية المتحكمة في المشاريع الترجمية المختلفة.

2.3.1 تحليل المناص في ترجمة سنجويناتي وديفريميري

كما سبق ذكره في القسم النظري، يحيل مفهوم المناص عند جيرار جينيت إلى ترسانة من العناصر الخطابية أو المادية التي تصحب النص وتقدمه. ولتسهيل التصنيف، جمعنا العناصر المناصية محل الدراسة في قسمين رئيسيين: النص المحيط التأليفي والنشري (المقدمات، صور الأغلفة، الملحقات، المسارد) والنص الفوقي (الدراسات والتحقيقات حول النص، الأفلام المصورة، الجوائز). ودراسة المناص هنا من شأنها أن توفّر معلومات قيّمة عن تلقي النصوص المترجمة داخل النظام الأدبي للمتلقّي، كما تتيح لنا معرفة أسباب إعادة الترجمة.

2.3.1.1 صورة الغلاف (المجلد 1)

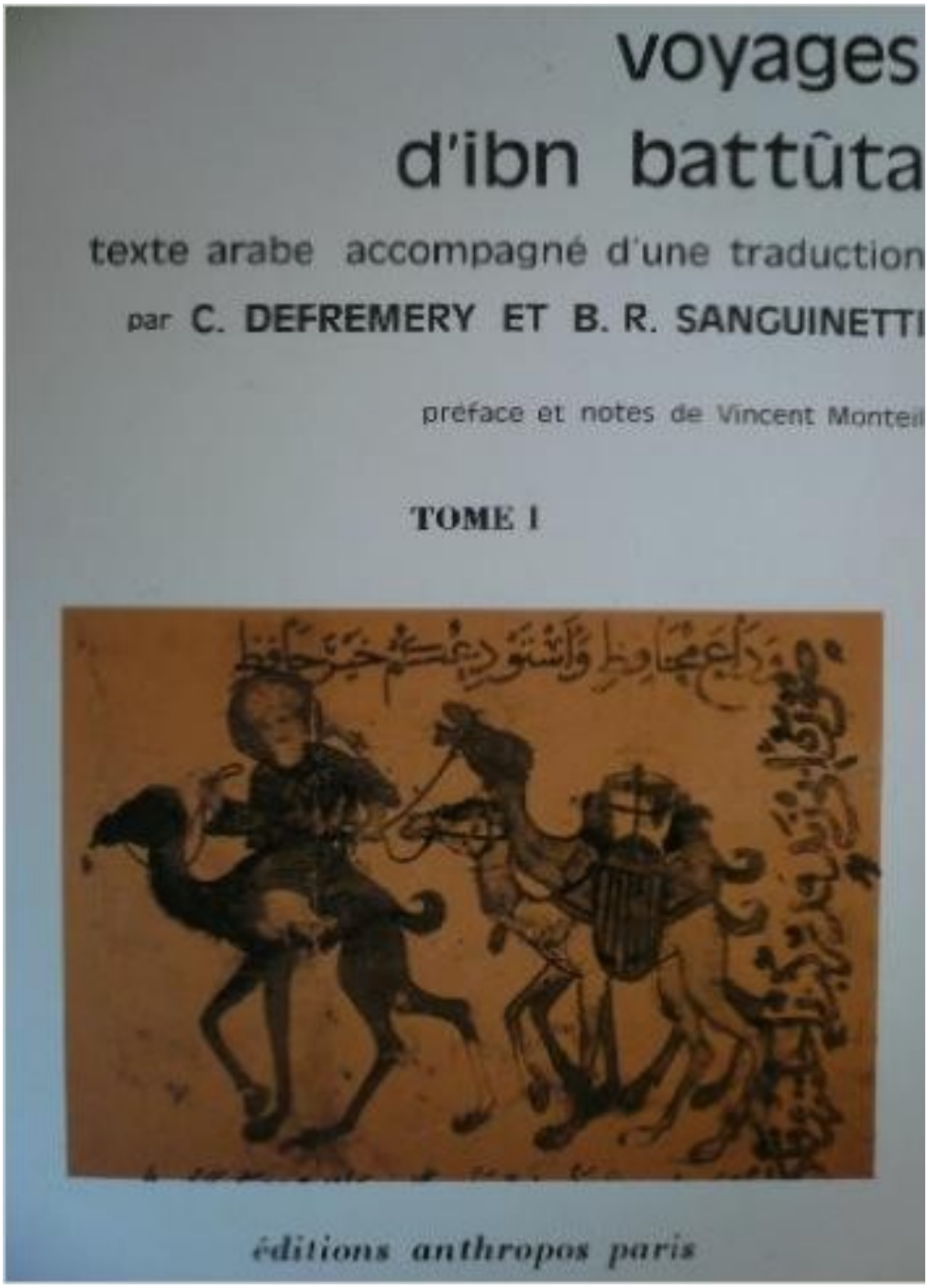

صورة توضيحية 1

الصورة الأصلية من كتاب مقامات الحريري (منمنمات الواسطي)

صورة توضيحية 2

تحليل:

صورة الغلاف هنا ترافق المقامة الحرامية وهي أول مقامة كتبها الحريري، ويشير فيها إلى رحلة السروجي إلى مدينة البصرة:

المقامة الحَرامِيَّة[1]

رَوَى الحَارِثُ بنُ هَمّامٍ عَنْ أبي زَيْدٍ السَّرُوجيّ قَالَ : مَا زِلْتُ مُذْ رَحَلْتُ عَنْسِي . وَارْتَحَلْتُ عَنْ عِرْسِي وَغَرْسِي[2] . أحِنّ إلى عِيَانِ البَصْرَةِ[3] . حَنِينَ المَظْلُومِ إلى النُّصْرَةِ . لِمَا أجْمَعَ عَلَيْهِ أرْبَابُ الدّرَايَةِ . وَأصْحَابُ الرّوَايَةِ . مِنْ خَصَائِصِ مَعَالِمِهَا وَعُلَمَائِهَا .[4] وَمَآثِرِ مَشَاهِدِهَا وَشُهَدَائِهَا . وَأسْأَلُ اللهَ أنْ يُوطِئَنِي ثَرَاهَا . لأفُوزَ بِمَرْآهَا . وَأنْ يُمْطِيَنِي قَرَاهَا . لأقْتَرِيَ قُرَاهَا . فَلَمّا أحَلّنِيهَا[5] الحَظُّ . وَسَرَحَ لي فِيهَا اللّحْظُ . رَأيْتُ بِهَا مَا يَمْلأُ العَيْنَ قُرّةً . وَيُسْلِي[6] عَنِ الأوْطَانِ كُلّ غَرِيبٍ . فَغَلّسْتُ[7] في بَعْضِ الأيّامِ . حِينَ نَصَلَ خِضَابُ الظّلامِ . وَهَتَفَ أبُو المُنْذِرِ بِالنُّوّامِ . لأخْطُوَ في خِطَطِهَا .[8] وَأقْضِيَ الوَطَرَ مِنْ تَوَسّطِهَا . فَأدّانِيَ الاخْتِرَاقُ في مَسَالِكِهَا .[9]

---

١ هذه أول مقامة أنشأها الحريري .

٢ العنس : الناقة القوية الصلبة . الغرس : ما يغرس من الشجر ، وأراد به أولاده .

٣ عيان البصرة : معاينتها ومشاهدتها .

٤ أجمع عليه أرباب الدراية : أي اتفق عليه أصحاب العلوم والمعارف . المعالم : هي المواضع التي تعلم ويجتمع اليها ، وطريق معلم لا يحتاج في سلوكه إلى دليل .

٥ يمطيني قراها : يجعلني أركب ظهرها ، كناية عن الحلول بها . أقتري : أتتبع .

٦ سرح : امتد . اللحظ : البصر . قرة : سروراً .

٧ غلست : خرجت في الغلس وهو ظلمة آخر الليل .

٨ نصل خضاب الظلام : كناية عن طلوع الفجر . أبو المنذر : كنية الديك . خططها : أماكنها .

٩ توسطها : دخولي في خلالها . فأداني : فأوصلني .

بعد البحث عن مصدر صورة الغلاف المستعملة في هذا الإصدار لمنشورات أنثروبوس، تبيّن لنا أنّها قد أخذت من مخطوط[29] مقامات الحريري[30]، ذلك النص الأدبي الذي دعّمه الواسطي[31]، عام 1237م، بترجمة تشكيلية تعتمد على عناصر بصرية غاية في الدقة. وقد استعملت دار النشر أربع صور من كتاب مقامات الحريري وزعتها على المجلدات الأربعة لمدونة الرحلة. ونتساءل طبعا عن سبب توظيف هذه الصور بالذات والغاية المرجوة منه؟ هل هو اختيار اعتباطي أو محاولة لتوجيه القراءة؟ فعلا، وفي غياب أية معلومة عن المصدر، قد يتخيل القارئ الفرنسي أنّ تلك الصور لها علاقة مباشرة بنص الرحلة.

وسنحاول فيما يلي إيجاد الخيط الرابط بين الروايتين حسب ما استقيناه من بعض الدراسات حول المقامات. تاريخيا، تعود فترة صدور الكتاب المزين للمقامات الحريرية للقرن الرابع عشر، أي بعد قرن من صدورها الأول. وهذه الفترة تتزامن مع ظهور مخطوط "الرحلة". من الناحية الأدبية، يمكننا كذلك إيجاد بعض أوجه التشابه بين القصتين، فكليهما يستعمل الأسلوب الروائي الذي يغلب عليه الوصف والسرد: وصف الأشخاص الذين يلتقي بهم والأماكن التاريخية والحضارية وتقاليد البلدان ويوميات: «يتبين من تتبع مدلول لفظ المقامة لدى النقاد والمؤرخين، أن المقامة تدل على اسم المكان، وليست مصدرا، وربما هذا نفسه ما يفسر احتفاء المقامات بأسماء المدن والأمكنة من نحو المقامة الصنعانية، الحلوانية، الواسطية..." (عبد الكريم، 2012).

وفي تعريف المقامة، يقول القلقشندي صاحب صبح الأعشى: " المقامة بفتح الميم، اسم للمجلس والجماعة من الناس، وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة. كأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها ". كما يقول عبد المالك مرتاض:

---

[29] وقد نُسبت المخطوطة إلى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر في سوريا.

[30] هو أبو محمد القاسم الحريري (1054–1122). إن إعادة تطويره لنموذج الحمداني إلى خمسين قصة متفردة ركزت على براعة وأسلوب اللغة الفلسفية، طغى على شهرة سلفه وحافظ على إحياء المقامات ومكانتها كرمز للبلاغة والذكاء في الأدب العربي. مقامات الحريري هي مجموعة معروفة من القصص باللغة العربية والتي تم توضيحها على نطاق واسع في القرنين الثالث عشر والرابع عشر في العالم الإسلامي.

[31] لقد بدأ التصوير العربي فعليا مع ازدهار حركة التأليف والترجمة، حين اتجه أغلب المصورين إلى تزيين الكتب بالرسوم التعبيرية، وكان ذلك تحت حكم السلاجقة لبغداد في 1055 م. كما شهدت تلك الفترة ظهور الرسم التشبيهي بفعل التأثير المغولي. ويبدو الواسطي أكثر جرأة من سواه، وأكثر إحساسا بأهمية الأثر التشكيلي الذي أنجزه عام 1237م، ممثلا في مقامات الحريري.

> إلى أن جاء زعيم فن المقامات بديع الزمان، فألبس المقامة حلة لم تلبســـها من قبل، وإذا المقامات فن أدبي قائم بذاته، لا يعني الجلوس ولا الجالسين، وإنما يعني أقصـوصـة طريفة، أو حكاية أدبية مشـوقة، أو نادرة من النوادر العربية يضـطرب فيها أبطال ظرفاء يتهادون الأدب، ويتبادلون النكت، في ابتسـام ثغر وطلاقة وجه (كما ورد في عبد الكريم، 2017).

هذا من ناحية تطور مدلول مصـطلح المقامة، أما من ناحية أصـولها وجذورها، فيبدو أنها ذات صلة **بفن الكُدْيَة وأحاديث الشحاذة والتسول**. وكان سبب وضع الحريري لهذه المقامات، ما حكاه ولده أبو القاسم عبد الله قال: " كان أبي جالسا في مسجد بني حرام، فدخل شيخ ذو طمرين، عليه أهبة السفر، رثّ الحال فصيح الكلام، حسن العبارة. فسألته الجماعة: من أين الشيخ؟ فقال: من سروج. فاستخبروه عن كنيته. فقال: أبو زيد. فعمل أبي **المقامة الثامنة والأربعين المعروفة بالحرامية وعزاها إلى أبي زيد** المذكور. واشتهرت فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أبو شروان ابن خالد بن محمد القشاني وزير الإمام المسترشد بالله. فلما وقف عليها أعجبته. فأشار على والدي أن يضم إليها غيرها، فأتمها خمسين مقامة ".

في المقدمة نفسها، يضعنا الحريري في صورة هذا اللون الأدبي، كأنه يريد أن يعطينا تعريفا شافيا للمقامة في مبناها ومعناها، وشكلها ومحتواها على السواء. يقول الحريري:

> وأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة، وفطنة خامدة، ورويّة ناضبة، وهموم ناصبة، خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودرره، وملح الأدب ونوادره. إلى ما وشّحتها به من الآيات ومحاسن الكنايات، ورصعته فيها من الأمثال العربية واللطائف الأدبية والأحاجي النحوية، والفتاوى اللغوية والرسائل المبتكرة، والخطب المحبّرة، والمواعظ المبكية، والأضاحيك الملهية، مما أمليت جميعه على لسان **أبي زيد السروجي**، وأسندت روايته إلى **الحارث بن همام البصري (...)**

تمثل **شخصية أبي زيد، أنموذج " المُكْدي"** الذي ينتهز المواقف ويتحين الفرص للظفر بما يريد من متع الحياة، مخترقا المآدب والحفلات العامة بطريقة لا تخلو من الاحتيال الذكي، من خلال وقائع ومواقف تنتقل بنا في أماكن ومشاهد مختلفة. يذكر صاحب كتاب "الرواة على أنباء النحاة أنّ" أبا زيد السروجي، واسمه المطهّر بن سلار، وهو شخصية حقيقية احترفت الكدية، وكان لغويا ونحويا صحب

الحريري وتتلمذ عليه، وروى عنه. أما تسـمية الراوي للمقامات بالحارث بن همام، فإنما يحيل على الحريري نفسه. حسبما ورد في بعض شروح المقامات. وهو مأخوذ من حديث الرسول: " كلكم حارث وكلكم همّام " والحارث هو المتكسّب والهمام الماجد المهتم بأموره، ويبدو في المقامات في صورة الثري العربي الجواد. والشخصيتان البارزتان في الرسم، الرحالة أبو زيد السروجي وصاحبه الراوي الذي يكشف عن حيله، الحارث بن همام، يسافران في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

على المستوى السيميائي، تساءلنا عن استعمال الهالة فوق رؤوس الشخوص فوجدنا تأويله في مقال لأية سكال تقول فيه:

> Nous remarquons d'emblée la survivance du corps iconographique byzantin, notamment grâce à la présence d'un nimbe doré auréolant la tête des personnages, dont celle d'A. Z. à gauche. Il s'agit d'une survivance de l'auréole présente dans les manuscrits byzantins ou dans les icônes entourant la tête du Christ et des saints. Ces manuscrits illustrés circulaient en effet dans cette région frontalière avec Byzance, ce qui témoigne d'une tradition iconographique byzantine ancienne et bien ancrée dans les ateliers arabo-musulmans. Toutefois, dans les manuscrits arabes, ce halo de lumière est amputé de sa dimension sacrale et sert seulement à mettre en évidence les têtes et à les détacher du fond de page. (Sekkal, 2014)

> نلاحظ على الفور بقاء الجسم الأيقوني البيزنطي، ولا سيما بفضل وجود هالة ذهبية على رؤوس الشخصيات، بما في ذلك رأس أبي زيد السروجي إلى اليسار. إنه بقاء للهالة الموجودة في المخطوطات البيزنطية أو في الأيقونات المحيطة برؤوس المسيح والقديسين. تم بالفعل تداول هذه المخطوطات المصورة في هذه المنطقة الحدودية مع بيزنطة، مما يشهد على تقليد أيقوني بيزنطي قديم راسخ في الورش العربية الإسلامية. ومع ذلك، في المخطوطات العربية، لم تعد هالة الضوء هاته تربط بذلك البعد المقدس، ولا تعمل إلا على إبراز الرؤوس وفصلها عن خلفية الصفحة (ترجمتنا).

لكن، ما علاقة المدلول الإيحائي لصورة الغلاف بالمضمون الحقيقي للنص الرحلة؟ لقد سمح لنا التحليل السيميائي من استخلاص أوجه الائتلاف ولاختلاف بين شخصيتي ابن بطوطة والسروجي. أمّا الائتلاف، فوجدناه في واقعية الشخصيتين التاريخية؛ والصنعة اللفظية والبلاغية في الكتابة؛ والتميز بالقصص الشفاهي؛ وتوظيف الخطاب المتخيل والعجائبية في السرد؛ والأهم من ذلك الطابع الرحلي الذي أنّ وأمّا الاختلاف، فيكمن في التباعد الهووي والسيكولوجي بين الشخصيتين وتباعد مشروعيهما "الأدبي".

2.3.1.2 المقدمة

يؤكد المترجمان على أهمية كتاب الرحلة في القرن التاسع عشر وخاصة بداية القرن العشرين، ويشيران إلى تصنيف أدب الرحلة كمصدر وسعي العلماء الأوروبيين إلى اقتناء المخطوطات الأصلية خاصة منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر والاستيلاء على مكتبة قسنطينة التي عثر فيها على نسخ عديدة لمخطوط "رحلة" ابن بطوطة. ويعلمان القارئ أنهما قد اطّلعا على المخطوطات الخمسة للمكتبة الملكية الفرنسية لكنهما استعملا خاصة المخطوطين 910 (الأكمل) و907 (المكتوب بيد ابن جزي). بالنسبة للترجمات الفرنسية للرحلة، يذكر المترجمان ترجمات جزئية لبعض المستشرقين المشهورين (Baron De Slane, Maitre Charbonneau, Du Laurier)، **وهذا ما يبرّر قيامهما بترجمة جديدة تكون أكمل من سابقاتها.**

والأهمّ من هذا أنّ المترجمان يلحّان على ضرورة المناص الترجمي في نص من هذا النوع: "إنّ نصّ الرحلة من أكثر النصوص حاجة للتعليق الترجمي". وبالرغم من كون الجمعية الأسيوية لم تسمح لهما بذلك، **لاحظنا في التحليل التقابلي أنّ المترجمان قد التزما عدم التعليق في الهوامش غير أنّهما اعتمدا كثيرا على التعليق المباشر بين قوسين، وهذا أكبر دليل على ذاتية المترجم ومرئيته وحضوره.** ويضيف سنجويناتي وديفريميري أنّ أمور كثيرة تبرّر التعليق على نص الرحلة: تنوّع المواضيع، ظروف الكتابة، الفترة التي تفصل بين زمن الرحلة وزمن الكتابة.

2.3.1.3 الملاحق

ما عدا الإيضاح المباشر بين قوسين، جعلت كلّ التعاليق في شكل ملاحظات في نهاية كلّ مجلّد. فالمجلد الأول مثلا يضمّ خمس صفحات من الملاحظات التي تخصّ في معظمها الأخطاء الواردة في المخطوطات، وتصحيحها حسب السياق وإيراد متنوعات لبعض المفردات حسب المخطوطات المذكورة.

2.3.1.4 مقدمة فانسن مونتاي

حرّرت مقدمة الطبعة الثانية لأوّل ترجمة فرنسية لكتاب "الرحلة" (1853-1858) بالعاصمة السينيغالية داكار يوم 27 مايو 1968 بيد المستشرق الفرنسي فانسن مونتاي[32](Vincent

[32] مستشرق فرنسي ولد في 27 مايو 1913 وتخرج من المدرسة العسكرية سان سير بالضاحية الباريسية عام 1935، فانتقل للخدمة في مكتب الشؤون الأهلية في المغرب كضابط لفيلق المهاريست وفي عام 1940غادر المغرب، ثم شارك في حملة تونس مع فيلق الكَوم المغربية سنة 1943، لتحق بعد ذلك بفرنسا الحرة وشارك في حملة فأصيب بجروح خطيرة عام 1945، ثم عاد إلى المغرب لقضاء فترة نقاهة. وفي عام 1948، تم تعيينه مراقبا عسكريا في فلسطين، وملحقا عسكريا في سفارة فرنسا في إيران (1950-1952). ثم انضم إلى الكتيبة الفرنسية في كوريا (1953)، قبل أن

Monteil). وهي مقدمة مستفيضة تضع بين يدي القارئ الحديث التحصيل المعرفي الهائل عن تلك "الرحلات" مبيّنة أهميّتها. يبدأ فيها بالإشـــارة إلى تاريخ ميلاد ابن بطوطة ووفاته بطنجة، واعتزاز أهل فاس وبيكين بالرحالة المغربي حيث أورد هؤلاء ترجمة صـــينية لتحفة النظار في غرائب الأمصـــار وعجائب الأسفار. كما ينبّه بوجود خريطة صينية حديثة تسترجع مسار رحلته (1325م–1353م)، وإلى الانتهاء من كتابة مخطوط الرحلة في 1355 وترجمته بعد مرور خمسة قرون (1853–1858). يفتح بعدها أبواب المقارنة مع الرحّالة الإيطالي ماركو بولو (1265م) الذي ترجمت رحلته بعد قرنين من نشرها، في حين ترجمت "رحلة" ابن بطوطة بعد خمسة قرون من ظهور أوّل مخطوط (1355م).

وبعد إعطاء توضـيحات عن المخطوطات الخمسـة المسـتعملة في ترجمة "الرحلة"، يؤكّد على حقيقة الأحداث التي نقلها ابن بطوطة بوثائق ثابتة لكنه يبيّن في الوقت ذاته بعض الأخطاء التاريخية التي ارتكبها أثناء الرواية (ص. xii). ويضـــيف أنّ هذه الأخطاء كانت ســـببا في تشـــكيك بعض معاصريه: ابن الخطيب، ابن مرزوق التلمساني، وابن خلدون الذي كذّبه المؤرّخ الفارسي خُندمير حين أثبت الوقائع المنقولة عن العاصـــمة الهندية "دلهي" بعد مرور قرنين ونصـــف عن صـــدور "الرحلة". والأهمّ من هذا أنّ ابن بطوطة الرحالة أصبح جغرافيا بالصدفة وصاحب شهادات عليا وإجازات نالها من علماء المشرق وقد اشتهر بكثرة التقوى وسعة المعرفة أثناء إقامته لثلاث سنوات بمكّة المكرّمة. أمّا كثرة الرزق فكان يعزوه لسلطان الهند محمد شاه. ويذكر مونتاي أنّ "الرحلة" قد ساهمت في إثراء أسماء الأماكن وشـرح معناها بالعربية: وما عدا أسـماء الأماكن في المغرب ومصـر وبلاد العرب والمشـرق فغالبا ما حرّرت أســماء الأماكن هنا بالفارســية، كما كان الحال في رحلة ماركو بولو، لأنّ الفارســية كانت ما بين القرنين الثالث والرابع عشر اللغة الدولية المتداولة في آسيا الوسطى والشرقية. ويضيف أنّ روايات "الرحلة" تبرز الخلفية التاريخية للعالم الإســلامي في القرن الرابع عشــر: ازدهار التجارة في بلاد الإسلام؛ ازدهار الثقافة والزراعة في المغرب في ظلّ الحكم المريني؛ سيطرة الترك والمغول مكان الفرس والعرب؛ ازدهار الهند وتوسـع رقعة الإسـلام فيها؛ ازدهار الإمبراطورية السـودانية بمالي. وأهمّ توريد لروايات ابن بطوطة يخصّ: المؤسسات والتقنيات والحياة الاقتصادية والاجتماعية والتمدّن ؛ وباء

يناديه الواجب في فيتنام (1953–1954)، وتونس (1954) حيث شـارك في صـياغة اتفاقيات الاسـتقلال. اسـتطاع فانســن مونتاي أن يعتزل حياته العســكرية ويتفرغ لأبحاثه عن العالم العربي والإســلامي. وذلك من ســنة 1959 الى 1968، حيث عمل في المعهد الفرنســي لأفريقيا الســوداء (IFAN) بدكار بالسـنغال، قبل أن يعين مسـتشـارا ثقافيا في اندونيسيا (1969) وشـغل مناصـب مختلفة في بورما وألبانيا واليابان، ثم ايرلندا. فانسن مونتاي اللغوي والأنثروبولوجي والإنسـاني الذي يعتبر من كبار المسـتشـرقين الفرنسـيين أمثال لويس ماسـينيون، والذي كانت تربطه معه علاقة صـداقة منذ عام 1938. وفي عام 1977 اعتنق فانسن مونتاي الإسلام بمدينة نواكشوط الموريتانية وغير اسمه من فانسن إلى منصور وتوفي في باريس في 27 فبراير 2005.

الطاعون الذي كانت أمّه إحدى ضحاياه؛ ازدهار المستشفيات في القاهرة ودمشق والصين ؛ طقوس الهندوس وتقديس البقر؛ رثاء نهب المدن في منغوليا؛ تدوين القانون العرفي على يد جنجيس خان في القرن الثالث عشر؛ في الصين، تطوّر الابتكارات وظهور بيروقراطية ناجعة إلى جانب شرطة حديثة، واستحداث نظام المعاشات ومحطّات الأحصنة البريدية وعربات التتار؛ أول تجربة لركوب البحر عند البدو الرحل ؛ نشأة جوازات السفر في مصر؛ في العراق، ظهور القار والنفط؛ اكتشاف الفحم الحجري وظهور الاحتكار والضرائب والنقود والتبادلات التجارية؛ نشأة الصكوك في إيران والأوراق البنكية في الصين ؛ استعمال الودعة كنقد في جزر المالديف ومالي.

من الناحية الدينية، تشير مقدمة فانسن مونتاي إلى انتماء ابن بطوطة إلى المذهب المالكي وحبّه للمعتزلة وعدائه للبدعة الشيعية؛ واهتمامه الكبير بالطرق الصوفية والزهد وتقيّده بمحرّمات المذهب المالكي وإيمانه بالمهدي المنتظر وكرامات الأولياء الصالحين والكيمياء والفلك.

من الناحية الاجتماعية، تشير المقدمة إلى وضعية المرأة في المجتمع الإسلامي الوسيطي، وإلى العدل بين الزيجات في المضجع، والحبّ العذري في جنوب بلاد العرب، ووفود النساء على المساجد وسيادة النسب الأمومي أو الرحمي.

من الناحية الإنسانية، يذكر مونتاي تذوّق ابن بطوطة لملذات الحياة، وسخائه مع الفقراء، وحبّه للمال والهدايا، وتملّقه للملوك.

2.3.1.5 ملاحظات فانسن مونتاي

مقارنة بملحق الإضافات والتصحيحات التي وضعها المترجمان ديفريميري وسنجويناتي، تشكل ملاحظات هذا الأخير جهازا كاملا لا يقل عن 84 صفحة (بالنسبة للمجلدات الأربعة). وقد اعتمد مونتاي في تحديده لفصول كل مجلد على تجزئة[33] هاملتن قيب، المترجم الإنجليزي للرحلة. وهذا يدلّ على الجانب الموسوعي لمثل هذه الترجمات، وهو اختيار إبستمولوجي غير مقصور على المستشرقين، بل تفرضه طبيعة النص الأصلي ونوعه.

2.3.2 تحليل المناص في الترجمة المعادة لبول شارل دومينيك

من خلال مقاربة ميتا–لسانية واصفة، نعمد إلى تفسير الخطاب المرئي للصورة وعلاقتها بالسرد (محتوى النصوص المكونة للكتاب). ويكون تبيان الميزات السيميولوجية للصورة على مستويين إثنين، أولهما تعييني (dénotatif) وثانيهما تضميني (connotatif). ويخصّ التحليل العلامات اللسانية

[33] خمسة فصول بالنسبة للمجلد الأول: المغرب ومصر؛ سوريا؛ من دمشق إلى مكة؛ مكة؛ من مكة إلى الكوفة.

(العنوان واسم الكاتب أو المترجم أو كلاهما معا، ودار النشر والسلسلة والنوع...إلخ)، والعلامات المرئية (العناصر التشكيلية واللون).

2.3.2.1 صورة الغلاف في الإصدار الأول

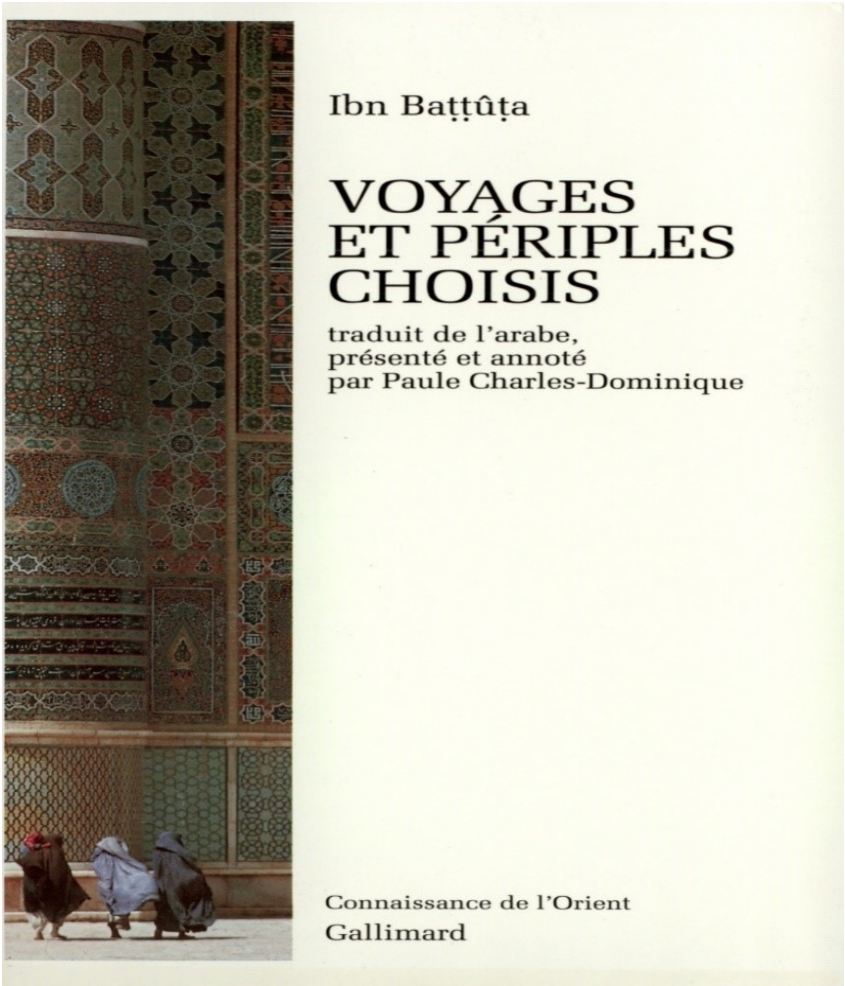

صورة توضيحية 2

تحليل:

على المستوى الدلالي التعييني، بُنيت الصورة الملتقطة فوق خلفية بيضاء في فضاء مفتوح على ضوء النهار. في أعلى الصورة، نرى ثلاث عناصر لسانية باللون الأسود تحيل إلى اسم الكاتب الأصلي، والعنوان الجديد للترجمة باللون الأزرق وجملة تفسيرية لنوع النص واللغة الأصلية المترجم منها واسم المترجم، والكلّ في نسق تراتبي أعطيت الأولوية فيه للعنوان الجديد، من حيث سعة الفضاء.

أمّا أسفل الصورة فخصص لذكر اسم السلسلة " Connaissance de l'Orient" ودار النشر "Gallimard" ببنط أصغر. من الناحية الفضائية، تشغل العناصر اللسانية ثلثي الصفحة.

ومن ناحية اليسار، تظهر صورة عمودية لعناصر عمرانية ملونة بالأزرق والأبيض والأصفر المذهّب، وعناصر بشرية في وضعية حركية (امرأتان ورجل يحمل طفلا) باللون الأزرق القاتم والرمادي والأسود وقليل من الأحمر والأزرق الفاتح. من الناحية الفضائية، تشغل هذه الصورة الثلث المتبقي من الصفحة.

هذا بالنسبة للجانب التعييني للعناصر المناصية اللسانية والجمالية. أمّا التحليل الأيقوني فيحملنا إلى الدلالات التضمينية لتلك العناصر:

- اللون: حسيا، يحيل اللون الأزرق إلى البرودة المنعكسة من طبيعته، والهدوء والراحة والثقة والنعومة والأمل؛ ويحيل الأبيض إلى الضياء والوضوح؛ والأصفر يعكس صفرة البيئة القاحلة المحيطة بالبناية. مع العلم أنّ هذه الألوان كثيرة الاستعمال في فن العمارة لإسلامية.
- الأشكال: وهي مجموعة من العناصر الزخرفية النباتية والهندسية والكتابية من الزليج الفاخر.

قد يذهب القارئ من أوّل وهلة إلى ربط الصورة الفوتوغرافية على يمين الغلاف بإحدى البنايات الإسلامية المغربية، لولا بروز تفاصيل دقيقة أخرى في الأسفل تعمل على تحويل المسار إلى جغرافية مغايرة: كان النظر الثاقب لسليم دادا، أحد الزملاء الباحثين في الأنثربولوجيا الموسيقية، قد أقنعني نهائيا لتوجيه البحث صوب آسيا الوسطى، ما دام قد تعرّف على خصوصيات العمارة واللباس. وبالرجوع إلى عناصر لسانية أخرى واردة أسفل ظهر الكتاب، عثرنا على رسالة أخرى جعلت بالحروف الصغيرة وهي تشير إلى مصدر الصورة وخاصة المصوّرين. وبعد الاستقصاء، تأكّدنا أنّ صورة الغلاف قد التقطها الزوجان رولاند وسابرينا ميشو[34] في سبعينيات القرن الماضي.

[34] ولد رولاند ميشو في عام 1930 في كليرمون فيران. منذ عام 1958، ترافقه زوجته، سابرينا، المولودة عام 1938 في الرباط، المغرب، ومتعاونيه. وبصفتهما مسافرَين وعضوين في وكالة Rapho منذ عام 1968، فقد تمكّنا مع مرور الزمن من إعداد مجموعة من الصور الفوتوغرافية المرجعية عن الثقافات الشرقية والإسلام والهند والصين.

تمثل الصورة التي جعلت في حاشية الغلاف، عمودا من مسجد جامع[35] بمدينة هيرات، غرب أفغانستان (1446). وهي تظهر أحد أعمدة شابستان الغربية، وهو جزء من المسجد خصّص للنوم أو لقيام الليل.

وهنا نتساءل عن سرّ اختيار الناشر لصورة هذا المسجد التابع للتراث التيموري الأفغاني الذي شيّد قرنا بعد صدور نصّ الرحلة (1356)؟ ولا ندري سبب هذه المفارقة التاريخية، خاصة وأنّه كان بإمكان الناشر اقتراح صورة لمسجد مغربي يحيل مباشرة إلى هوية النص بكلّ أبعادها.

2.3.2.2 دار النشر

إنّ اسم "Gallimard" يستحضر لوحده قرنا كاملا من الأدب الفرنسي والأجنبي. جمع هذا الناشر أكبر الأسماء في الأدب، وغالبًا قبل أن يذيع صيتهم. ويذكر من بين الكتاب اللامعين الذين كانوا جزءا من بيت النشر: بول كلوديل، أندريه جيد، مرسيل بروست، أندريه مالرو، لويس أراغون، جان بول سارتر، ألبير كامو، ريمون كينو، سيلين، مارغريت دوراس، إلى جانب مؤلفين أجانب أمثال كافكا، فولكنر، همنغواي، نابوكوف، روث ... إلخ.

عند تأسيسه في عام 1911، كان "Gallimard" عبارة عن وكالة نشر متواضعة أسّستها حفنة من الغنادرة والأدباء. لكنها سرعان ما تطورت إلى أن تصبح اليوم من أعظم دور النشر الفرنسية والعالمية (الرتبة 35). كانت سباقة في تأسيس عدة سلاسل: "Du monde entier " في عام 1931، و "Pléiade " في عام 1933، و "Série Noire " عام 1945، و"Idées " في عام 1962، و"Poésie" عام 1966 و "Folio "في عام 1975. أمّا السلسلة التي تهمنا في هذا البحث، فهي سلسلة " Connaissance de l'Orient» (معرفة الشرق) التي تمثل محطة جديدة في تاريخ الاستشراق بادرت بها منظمة اليونسكو (1956). وغدا الهدف من هذه السلسلة التعريف بالأعمال الأدبية الشرقية الكبرى عن طريق الترجمة وتوسيع دائرة القرّاء في أوروبا باقتراح كتاب الجيب القليل التكلفة والذي يدرّ لدار النشر بربح كبير.

[35] على الرغم من ثلاثة عقود من الحرب في أفغانستان، فإن تراث هرات التاريخي، خاصة هذا المسجد، قد بقي كما هو عليه في هذه الصورة الملتقطة عام 1970. لكن الحرب الأهلية المستمرة إلى يومنا قد دمّرت جزء منه.

2.3.2.3 العنونة

يعد العنوان عنصرا جوهريا من عناصر المناص لما يحتويه من علامات لسانية ينسقها الكاتب لتصبح خطابا قائما بذاته. ويلخص ج.جينيت وظيفة العنوان في ثلاثة عناصرهي التعيين وتحديد المضمون وإغراء الجمهور. وما يمكن تعميمه على وصف العناوين في مدوناتنا الثلاثة هو تغيير الترجمات الفرنسية المعادة لمحتوى الخطاب أو الأسلوب المستعمل في عناوين النصوص الأصلية. ففي حين كان أصحاب الترجمات الأولى يسعون إلى المحاكاة، عمد المترجمون المتعاقبون إلى التصرف في ترجمة العناوين وتكييفها مع معايير عصرهم. حيث لاحظنا عموما ابتعاد المترجمين عن العنوان المسجوع واستبداله بالعنوان العملي الموضوعي.

أ- عنوان الكتاب:

يعبر عنوان الكتاب " *Voyages et périples choisis*" على رؤية المترجمة الشخصية للنص الأصلي. وتشير إلى عمل ابن بطوطة في الفضاء المخصص للعنوان الفرعي " Présent à ceux qui aiment à réfléchir sur les curiosités des villes et les merveilles des voyages "، وهي ترجمتها للعنوان الأصلي "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". وتعلّق المترجمة على العنوان العربي بالعبارات التالية:

Le titre de l'ouvrage d'Ibn Baṭṭûta est à l'image de ceux des ouvrages arabes anciens, en prose rimée et assonancée. Cependant, ce n'est pas celui qu'on a retenu. On désigne, en général, cette relation par le nom de Riḥla .

" جاء عنوان مؤلّف ابن بطوطة مماثلا لعناوين المؤلفات العربية القديمة المنثورة والمسجوعة. ومع ذلك، لم يقع اختيارنا عليه، وفضّلنا الإشارة إليه بـ "الرحلة" في الغالب" (ترجمتنا).

وإذا كان الأقدمون من أهل البلاغة والنقاد يستحسنون الكلام المسجوع لما يحمله من إمتاع للسمع، فالمحدثين يرغبون عنه لما يرون فيه من تكلّف وتصنّع. وهذا ما جعل المترجمة تميل إلى البساطة في اختيار عنوان يتوافق مع معايير العنونة المعاصرة وذوق القرّاء المتجدّد.

ب-العناوين الفرعية:

على سبيل المثال، جعلت العناوين الفرعية في الترجمة المعادة لبول شارل دومينيك للإشارة إلى الفصول وعددها ستة عشر. وجُعل هذا التقسيم على أساس المحطات الجغرافية التي تضمن سيرورة

الرواية من النقطة "ألف"، وهي نقطة انطلاق القصـــة، إلى النقطة "ياء، التي يحتمل أنها آخر محطة في الرحلة: لكن هذا المخطط مســتحدث وهو عبارة عن مشــروع كتابة "جديد" تقترحه المترجمة على قرّائها: وفي هذا تكييف تام للنص حوّر شـبكة القراءة بزعزعته للشـكل، والمضـمون، والزمن والمسـافة الروائيين.

2.3.2.4 التنبيه

يشــكل التنبيه عنصــرا هاما من عناصــر المناص حيث عثرنا فيه على دوافع إعادة الترجمة وتبريرات المترجمة پول شــارل دومينيك لاختيارها لهذا النوع الأدبي من بين نصــوص الرحلة الكثيرة قائلة:

> Les textes choisis relèvent tous d'une expérience personnelle, textes où le « Je » se manifeste clairement ». Le monde est exprimé tel qu'il a été vu et ressenti, il y a donc une liberté dans l'expression de l'étrangeté de l'étranger. Les traductions proposées ont l'avantage d'avoir bénéficié des connaissances acquises grâce au progrès de l'orientalisme, ce qui a permis de rectifier des insuffisances et d'éclairer des points obscures.

النصـوص المختارة هنا كلّها من وحي التجربة الشـخصـية، فهي نصوص يتجلّى فيها ضمير الـ" أنا " الذي يعبّر عن العالم كما يراه ويحسّ بـه، فهنـاك إذن حريـة في التعبير عن غرابـة الغريـب. والترجمات المقترحة تتميّز باستفادتها من المعرفة المكتسبة بفضل تطور الاسـتشـراق، الشـيء الذي سـمح بتصـحيح أوجه القصـور وتوضيح الغموض " (ترجمتنا).

خلاصة الفصل الثاني

إنّ العقلنة، التي تبدو جليّا في تحويل التراكيب النحوية العربية سـواء بلجوء الترجمة (ت1) إلى العواطف النسقية أو الروابط المنطقية" et, puis" أو إعادة تقطيع النص بإضافة علامات وقف أخرى (كالنقطة وعلامة التعجب والنقطتان الشارحتان) حيث لا نجد لها أثرا في النص الأصلي ، إنمّا أراد بها المترجم إعادة تنسيق الخطاب وتطويعه للمعايير اللغوية والأدبية الفرنسية السائدة. وكأنّ المترجم هنا لا يريد أن يصدم القارئ الفرنسي بـ "صيغ غريبة عنه" من الناحية التركيبية وكأنّه يقرّ عن دون وعي أنّ الجملة العربية في نص ابن بطوطة وابن جزي طويلة جدّا وتفتقد إلى الشكل كما هو مألوف عموما في النثر الفرنسي. والواقع أنّ الكتابة العربية هنا تخضع لميزات الأسلوب الشفاهي: الجمل فيها تسلك مسلك الرواية المسترسلة وتكثر فيها الجمل الاعتراضية الممدودة.

ويتبين من كثرة حالات الإيضاح (09) الذي يستعمل حتى في ترجمة أسماء العلم العربية (ت 1)، أنّ اللغة / الثقافة الفرنسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تزل بعيدة عن اللغة العربية وميزاتها الثقافية، وما يدل على ذلك البعد توضيحها بين قوسين لمعاني أسماء العلم الشخصية (الحالتين 1 و8) أو أسماء الأماكن الجغرافية، من مدن وغيرها بواسطة مكافئات رومانية قديمة (الحالة 7).

ونستنتج من الحالات قيد الدراسة أنّ نسب الميل إلى التمديد متفاوتة بين الترجمة الأولى والثانية، مع ميل أكبر إلى الاختزال في ت 2. جاءت الترجمة (خاصة ت 1) أطول من الأصل بكثير بنسبة تفوق الضعف، وهذا راجع للميلين السابقين، فالعقلنة والتوضيح غير الضروري يؤديان حتما إلى تمديد وبسط العناصر التي جاءت مختزلة في النص الأصلي. وكون الترجمة الفرنسية أطول من الأصل العربي يعود سببه كذلك إلى خصوصيات التركيبة النحوية الفرنسية التي لا تملك ميزة الاختزال التي تعرف بها اللغة العربية. كما نسجّل هنا ميلا أكبر إلى التمديد ممّا سجّلناه في المدونة الأولى (النزهة).

أمّا ندرة حالات التنميق في الترجمتين الفرنسيتين تحملنا إلى إثبات استمرارية الإشعاع اللغوي والثقافي المتميّز خلال القرن الرابع عشر والاعتراف الصريح لمكانة النثر والشعر في بلاد المغرب رغم بداية أفول نجم الحضارة الإسلامية بعد سقوط دولة الموحدين في شمال إفريقيا وتقلّص ظلّ الإسلام في الأندلس.

من جهته، يكتسي الإفقار الكمي صفة الشمولية في ترجمة بول شارل دومينيك (ت 2): ويشكّل الحذف الميل التحريفي الرئيسي في هذه الترجمة. تمكنت المترجمة في هذه الحالة من حذف معظم العناصر التناصية من شعر وتعقيب على الأحداث وبعض الطرائف والحكايات دون إعادة صياغة

باقي النص. وكان هذا ممكنا بسبب بنية نص الرحلة: فتدخلات ابن جزي جاءت منفصلة عن تدخلات ابن بطوطة، الراوي المشارك في الأحداث بعبارة " رجع"، ممّا جعل التلخيص سهلا ولم يستلزم من المقتبسة إعادة الصياغة للحفاظ على انسجام النص.

وهذه العيّنة تثبت أنّ المسار المتّبع في ترجمة نص الرحلة يتناقض تماما مع فرضية إعادة الترجمة التي تدعم مبدأ " الكمال" بفعل إعادة الترجمة: فبالرغم من مرور الزمن لم يتحصل القرّاء الجدد سوى على نص محوّر في وظيفته وبنيته الأصلية.

وما دام التصرف يتصدر الكتابة المعادة كإجراء عام، وبما أن برمان لم يتطرق إلى موضوع التصرف في الترجمة والاستراتيجيات الترجمية المترتبة عنه، رأينا أنه من الممكن تعميم صفة الإفقار الكمي على كل ترجمة متصرّف فيها.

ويترتّب عن هدم الأنساق اللغوية (الناجم عن إعادة التركيبة النحوية والفصل بين الجمل بتوظيف نظام جديد لعلامات الوقف)، انقطاعا في تسلسل المعنى، وهدما للدينامية التي تربط الجمل ببعضها البعض واستحداثا لإيقاع جديد يتعدّى حدود النغمية. ويعني هذا أنّ وحدة الترجمة تتعدى في هذه الحالة حدود الجملة وأنّ المعنى لن يكتمل إلاّ بربط التركيبة النحوية بالعناصر الأسلوبية التي تكون فيها علامات الوقف وحدات دلالية قائمة بذاتها.

تشكل ترجمة الشعر حالة خاصة يمكن من خلالها تبيان استحالة الترجمة من الناحية التقنية أو الشكلية. وبما أنّ تقنية السجع خاصية أسلوبية ثابتة في نص الرحلة، وأنّ الترجمة لم تتمكن من ترجمته، فهذا دليل على كبر المسافة بين اللغتين–الثقافتي العربية والفرنسية كما أسلفناه في عمل سابق (بن منصور: 2007) [36]. وما هدم الإيقاع هنا سوى نتيجة حتمية لما تراكمت فيه من ميول تحريفية أساسية: العقلنة والإيضاح والتمديد واستحالة ترجمة السجع والقافية، وهو يصبح بذلك خاصية من خصائص تغيير الأسلوب وإعادة الكتابة في ت 1.

إنّ أهمّ شيء نستقيه من النص المحيط النشري في كتاب الرحلة هو الإحاطة بالخلفية التاريخية لبلاد الإسلام في القرن الرابع عشر وهو كذلك القرن الذي شهدت فيه ضربا من "الحداثة" الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية، رغم بداية أفول النجم على الصعيد السياسي. وهذا العنصر المناصي يحمل القارئ على تصوّر مدى التطور الثقافي الذي وصلت إليه بلاد المغرب في القرن الثامن للهجرة.

[36] ليندا توشي– بن منصور، الشعر الشفاهي في الطقوس الاحتفالية : من تماهق إلى العربية والفرنسية، مذكرة ماجستير، 2007.

أمّا التحوير الذي مسّ العنونة باستحداث نسق ذاتي فيزيد من سعة الفجوة بين النص الأصلي والنص المترجم. لكنه يتوافق تماما مع دفتر شروط دار النشر باعتبارها الآمر الرسمي بالعمل ومنتجه في آن واحد.

الفصل الثالث

تحليل مدونة " وصف إفريقيا" وترجماتها الفرنسية

3.1 تحديد السياق التاريخي للمدونة الأصلية وترجماتها الفرنسية

ما دمنا قد اعتمدنا في هذا البحث المنهج الشمولي، فكان لا بدّ علينا من تحديد السياق العام للكتابة (النص الأصلي) وإعادة الكتابة (النص المترجم). الأمر الذي لن يتأتى إلاّ بالرجوع إلى أصحاب تلك المشاريع والظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية التي مهّدت لظهور مؤلفاتهم. فكل مشروع للكتابة يولد داخل نظام معياري تنافسي يسعى فيه كل من الأدب والثقافة والعلم إلى فرض وضعيته السلطوية. ومن خلال هذا السياق كذلك يبرز " النص الفوقي" المصاحب للنصوص كما حدّدناه في القسم النظري لهذه الأطروحة.

3.1.1 من هو الحسن (ابن) الوزان الفاسي؟

رغم اهتمام عدد لا بأس به من الباحثين والمؤلفين العرب والعجم بشخصية الحسن الوزان وتراجمه، إلاّ أنّ هذا الأخير ما زال إلى يومنا من الشخصيات المبهمة المثيرة للفضول. حسب الرواية الشهيرة لأمين معلوف، تبدأ حياة الحسن الوزان في أواخر القرن الخامس عشر ميلادي. ونقرأ في مقدمة الترجمة العربية للمترجمين محمد حجي ومحمد الأخضر: "يختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته، فيجعلها بعضهم عام 1495/901 وبعضهم عام 906 /1500، أخذا من تاريخين وردا في كتاب وصف إفريقيا استطرد المؤلف بعدهما ذكر سنه عن طريق الربط والمقارنة. ولا يستقيم كلا التقديرين عادة، لأنه يلزم منهما أن الحسن الوزان دخل الحياة العامة عدلا وسفيرا في سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة، لذلك نرجح ما ذهب إليه غير واحد من أن الوزان ولد حوالي عام 1483/888 أي قبل سقوط غرناطة بنحو عشر سنوات". في حين ترجح زهيري أم البنين تاريخ 894 هـ / 1488 – 1489 م[37]. عاش الحسن الوزان مع والديه محمد وسلمى في غرناطة. كان لأبيه أنذاك جارية باسم وردة أنجب منها بنتا في نفس عمر الحسن تسمّى مريم. لكن بعد استرداد غرناطة على يد القشتاليين عام 1492 م، هاجرت العائلة إلى مدينة فاس المغربية ولم يكن عمر التوأمين يزيد عن خمس سنوات. درس الوزان فيها على أعلام وعلماء جامع وجامعة القرويين، واستطاع في فترة وجيزة أن يجالس كبار العلماء والفقهاء والقضاة، في المدن المغربية والإفريقية التي كان يزورها وأن يجيد نظم القصيد وقول الشعر، ليكون محط إعجاب الملوك فينال من عطاياهم، كما اشتغل في سن مبكرة، مهنة حيسوبي

[37] نجد تاريخا آخرا في كتابات زهيري أم البنين (1991، 2012) التي ترجّح ميلاد الوزان إلى ما بين 1489 و1494.

ماهر، يستخلص واجبات الضرائب والمكوس من القبائل، كما زاول في فترة تمدرسه وظيفة كاتب معتمد في مارستان الأمراض العقلية، المعروف في فاس (بسيدي فرج)، وكان يتقاضى آنذاك أجراً قدَّرَهُ في كتابه (وصف إفريقيا)، بثلاث (دوكات) كأجر شهري عن عمله في هذا المستشفى.

ينتمي الحسن الوزان إلى عائلة كانت تمتهن الفلاحة، كان أبوه ملاكا للأراضي الفلاحية في منطقة الريف بشمال المغرب، أمّا عمّه الذي سيلازمه الحسن الوزان في أسفاره، فقد كان يعمل في بلاط السلطان، ويقوم بالسفارة ممثلا لملك فاس. عندما كان عمره لا يتجاوز العشرين وتحديدا سنة 1504م / 910 هـ، اكتسب معلومات هامة عن أحوال البلدان التي زارها، ستكون مرجعا مساعدا سيعتمد عليه في تأليف كتابه "وصف إفريقيا". لكن بعد وفاة عمه سيلتحق الحسن الوزان ببلاط الملك محمد الوطاسي (المدعو بالبرتغالي).

كان الحسن الوزان شاهدا على سقوط الأندلس، كما أنه كان في المغرب في عهد حكم الوطاسيين، ونستنتج من بعض الكتابات أنّ مدينة فاس كانت الحاضنة التي آوت الحسن الوزان، حيث درس في المسجد العتيق، ثم انتقل إلى جامع القرويين حيث تعلم العلوم الدينية، أما في ايطاليا فقد عاش بداية ازدهار النهضة الايطالية وعصر الأنوار الذي ستعرفه أوروبا. رحالة عابر للحدود والثقافات، وناقل المعرفة بين الشرق والغرب، بين الخلافة العثمانية والإمبراطورية المسيحية.

في 1517[38]، اقتيد الحسن الوزان أسيرا إلى روما، عند عودته من رحلة بين القسطنطينية والقاهرة، وفي جزيرة جربة التونسية تم أسره واعتقاله من لدن القرصان، وقدم إلى البابا ليون العاشر في ايطاليا الذي عمّده وأدخله في الدين المسيحي وأعطاه اسمه الشخصي، فأصبح الوزان "جون–ليون دي ميديسيس Jean-Léon de Médicis، المدعو ليون الإفريقي.

ونقرأ في مقدمة الترجمة الفرنسية للثنائي دوزيه وديغويج أنّ الأسرى كانوا في تلك الفترة يعتبرون من العبيد، وأغلبهم يعملون في قصور الملوك، وأحيانا ينتظم بعضهم في سلك الحرس الملكي، وكان مثل هذا المصير ينتظر الحسن الوزان، لولا أن البابا آنس فيه فطنة ودراية علمية، فبادر إلى عتقه وشمله بعطفه وقرر له معاشا سخيا، حتى لا يفكر في الهروب والرحيل إلى بلده. هناك يتعلم الحسن الوزان الإيطالية ويلقن العربية للتلاميذ ويكتب كتابه "وصف إفريقيا" الذي وقّعه في 1526 والذي سيظل طوال أربعة قرون المرجع الوحيد في معرفة القارة السمراء.

لقد تُوِّجت هذه الحماية بإقناع الأسير الحسن الوزان أن يعتنق دين البابا، وتقول بعض الروايات المتضامنة معه، أنه فعل ذلك في إطار مبدأ التقية الشيعي، حتى يأمن سلامته، وأنه عند تنصره أطلق

[38] نقرأ في كتابات أخرى أنّه حوالي 1518–1520 تمّ الاستيلاء على سفينته على يد قراصنة إيطاليين في عرض مياه نابولي.

عليه البابا اسمه (جيوفاني ليوني أو يوحنا الأسد) حسب ترجمة المؤلف، بينما يرى بعض المؤرخين أن قبول الحسن الوزان اعتناق المسيحية، أملته المصلحة الشخصية حسبما يدل على ذلك سلوكه، لأنه عندما أحس بإمكانية هروبه بعد موت سيده، عاد إلى بلاد الإسلام في تونس وهناك عاد إلى دينه الأصلي، كما يحكي صديقه ومعاصره (ويد منسطار). ورغم هذا لا نعرف إلاّ النزر القليل عن حياة الوزان في روما، والغموض الذي يشمل حياته في هذه المرحلة، يشمل حتى مؤلفاته، كل ما نعرف عنه في هذه الفترة، أنه عاش في ايطاليا ما يقرب من عشر سنوات، تعلم خلالها الحديث والكتابة باللغة الايطالية، التي تتجلى في ترجمته لمؤلفاته ، من المؤكد أن موت ليون العاشر في1521 جعله ينتقل إلى مدينة بولوني التي امتهن فيها تعليم اللغة العربية لكردينال المدينة، ولربما من أجله ألف كتابا في نحو اللغة العربية، كما أنه سيؤلف لتسهيل تعليم العربية للأجانب معجما (عربيا – عبريا– لاتينيا) سنة 1524م، باشتراك مع أحد المهاجرين من يهود الأندلس، ساهم فيه الوزان بـــ 6000 وحدة معجمية (محمد المهدي الحجوي، ذكره أنور المرتجى في مقال نشره لموقع هس بريس، المغرب). يحتمل أنه قد توفي نحو 956 هـ / 1548م أو قبل 1550 م بقليل حسب راموزيو الذي يؤكد أنّ الوزان يكون قد توفي بروما، لكن هذه المعلومة لم يثبتها أيّ نصّ من النصوص الأخرى (زهيري، 1991، ص. 33).

3.1.2 كتاب "وصف إفريقيا": نشره وتلقيه

نشر النص الأصلي المكتوب بالإيطالية لأول مرة في البندقية عام 1550 م. كان الناشر Jean-Baptiste Ramusio قد قرّر ضمّ هذا المؤلف الهام إلى سلسلة الكتب المنشورة لديه تحت عنوان « Delle navigationi e viaggi ». وضعه المؤلف بالعربية ثم ترجمه بنفسه إلى الإيطالية.طبع المتبقي من الكتاب (ثلث الكتاب) في إيطاليا مرارا، وترجم إلى الفرنسية والهولندية والألمانية وغيرها.الطبعة العربية مترجمة عن الفرنسية؛ لفقد الأصل العربي والإيطالي عند المترجمين هو جزء من الكتاب يمثل ثلثه الآخر.

أمّا عن تلقيها في المغرب، فلم نجد أحسن من الأمثلة التي صنّفتها شايب نبيلة في مذكرتها "*La manipulation idéologique dans l'édition*" لتوضيح موقف المفكّرين المغاربة المعاصرين من كتاب وصف إفريقيا، حيث ذكر أحمد بوشارب (2009، ص. 67) الذي تعجّب لموقف الحسن الوزان من الغزو المسيحي الإسباني لسواحل المغرب الأقصى (من 1415 إلى 1515). إذ يلاحظ أنّ هذا الأخير قد بقي محايدا تجاه الغزاة المحتلين لبلده. وهذا الموقف له ما يبرّره: فالوزان يكتب في أرض المهجر "المفروض عليه" وعليه أن يراعي ما ينتظره منه المتلقّون الأوروبيون من ناشرين وعلماء وأمراء (2009، ص ص. 73–74).

كما ذكرت زهيري أم البنين، وهي أكبر دارسة عربية للحسن الوزان، أنّ الوزان كان يريد تزويد القارئ الأوروبي بمعلومات كافية للتعرف على بلاد المغرب (1991، ص. 33). وأشارت إلى أنّ عنوان الكتاب الأصلي بالإيطالية "Cosmographia dell'Africa" فيه بعض المغالطة حيث خصّص أكبر جزء منه لإفريقيا المسلمة والبيضاء في حين أنّ إفريقيا السوداء لم تحظ سوى بحصّة محتشمة منه. وأضافت بعد ذلك أنّ الاختيار الإبستمولوجي للوزان كان في كتابة نص للجغرافيا البشرية (1991، ص. 39). ومثل هذين الموقفين موجود في دراسات حورية داود بريكسي (1996، ص ص. 13-46).

3.1.3 الترجمات الفرنسية لوصف إفريقيا

3.1.3.1 ترجمة جان تمبورال

تعدّ ترجمة جان تمبورال[39] أول ترجمة فرنسية كاملة لكتاب الـ " Descrizione"، وهي النسخة الإيطالية التي نقلها وحقّقها جان باتيست راموزيو عن النسخة الأصلية للحسن الوزان: يقرّ تمبورال فيها أنّ الوزان قد وضع كتابه في بادئ الأمر باللغة العربية وأسماه "وصف إفريقيا" ثمّ ترجمه إلى اللهجة التُسكانية (الإيطالية) تحت عنوان الـ "Descrizione".

في كتابها " *L'Afrique au miroir de l'Europe: Fortunes de Jean-Léon l'Africain à la Renaissance*"، تلاحظ زهيري أم البنين أنّ ترجمة تمبورال قد أثارت الكثير من المدح وأنّها في الغالب توافق المعنى الكامن في النص الإيطالي (1991، ص. 64). لكنّ دراستها الأسلوبية المقارنة بين النصين كشفت عن أخطاء عديدة على المستويين اللساني والأسلوبي: أخطاء في نقل الأرقام، كثرة الإغفال والحذف، إلخ. وما يميّز ترجمة تمبورال أكثر هو الإطناب والحشو والتعليق الشخصي على النص. وتضيف زهيري أنّ تمبورال يلجأ كثيرا إلى الاستعارات والصور المجازية وبهذا يكون قد حوّل مشروع راموزيو العلمي إلى نص روائي.

ومن جهتها، تلاحظ داود بريكسي بحقّ أنّ جان تمبورال يُحيي في ترجمته التصور الأسطوري الأوروبي لإفريقيا لكن روعة الأسطورة لن تكون هنا سوى تفنيدا، وازدراء، وتقليلا من قيمة كل ما هو إفريقي. كما تصنف بريكسي هذه الترجمة فيما بين المحاكاة الساخرة (parodie)

[39] كان تمبورال ليوني الأصل وصاحب مطبعة ومكتبة. وقد مارس مهنته بليون الفرنسية فيما بين 1550 – 1571، وهي فترة العصر الذهبي للطباعة الإنسانوية بهذه المدينة. نشر قرابة خمسين عنوانا، لكنه اشتهر خاصة لكونه أول مترجم للجغرافي البندقي راموزيو وكذلك أول ناشر لجان ليون الإفريقي في فرنسا. وهو صاحب إصدارات أدبية كثيرة بما فيها النصوص الشعرية.

والتنكّر(travestissement) لكلّ ما أدخلته من طرائف بذيئة تتنافس على تفخيم " نقائص" الأفارقة والسخرية دون احتشام من عاداتهم، وهي تعلن بذلك عن بوادر الفكر الإستشراقي (1996، ص ص. 24-25).

3.1.3.2 الترجمة الجديدة لألكسيس إيبولار (Alexis Epaulard)

إنّ الكتاب الذي نتناوله بالدراسة في هذا الفصل هو الترجمة الجديدة لوصف إفريقيا في طبعتها الثانية، أي تلك التي صدرت سنة 1980، علما أنها نشرت لأول مرة عام 1956. وما دامت قد أنتجت في قلب الفترة الاستعمارية بالجزائر، فهذا يحملنا إلى تصنيفها ضمن الأعمال الاستشراقية، مثلها مثل ترجمة تمبورال التي توافق بداية الاستشراق.

هذا وقد اعتمد إيبولار في هذه الترجمة الجديدة على نص راموزيو المنقّح الـ "Descrizione"، بحجّة أنّ النسخة الإيطالية الأصلية للحسن الوزان أي الـ "Cosmoghraphia"، الموجودة حاليا في مكتبة روما، لا تختلف كثيرا عن نسخة راموزيو. أمّا النص الذي سنتناوله بالدراسة فهو صادر عن مكتبة "Librairie d'Amérique et d'Orient".

كان من المفروض أن تنشر هذه الترجمة المعادة في 1949، لكن وفاة صاحبها إيبولار في ذات السنة ومشقة العثور على المخطوط كانا سببا في تأخر نشرها إلى غاية 1956، حسب ما يشير إليه مساعدوه الثلاثة هنري لوت، تيودور مونود وريمون موني في المقدمة. أخيرا، يضيف هؤلاء في نفس المقدمة أنّ المخطوط قدُ سلّم إلى الأستاذ تيراس، مدير معهد الدراسات العليا المغربية، من أرملة إيبولار. ويضيف عبد الرحمان حميدة، مترجم وصف إفريقيا إلى العربية، أنّ الأصدقاء الثلاثة قد شرعوا بعدها في طباعة كتاب إيبولار مع إضافات لا يستهان بها على الشروح والتعليق (حميدة، 1979، ص. 12)

من جهتها، تشير أم البنين زهيري في دراستها الأسلوبية المقارنة (بين كتاب الـ Descrizione، أي النسخة الإيطالية المنقحة لراموزيو وترجمة إيبولار) إلى أنّ إيبولار قد اعتمد في ترجمته أساسا على كتاب راموزيو بالرغم من أنّه قد أورد في المقدمة ما يلي: "ونحن بالمتحف الوطني لروما، استطعنا مقارنة النصين والقيام بالتصحيحات التي بدت لنا ضرورية" (1980، vii). وهو يقصد بالنصين مخطوط الـ Cosmoghraphia الذي عثرت عليه أنجيلا كودازي بروما عام 1931 ونسخته التي طبعها ونشرها راموزيو. يلاحظ إيبولار أنه "عندما نترجم فقرة من نص مخطوط Cosmoghraphia إلى الفرنسية فإننا نتحصل على نفس النتيجة التي نتحصل عليها لو ترجمنا نفس الفقرة من كتاب راموزيو Descrizione dell'Africa " وعليه فلم يجد منفعة في استعمال المخطوط الأصلي للحسن الوزان" (المرجع نفسه).

ويؤكد روزنبرڤر (2009) من جهته أنّ إيبولار لم يستعمل المخطوط إلاّ نادرا، كما تشير إليه سجلاّت المكتبة الوطنية بروما Biblioteca Nazionale Centrale Vittorio Emanuele II. ويضيف أنّ إيبولار مكث بروما من السادس إلى العشرين من يونيو 1939، فلم يكن له الوقت الكافي لدراسة المخطوط، وفي 7 يونيو، كتب إلى كودازي ما يلي: " أقمت بالقرب من مكتبة فيتوريو إيمانويل وسارعت حينها للاطّلاع على المخطوط الذي ستنشرونه قريبا. لذا تصبح ترجمتي لنص راموزيو دون نفع" (إيبولار، 1956، كما ورد في روزنبرڤر، 2009 ص. 154). وفي 12 سبتمبر 1946 راسله ثانية ليقول: "ما دمت لم أعثر في نص مخطوط روما سوى على الفصل الخاص بالوديان الذي تشرفتم بإرساله، توجّب عليّ الاكتفاء بنص راموزيو والاعتماد هنا وهناك على الملاحظات التي استقيتها من مخطوط روما" (المرجع نفسه).

يشير إيبولار في مقدمته إلى أنّ ترجمته تكاد تكون حرفية: "لاحظنا أنّ هذا الأخير [نص راموزيو] كتب بإيطالية سهلة تسمح بترجمة فرنسية تكاد تكون حرفية" (1980، vi). ليثبت ذلك بعد صفحات: "حاولنا قدر المستطاع أن نسلك مسلك الحرفية في ترجمتنا قدر الإمكان ولئن كان ذلك على حساب اللغة الفرنسية" (1980، x).

هذا ما جعل داود بريكسي وشايب نبيلة الدارستين لترجمة إيبولار، في أعقاب الدراسة الأسلوبية المقارنة لأم البنين زهيري، تركزان على عناصر المناص لمعرفة مدى تدخّل المترجم وذاتيته، أي توقيعه على النص.

استنادا إلى هذه المعطيات، يكون تصنيفنا لترجمة إيبولار ضمن الترجمات الجديدة لكتاب "وصف إفريقيا" إذ ليست ترجمة معادة لترجمة تمبورال، وهي أوّل ترجمة بالفرنسية كما أسلفنا. وهذا الأمر يحول دون قيامنا بدراسة أسلوبية مقارنة بين الترجمتين الفرنسيتين.

3.1.3.3 الترجمة المعادة لعبد الرحمان حميدة [40]

صدرت هذه الترجمة في مصر عام 1979 برعاية السيدة سوزان مبارك ونشر بمناسبة انعقاد المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول بمدينة الرياض. وهي ترجمة "قريبة" من النص "الأصلي" الفرنسي

[40] أستاذ جامعي وجغرافي سوري معاصر (1922–2010). حصل على شهادة الدكتوراه في الجغرافيا من جامعة السوربون في باريس، فرنسا. عمل كأستاذ جغرافيا في جامعات دمشق، وحلب، وبنغازي، والإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض. ترأس قسم الجغرافيا في جامعة دمشق لعدة سنوات. كان عضواً في اتحاد الكتاب العرب وجمعية الدراسات والبحوث السورية والجمعية الجغرافية السورية. شارك في العديد من المؤتمرات والندوات داخل وخارج سوريا. وهو صاحب مقالات وكتب عديدة في الجغرافيا المحلية والعالمية. كما قام بتعريب ثلاثة عشر مؤلف في الجغرافيا والجيومرفولوجيا.

لإيبولار، حيث لم يتدخل المترجم كثيرا في تنقيح محتوى الترجمة، والأغرب من ذلك أنّه استبقى الكثير من ملاحظات المترجم إيبولار أسفل الصفحة.

3.1.3.4 الترجمة المعادة لمحمد الأخضر ومحمد حجي[41]

لقد اعتمد المترجمان **محمد لخضر ومحمد حجي** الترجمة الفرنسية لإيبولار وكأنّهما في بحث أركيولوجي عن الأصل العربي الضائع. وعليه، لم يلتزما بترجمة حرفية للنص حيث أهملا الكثير من التعليقات خاصة التاريخية منها، وعمدا إلى إثبات بعضها واختصار بعضها الآخر أو استبداله عند الضرورة دون أن " يشيرا إلى الاختصار أو الحذف أو الزيادة (لخضر وحجي، 1978، ص. 21). ومن خصائص هذه الترجمة اللجوء إلى تصحيح الأعلام الجغرافية والتاريخية التي حُرّفت عن أصلها العربي أو الإفريقي عند نقلها إلى الإيطالية واللاتينية ثمّ إلى الفرنسية حتّى أصبحت رموزا شبه مبهمة. ولقد تمكّنا من ذلك بفضل جهود العالم الفرنسي لويس ماسنيون الذي حلّ معظم تلك الرموز" (لخضر وحجي، 1978، ص. 22). وكان تصحيحهما لتلك الأخطاء مباشرة في صلب النص وليس في الهامش: فإنّنا لم نر من الفائدة ولا من الأمانة العلمية أن نترك تلك الأعلام محرّفة كما جاءت في الأصل المنقول عنه لننبّه في الهامش على الحقيقة كما هو الحال في الترجمة الفرنسية، وإنّما أثبتناها مباشرة في صلب الكتاب على ما نجزم أو نظنّ أنّه الصواب" (المرجع نفسه). بالإضافة إلى ذلك، اجتهد المترجمان في تصحيح بعض المصطلحات الثقافية باعتبار الظروف التاريخية والاجتماعية التي أُلّف فيها كتاب وصف إفريقيا.

3.2 تحليل القرب اللساني بين ترجمة إيبولار والترجمتين العربيتين "العكسيتين "

إنّ المصنّف الأساسي للحسن الوزان الفاسي، وهو "وصف إفريقيا"، معروف فقط في ترجماته ذات الأصل اللاتيني، في حين أنّ أصله مفقود تماما. وهذا ما جعل الجغرافيون المغاربة يجتهدون لردّ الاعتبار لشخصية الوزان ومصنّفه المشهور باقتراح ترجمات عربية "تحلّ محلّ الأصل". وهذا ما يحملنا على تصنيف الترجمات العكسية ضمن الترجمات "الترميمية" بالمعنى الأركيولوجي أو "التصالحية" مع الذات، بالمعنى الثقافي والسيكولوجي.

[41] باحثان معاصران متخصصان في تاريخ المغرب. لهما مؤلفات كثيرة في الترجمة نذكر من بينها : "مرمول كربخال، إفريقيا، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر؛ " رحلة الأسير مُويط الصادر عن وزارة الثقافة، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني.

والمقصـــود بالترميم هنا إصـــلاح كلّ التحريفات التي ألحقت بنص الوزان ورفع الحجاب اللاتيني عن المصطلح الثقافي المغربي.

وقد يبدو للقراء من الوهلة الأولى أنّ في اختيارنا لهذه المدونة خطأ منهجيا، حيث أن عنوان أطروحتنا يحصـــر البحث في الترجمات الفرنســـية للمصـــادر العربية. إلاّ أنّ التعريج " détour» مسألة جوهرية في ممارسة إعادة الترجمة. وبفضل هذا التعريج تمكنا من توسـيع حدود الفرضـية البرمانية وإثبات اسـتحالة تطبيق النموذج البرماني على المتن العربي.

3.2.1 الميل التحريفي الأوّل: العقلنة

المثال الأول

ت 2 (أ. إيبولار:1956)	ت م 1 (حجي؛ الأخضر، 1978: 1983)	ت 2 م (حميدة: 1979)
Religion des anciens africains Les Africains dans l'antiquité furent des idolâtres dans le genre des Persans qui adorent le feu et le soleil. Ils avaient de beaux temples bien ornés en l'honneur de l'un et de l'autre. Dans ces temples brûlaient constamment un feu que l'on gardait jour et nuit pour qu'il ne s'éteignit pas, de même qu'on avait coutume de le faire dans le temple de la déesse Vesta chez les Romains*. C'est ce que relatent tout au long les chroniques des Africains et des Perses. Il est vrai que les Africains de Numidie et de Libye adoraient les planètes et leurs faisaient des sacrifices. Certains des Africains noirs adoraient Guighimo, ce qui, dans leur langue, signifie Seigneur du Ciel. Ils ont éprouvé ce bon sentiment sans en être instruits par aucun prophète ni aucun docteur.	**ديانة قدامى الأفارقة** كان الأفارقة في الزمن القديم **وثنيين** على غرار الفرس الذين يعبدون النار والشـــمس، ويتخذون لعبادتهما معابد جميلة مزخرفة توقد داخلها نار تحرس ليل نهار حتى لا تنطفئ، كما كان يفعل ذلك في **معبد الإلهة "فيســتا"** عند الرومان**.ذلك ما لا تفتأ تواريخ الأفارقة والفرس تتحدث عنه.** ومن المعلوم أن أفارقة نوميديا وليبيا كانوا **يعبدون الكواكب ويقربون لها القرابين**، وأن بعض الأفارقة السود كانوا يعبدون **"كيغيمو"** ومعناه في لغتهم رب السماء...	**ديانات قدامى الأفارقة** كان الأفارقة في قديم الزمان **مجوســـا** على غرار الفرس الذين يعبدون الشـــمس والنار. وكان لديهم معابد مزدانة تكريما لهذه وتلك. وكانوا يوقدون في هذه المعابد على الدوام نارا تحرس ليلا ونهارا كيلا لا تخمد كما كانت العادة لدى الرومان الذين يصنعون نفس الشيئ **في هيكل الإلهة فيســـتا *** وكذلك يبدو من المؤكد ان أفارقة نوميديا وليبيا كانوا **يعبدون الكواكب الســـيارة، وكانوا يقدمون لها القرابين.** وكان بعض الأفارقة يعبدون **جويجيمو**، ويعني في لسانهم رب السماء*.

تحليل:

نلاحظ في هذا المثال، أنّ (ت م 1) وحدها لجأت إلى تغيير في مواضـــع علامات الوقف. واعتمدت بدل الجملة الفرنســية القصــيرة جملا مطوّلة مقطوعة بفواصــل: وهذا يدلّ على أنّ الترجمة العربية تمارس التمركز العرقي نفســـه الذي يتحدّث عنه أنطوان برمان بخصـــوص اللغات اللاتينية (خاصة الإسبانية والفرنسية والإنجليزية) ويسميه بالتمركز العرقي الأوروبي الذي يحيل بدوره إلى هيمنة اللغات الأوروبية. ويمكن الحديث هنا عن ممارســـة التعريب بكل ما تحمله الكلمة من معنى، إذ لا نقصــد به مجرد النقل من الفرنســية وتكييف النص بمعايير الكتابة العربية الســائدة في مرحلة تاريخية معينة (كما هو معمول به خاصة في تعليمية الترجمة)، بل استرداد لـ "تاريخانية" أصلية. وكأنّ المترجم يسعى إلى محاكاة نص عربي "وهمي" احتمالي يختفي وراء الترجمة الفرنسية من جهة، ويقرّ بـ "بطلان الترجمة" التي يتكّئ عليها بالرغم من ذلك لإعادة بناء النص الأصــلي العربي المفقود من جهة أخرى. **وعليه نستنتج أنّ التمركز العرقي وثيق الصلة بالترجمة كممارسة كونية وليس رهين لغة أو أيديولوجية معيّنة.**

المثال الثاني (تابع)

ت 2	ت م 1	ت م 2
A quelques temps de là, ils furent convertis à la religion judaïque, à laquelle ils furent attachés de nombreuses années jusqu'à ce que certains royaumes devinssent chrétiens. Ils restèrent fidèles à la foi chrétienne juqu'à ce que se produisit le soulèvement d'une certaine secte mahométane en l'an 268 de l'hégire. Alors quelques disciples de Mahomet vinrent prêcher dans ces régions et amenèrent par persuasion les âmes de ces Africains à leur religion, si bien que les royaumes noirs qui confinaient à la Libye devinrent mahométans.	وبعد ذلك اعتنقوا الديانة اليهودية طوال سنين عديدة إلى أن أصبحت بعض الممالك مسـيحية فدانوا بالمسـيحية وأخلصـوا لها إلى أن قامت بعض الفرق الإسـلامية عام 268 للـهـجـرة، فـجـاء بـعـض المســلمين دعاة في هذه المناطق وأقنعوا هؤلاء الأفـارقـة بـاعتنـاق دينهم حتى أصبحت الممالك السود المتاخمة لليبيا مسلمة*[42]	وبعد مضي بعض الوقت اعتنقوا الديانة اليهودية، التي ظلوا متمســكين بها ســنين عديدةإلى أن أصـبحت بعض الممالك نصـرانية* وظلّوا أوفياء للإيمان المســيحي إلى أن حدث تمرد من أتباع نحلة إسلامية عام 268 للهجرة وحينئذ قدم بعض أتباع الشـريعة المحمدية ونشـروا الدعوة في هذه المناطق واسـتطاعوا بالحكمة والموعظة الحسـنة كســب قلوب هؤلاء الأفـارقـة لـدينهم، إلى أن أصــبحت الممالك الزنجية المتاخمة إلى ليبيا مسلمة*[43] [...]

تحليل:

[42] الملاحظة هنا لصاحبي الترجمة العربية محمد حجي ومحمد الأخضر.

[43] الملاحظات الذي يشير إليها المترجم ع.حميدة في ترجمته هي لإيبولار، وعليه لا طائل منها.

تظهر العقلنة في هذه الحالة من خلال تغيير التركيبة النحوية الفرنسية في كلتا الترجمتين. ونظرا لشمولية هذا الإجراء في الترجمتين العربيتين العكسيتين، سنكتفي بهذا المثال.

3.2.2 الميل التحريفي الثاني: الإيضاح

المثال الأول

ت 2	ت م 1	ت م 2
A quelques temps de là, ils furent convertis à la religion judaïque, à laquelle ils furent attachés de nombreuses années jusqu'à ce que certains royaumes devinssent chrétiens. Ils restèrent fidèles à la foi chrétienne jusqu'à ce que se produisit le soulèvement d'une certaine secte mahométane en l'an 268 de l'hégire. Alors quelques disciples de Mahomet vinrent prêcher dans ces régions et amenèrent **par persuasion** les âmes de ces Africains à leur religion, si bien que les royaumes noirs qui confinaient à la Libye devinrent mahométans. **(85 كلمة)**	وبعد ذلك اعتنقوا الديانة اليهودية طوال سنين عديدة إلى أن أصبحت بعض الممالك مسيحية فدانوا بالمسيحية وأخلصوا لها إلى أن قامت بعض الفرق الإسلامية عام 268 للهجرة، فجاء بعض المسلمين دعاة في هذه المناطق وأقنعوا هؤلاء الأفارقة باعتناق دينهم حتى أصبحت الممالك السود المتاخمة لليبيا مسلمة*[44] **(46 كلمة)**	وبعد مضي بعض الوقت اعتنقوا الديانة اليهودية، التي ظلوا متمسكين بها سنين عديدة إلى أن أصبحت بعض الممالك نصرانية* وظلّوا أوفياء للإيمان المسيحي إلى أن حدث تمرد من أتباع نحلة إسلامية عام 268 للهجرة وحينئذ قدم بعض أتباع الشريعة المحمدية ونشروا الدعوة في هذه المناطق واستطاعوا **بالحكمة والموعظة الحسنة** كسب قلوب هؤلاء الأفارقة لدينهم، إلى أن أصبحت الممالك الزنجية المتاخمة إلى ليبيا مسلمة*[45] [...] **(63 كلمة)**

تحليل:

لجأ المترجم في (ت م 2) إلى توضيح كلمة "persuasion "بعبارة" الحكمة والموعظة الحسنة "وهي تأويل صائب معناه" الإقناع بالحجاج أو الحجّة الصائبة" لكنّه يزيد من طول النص.

3.2.3 الميل التحريفي الثالث: الإفقار الكمّي

المثال الأول

ت 2	ت م 1	ت م 2

[44] الملاحظة هنا لصاحبي الترجمة العربية محمد حجي ومحمد الأخضر.

[45] الملاحظات الذي يشير إليها المترجم ع.حميدة في ترجمته هي لإيبولار، فلا طائل منها.

BENI IESSETEN L'instruction est nulle : personne ne sait lire. Ces gens vont comme des moutons, qui n'ont ni jugement ni intelligence .Le chancelier du seigneur de Dubdu m'a raconté une histoire amusante qui les dépeint bien. **(35 كلمة)**	سكان جبال بني يستيتن والتعليم منعدم، فلا أحد يعرف القراءة، وهم يسرحون كالأغنام بدون تفكير ولا ذكاء. وقد حكى لي قاضي القضاة لدى أمير دبدو حكاية مضحكة تصفهم تماما. **(25 كلمة)**	والتعليم معدوم فيما بينهم، فليس ثمة شخص يعرف القراءة. وهم كالأنعام بل هم أضل. لا تفكير لديهم ولا ذكاء. **(19 كلمة)**

تحليل:

بالإضافة إلى التأويل الخاطئ الذي يظهر في ترجمة عبد الرحمان حميدة (ت م 2) في عبارة "بل هم أظل"، وهي فكرة لم ترد أبدا في ترجمة إيبولار (ت 2)، نلاحظ أنّ الفقرة الموالية (تقريبا نصف صفحة) التي جاء فيها سرد حكاية قاضي قضاة مدينة دبدو للحسن الوزان الفاسي قد حذفت عن كاملها ولم يذكر المترجم سبب هذا الحذف.

المثال الثاني

ت 2	ت م 1	ت م 2
Religion des anciens africains Les Africains dans l'antiquité furent des idolâtres dans le genre des Persans qui adorent le feu et le soleil. Ils avaient de beaux temples bien ornés en l'honneur de l'un et de l'autre. Dans ces temples brûlaient constamment un feu que l'on gardait jour et nuit pour qu'il ne s'éteignit pas, de même qu'on avait coutume de le faire dans **le temple de la déesse Vesta chez les Romains*.C'est ce que relatent tout au long les chroniques des Africains et des Perses.** Il est vrai que les Africains de Numidie et de Libye adoraient les planètes et leurs faisaient des sacrifices. Certains des Africains noirs adoraient Guighimo, ce qui, dans leur langue, signifie Seigneur du Ciel. **(117 كلمة)**	**ديانة قدامى الأفارقة** كان الأفارقة في الزمن القديم **وثنيين** على غرار الفرس الذين يعبدون النار والشمس، ويتخذون لعبادتهما معابد جميلة مزخرفة توقد داخلها نار تحرس ليل نهار حتى لا تنطفئ، كما كان يفعل ذلك في **معبد الإلهة "فيستا"** عند الرومان.**ذلك ما لا تفتأ تواريخ الأفارقة والفرس تتحدث عنه.** ومن المعلوم أن أفارقة نوميديا وليبيا كانوا يعبدون الكواكب ويقربون لها القرابين، وأن بعض الأفارقة السود كانوا يعبدون "كيغيمو" ومعناه في لغتهم رب السماء... **(70 كلمة)**	**ديانات قدامى الأفارقة** كان الأفارقة في قديم الزمان **مجوسا** على غرار الفرس الذين يعبدون الشمس والنار. وكان لديهم معابد مزدانة تكريما لهذه وتلك. وكانوا يوقدون في هذه المعابد على الدوام نارا تحرس ليلا ونهارا كيلا لا تخمد كما كانت العادة لدى الرومان الذين يصنعون نفس الشيئ **في هيكل الإلهة فيستا *** وكذلك يبدو من المؤكد ان أفارقة نوميديا وليبيا كانوا يعبدون الكواكب السيارة، وكانوا يقدمون لها القرابين. وكان بعض الأفارقة يعبدون جويجيمو، ويعني في لسانهم رب السماء*. **(74 كلمة)**

تحليل:

نفس الملاحظة يمكن القيام بها في هذه الحالة حيث يختار المترجم ع. حميدة (ت م 2) حذف جملة بأكملها C'est ce que relatent tout au long les chroniques des Africains et des Perses. دون إشارة إلى سبب الحذف.

3.2.4 ميول الترجمة التصحيحية

لا تدخل هذه الميول ضـــمن تحليلية أنطوان برمان المعروفة، بل هي ثمرة اجتهادنا في تحليل الترجمات العكسية وما أفرزته من ميول جديدة.

3.2.4.1 الميل إلى الاختزال

المثال الأول

ت 2	ت م 1	ت م 2
Les Égyptiens, comme l'a écrit Moïse*, ont pour origine Mesraïn, fils de Cus, fils de Chan, qui fut fils de Noé. Les Hébreux donnèrent à la région et à ses habitants le même nom, celui de Mesraïn*. De même les arabes appellent toute la contrée Mesre*. Mais ils donnent aux habitants le nom d'el Chibt*. Ils disent que Chibt fut le premier qui domina le pays et y construisit des maisons*. […]Mais il n'est pas resté de ces véritables Egyptiens que les Chrétiens qui s'y trouvent actuellement. Tous les autres se sont ralliés à la religion mahométane et se sont apparentés aux arabes et aux Africains. Le royaume d'Egypte est resté longtemps gouverné par des Égyptiens, les Pharaons, […] Enfin, après la **pestilente** venue de **Mahomet**, le royaume d'Egypte, fut pris par les **Mahométans**. Il fut conquis par **Hamr, fils de Hasi**, capitaine d'une armée arabe du second pontife, Homar*. Hamr laissa chacun pratiquer sa religion et n'exigea rien d'autre que le tribut. **(164 كلمة) (794 حرف)**	يرجع أصـــل المصـــريين، كما كتبه موســى*، إلى مصــرائيم بن كوش بن **حام** بن نوح*. وأطلق العبرانيون على الناحية وســـكانها نفس الإســـم، وهو مصرائيم*، ويسمّي العرب أيضا جميع الناحية مصـر، لكنهم يدعون السـكان أقبـاطـا، ويقولون أنّ قبطـا أول من اســـتولى على البلاد وبنى فيها دورا […] لكن لم يبق من هؤلاء المصـريين الحقيقيين إلاّ من يوجد فيها حاليا من المسـيحيين، واعتنق سـائرهم الإسـلام وانتســـبوا إلى العرب والأفارقة. دامت مملكة مصـر خاضـعة للمصـريين مدة طويلـة، وهم الفراعنـة […] وأخيرا بعد ظهور **محمـد –عليـه الســـلام–**غزا **المسـلمون** مملكة مصـر وفتحها **عمرو بن العاص** قائد جيش عربي باســـم الخليفة الثاني عمر، فترك للســـكان حرية الديانة ولم يفرض عليهم ســـوى الخراج. **(104 كلمة) (507 حرف)**	يعود المصـريون، كما كتب موسـى*، من حيث الأصـــل إلى مســـرائم بن كوش بن **حـام** بن نوح*. ويطلق العبرانيون على هذه المنطقة وسـكانها نفس الاسـم، وهو اسـم مصـريين*. ولكنهم يطلقون على السـكان اسـم القبط، ويقولون أنّ قبط أول من حكم هـذه البلاد وبنى فيهـا البيوت* […] ولكن لم يبق من هؤلاء المصـــريين الحقيقيين سـوى النصـارى الموجودين فيـه حاليا. وكل من عداهم فهم من معتنقي الديانة الإســلامية وينتســبون إلى العرب والأفارقة. […] وأخيرا وبعد ظهور محمد (ﷺ) احتل المسـلمون مصـر. وقد اسـتولى عليها عمروا بن العاص، قائد جيش عربي لـدى الخليفـة الثـاني عمر وقد ترك عمرو لكل فرد الحق في ممارسة ديانته، ولم يطلب منهم شـــيئا آخر سوى الجزية. **(107 كلمة) (481 حرف)**

تحليل:

خلافا لما لاحظناه في مدوّنتي "الرحلة" و"النزهة"، فالترجمة من الفرنسية إلى العربية تكون أكثر اختزالا (اقتصادا) للكلمات والحروف ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى ماهية اللغة العربية التي تنبني على نسق نحوي تكون فيه الضمائر متصلة في حالة الإضافة مثلا، وأداة التعريف " الـــ " متصلة بالاسم كذلك. ويمكن توضيح الميل إلى التقليص في هذه الحالة بالأرقام على النحو التالي:

	ت 2	ت م 1	ت م 2	النقصان
عدد الكلمات	**164 كلمة**	**104 كلمة**	107 كلمة	**57/ 60**
عدد الحروف	**794 حرف**	**507 حرف**	**481 حرف**	**313 / 287**

يتبيّن من هذا الجدول أنّ الفارق المسجل بين عدد الكلمات في (ت 2) وعددها في (ت م 1) و (ت م 2) يشكّل نقصانا بنسبة حوالي36% في المثال الأول (ت م 1) ونقصانا بنسبة 34 %في المثال الثاني (ت م 2). وهذا يحملنا إلى تسجيل ملاحظة غاية في الأهمية، وهي أنّ التقليص النحوي أثناء الترجمة من الفرنسية إلى العربية هو تحويل إجباري تفرضه معايير لغة التلقي. لهذا نكون قد أثبتنا بطلان عنصر "التمديد" الذي يعتبره أنطوان برمان ماهية الفعل الترجمي وذلك لاستحالة تعميمه على الترجمة من الفرنسية إلى العربية.

3.2.4.2 الإثراء النوعي الدلالي: تصحيح الأخطاء التأويلية وأخطاء التهجئة

المثال الأول

ت 2	ت م 1	ت م 2
Les Égyptiens, comme l'a écrit Moïse*, ont pour origine **Mesraïn, fils de Cus, fils de Chan**, qui fut fils de Noé. Les Hébreux donnèrent à la région et à ses habitants le même nom, celui de **Mesraïn***. De même les arabes appellent toute la contrée Mesre*. Mais ils donnent aux habitants le nom d'el **Chibt***. Ils disent que **Chibt** fut le premier qui domina le pays et y construisit des maisons*. […]Mais il n'est pas resté de ces véritables Egyptiens que les Chrétiens qui s'y trouvent actuellement. Tous les autres se sont ralliés à la **religion mahométane** et se sont apparentés aux arabes et aux Africains. Le royaume d'Egypte est resté longtemps gouverné par des Égyptiens, les Pharaons, […] Enfin, après la **pestilente** venue de **Mahomet**, le royaume d'Egypte, fut pris par les **Mahométans**. Il fut conquis par **Hamr, fils de Hasi**, capitaine d'une armée arabe du second **pontife**, **Homar***.**Hamr** laissa chacun pratiquer sa religion et n'exigea rien d'autre que le tribut.	يرجع أصل المصريين، كما كتبه موسى*، إلى **مصرائيم بن كوش بن حام بن نوح***. وأطلق العبرانيون على الناحية وسكانها نفس الإسم، وهو مصرائيم*، ويسمّي العرب أيضا جميع الناحية مصر، لكنهم يدعون السكان أقباطا، ويقولون أنّ **قبطا** أول من استولى على البلاد وبنى فيها دورا […] لكن لم يبق من هؤلاء المصريين الحقيقيين إلاّ من يوجد فيها حاليا من المسيحيين، واعتنق سائرهم الإسلام وانتسبوا إلى العرب والأفارقة. دامت مملكة مصر خاضعة للمصريين مدة طويلة، وهم الفراعنة […] وأخيرا بعد ظهور **محمد –عليه السلام–**غزا **المسلمون** مملكة مصر وفتحها **عمرو بن العاص** قائد جيش عربي باسم **الخليفة** الثاني **عمر**، فترك للسكان حرية الديانة ولم يفرض عليهم سوى الخراج.	يعود المصريون، كما كتب موسى*، من حيث الأصل إلى **مسرائم بن كوش بن حام بن نوح***. ويطلق العبرانيون على هذه المنطقة وسكانها نفس الإسم، وهو اسم مصريين*. ولكنهم يطلقون على السكان اسم القبط، ويقولون أنّ **قبط** أول من حكم هذه البلاد وبنى فيها البيوت* […] ولكن لم يبق من هؤلاء المصريين الحقيقيين سوى النصارى الموجودين فيه حاليا. وكل من عداهم فهم من معتنقي الديانة الإسلامية وينتسبون إلى العرب والأفارقة. […] وأخيرا وبعد ظهور **محمد (ﷺ)** احتل **المسلمون** مصر. وقد استولى عليها **عمرو ابن العاص**، قائد جيش عربي لدى **الخليفة** الثاني **عمر** وقد ترك **عمرو** لكل فرد الحق في ممارسة ديانته، ولم يطلب منهم شيئا آخر سوى الجزية.

تحليل:

على عكس ما لاحظناه في الترجمات الفرنسية لنصّي "الرحلة" و"النزهة"، فما يثير انتباهنا في تحليل الترجمتين العكسيتين العربيتين هو حرص المترجمين على تصحيح التأويل الخاطئ للكلمات وحذف ما يزيد عن ذلك من أوصاف غريبة عن المرجعيات الإسلامية يستحيل أن تصدر عن كاتب عربي مغربي مسلم ولئن تنصّر " كرها" ولمصلحة ذاتية إثر اعتقاله في روما[46].

لهذه الأسباب وغيرها، نستبعد كثيرا ان تكون كلمة " pestilente" على سبيل المثال لا الحصر، صفة يربطها الحسن الوزان بمجيء الرسول محمد صلى الله عليه وسلّم، علما أنّ مكافئها العربي الأقرب هو «**الوباء**". والواقع أنّ إيبولار يكون قد نقلها عن المترجم الأول تمبورال[47] (ت 1)، الذي استعمل صفة " pernicieux" وهي مرادفة لـ " pestilente" ويقابلها في العربية " الضار" و" القبيح" و" البغيض" وحتّى "الجهنّمي". وتصحيحا لما ورد من سوء التأويل القصدي، حذَفها المترجمون أثناء إعادة الترجمة إلى العربية وأضافوا إلى "محمّد" عبارة "**عليه السلام**" (ت م 1) أوﷺ (ت م 2) كردّ للاعتبار لقداسة الشخص وأعماله. وهذا دليل على أنّ الاختلاف في وجهات النظر والمواقف الأيديولوجية يؤدي حتما إلى الفروقات في الترجمة إلى حدّ التناقض.

كما عمد المترجمون (ت م 1 وت م 2) إلى تصحيح أسماء العلم المصرية القديمة" Mesraïn, fils de Cus, fils de Chan" والأسماء العربية "Hamr, Hasi, Homar" التي تعمّد إيبولار نقلها حرفيا هي الأخرى داخل النص وتصحيحها مباشرة أسفل الصفحة في شكل ملاحظات. ومثل هذا الإجراء يدلّ على ذاتية المترجم الذي كان يقصد تبيان أخطاء تمبورال "بإشارة ملتوية" لكنّها لا تخفى على القارئ.

نفس الملاحظة يمكن القيام بها فيما يخصّ استعمال مفردة "pontife" التي تحيل إلى الحَبر أو الأسقف وهو وَريث أو رئيس الكنيسة الكاثوليكية.

المثال الثالث

ت 2	ت م 1	ت م 2
Qualités et choses louables chez les Africains	**مزايا الأفارقة والأشياء المحمودة عندهم**	**المزايا والأشياء المحمودة عند الأفارقة**

[46] في هذا السياق بالذات، يقول كراتشكوفسكي متحدثا عن الحسن الوزان " وعقب فراغه من تأليف كتابه–بقليل، وربما كان ذلك في عام 1528، تمكّن بطريقة ما من الإفلات راجعا إلى إفريقية وما لبث أن أطرح المسيحية إلى دينه القديم" (كما ورد في حميدة، 1979، ص. 14). وهذا ما أكّده كذلك صديقه ومعاصره "ويد منسطار".

[78] أنظر ترجمة وصف إفريقيا لتمبورال، ص ص. 352–353، نسخة إلكترونية.

Les habitants de l'Afrique sont aussi très dévots. Ils obéissent à leurs docteurs et à leurs prêtres et ont un grand souci de connaître les choses nécessaires à leur religion. Ils vont continuellement faire leurs prières dans leurs **temples** et **supportent avec une incroyable patience l'ennui des ablutions** rituelles avant les prières ; ils se lavent même parfois tout le corps, comme je me suis proposé de le dire au livre second de mon ouvrage sur **la foi et la loi mahométane** ».	"وسكان إفريقيا متمسكون أيضا بالديانة شديد التمسك، يخضعون لفقهائهم وأئمتهم، ويهتمون شديد الاهتمام بمعرفة الأشياء الضرورية في الدين. يترددون على المساجد لأداء الصلوات، **ويتحملون بصبر عجيب مشقة الوضوء** قبل كل صلاة، بل ويغسلون أجسادهم أحيان، حسبما أذكر ذلك في الباب الثاني من كتابي عن **العقيدة والديانة الإسلامية**".	هذا ويتصف سكان إفريقيا بشدة تقواهم فهم يطيعون علماءهم وأئمتهم ويهتمون بشكل كبير في معرفة الأمور الضرورية لديانتهم. فهم يذهبون بال انقطاع لتأدية صلواتهم في مساجدهم، **ويتحملون بصبر لا يتصور القيام بفرض الوضوء** قبل الصلاة، ويعمدون أحيانا حتى إلى غسل جسمهم كله، كما اعتزمت توضيحه في الكتاب الثاني من مؤلفي عن **الإيمان والشريعة الاسلامية**".

تحليل:

يستمرّ المترجمون (ت م 1 و ت م 2) في تصحيح الأخطاء التأويلية العائدة إلى المواقف الأيديولوجية لمن سبقوهم. مثلا، يعود استعمال مفردة "mahométan" و"mahométisme" إلى العصور الوسطى حيث استحدثهما المستشرقون الأوروبيون كمكافئين لـ "chrétien" و"christianisme" (سعيد،2014). لكن استعمال «mahométisme" ضمن مصطلحات محاكم التفتيش الإسبانية Inquisition قد جُعل للدلالة على كفر المنَصَّرين واعتناقهم للإسلام خَفية أو هجرتهم إلى بلاد الإسلام. ونظرا لما تحمله هاتان المفردتان من شحنة دلالية سلبية بالنسبة للمسلمين، عمد المترجمون في كلتا الترجمتين إلى تصحيح عبارة "mahométane" واستبدالها بـ " إسلامية". ورغم هذا، تكون الترجمة الصحيحة لكلّ العبارة "la foi et la loi mahométane" على هذا النحو: الدين والشريعة الإسلامية.

والمثال الثاني يخص استعمال مفردة "temples" كمكافئ لـ "المساجد" وهي ترجمة وثيقة الصلة بالنزعتين الاستشراقية والكولونيالية حيث نجدها في معظم الترجمات الفرنسية التي أنجزت في تلك الفترة (من العصر الوسيط إلى ما بعد النصف الثاني من القرن العشرين). وهذا الإجراء الترجمي يدلّ على استمرارية بعد المسافة بين الثقافتين لمدّة أربعة قرون على الأقلّ وهي المدة التي تفصل بين ترجمتي

تمبورال وإيبولار، واستمرارية تكييف النصوص بمعايير اللغة المتلقية وثقافتها.

أمّا المثال الثالث (ت 2) الذي جاء فيه استعمال مفردة " ennui" كمضاف لـــمفردة "الوضوء" فنصنّفه كذلك ضمن قائمة الأخطاء التأويلية الوثيقة الصلة بذاتية المترجم إيبولار. فالمقصود بـــ " ennui" هو الملل والضجر والانزعاج وهي صفات لا يمكن ربطها بفريضة الوضوء بالنسبة للمسلم لذلك ذهب المترجمون لتصحيحها باقتراح عبارة "مشقّة الوضوء" (ت م 1) وعبارة "فرض الوضوء" (ت م 2) وهي أقرب إلى المعنى الشرعي حيث يراد من مشقة الوضوء وكماله كسب الأجر والثواب من الله عزّ وجلّ. وكلّ هذه المعاني الباطنية تخفى عن غير المسلم، ويترتب عن هذا سوء تأويل المعنى.

المثال الرابع

ت 2	ت م 1	ت م 2
Coutumes et façons de vivre des Africains qui habitent le désert de Libye Les **gentilshommes** de cette **populace** portent sur la tête, comme je l'ai dit, un voile noir […] (p.37) Pendant le repas, aucun des Numides ne toucha au pain ; (...) Cependant, à dire vrai, ils avaient coutume de manger du pain le jour de certaines fêtes solennelles, telles que **la fête de Pâques** et **la fête des Sacrifices**[48].	**عادات الأفارقة القاطنين بصحراء ليبيا وطرق عيشهم** **يضع أشراف هؤلاء القوم** على رؤوسهم كما قلت فيما سلف لثاما أسود (…) وأثناء الغداء لم يتناول أي نوميدي خبزا، (…) لكنهم في الواقع تعودوا أن يأكلوا الخبز أيام الأعياد الكبرى **كعيدي الفطر والأضحى**[49].	**عادات وأنماط معيشة الأفارقة الذين يعيشون في صحراء ليبيا** ويلبس **أشراف هؤلاء الرعاع** فوق رؤوسهم، كما قلت، لثاما أسود (…) ولم يمس أي نوميدي الخبز في أثناء الطعام، (…) غير أنه من الصحيح القول إن من عاداتهم أكل الخبز في أيام الأعياد الكبرى **كعيد الفطر وعيد الأضحى**[50].

تحليل:

على غرار الأمثلة السابقة، يستعمل إيبولار مكافئات فرنسية في غير محلّها لأنّها لا تراعي الدلالة الثقافية للمصطلحات العربية: فاستعمال مفردة "gentilshommes" هو من باب المفارقة التاريخية، إذ يحيل إلى وضعية النبلاء الفرنسيين ذوي المَحتِد الكريم (الأصل والنسب). ظهر استعمال هذه الكلمة في فرنسا منذ نهاية القرن الثاني عشر، وهي من أصل لاتيني قديم (القرن العاشر). وأصبحت تطلق فيما بعد على النبلاء التابعين للملوك أو الأمراء (1549). لهذه الأسباب، تكون كلمة

48) La fête de Pâques marque la fin du carême chrétien, c'est pourquoi l'auteur l'assimile à la fête musulmane de la rupture du jeûne du mois de ramadan, qui a lieu le premier jour du mois de chawwal de l'année arabe. En Afrique du Nord, cette fête porte le nom d'el-'aid es-seghir, la petite fête. La fête des Sacrifices est la commémoration du sacrifice d'Abraham, qui a lieu le 10 du mois de dhou l-hijja, dernier mois de l'année arabe ; cette fête dans l'Afrique du Nord porte le nom d'el-'aid el-kebir, la grande fête, et de tabaski dans plusieurs pays des Noirs.

80) عبر المؤلف عن عيد الفطر بعيد الفصح الذي هو آخر أيام الصيام عند المسيحيين تقريبا لأفهامهم.

81) ويدعى عيد تابسكي في عدة بلاد سودانية أي جنوب الصحراء الكبرى.

"nobles" أقرب إلى المعنى العربي المقصود، وأصبحت في أيّامنا كلمة "chorfa " من المصطلحات المتداولة المتفق عليها في مجال الترجمة الثقافية.

كما أنّه من باب المفارقة ترجمة عيدي الفطر والأضحى عند المسلمين بـــ " la fête de Pâques" كما يشير إليه المترجمون (ت م 1 و ت م 2)، ولئنّ كان المترجم إيبولار (ت 2) يدّعي أنّ هذه العبارات أصلية في كتاب الحسن الوزان، كما نلاحظه في هامش ترجمته أعلاه، الشيء الذي أكّده المترجمان (ت م 1) في هامش الترجمة العربية. لكن تحوّل نصّ الوزّان عبر الأزمنة والترجمات المتعاقبة إلى "طِرس" حقيقي، يحول دون التسليم بأصالة كلّ ما ورد فيه من أخبار.

المثال الخامس

ت 2	ت م 1	ت م 2
Royaume de Marrocos Le **Hea,** région du royaume de **Marrocos,** se termine à l'océan vers l'Ouest et le Nord. (…) **Ileususugaghe** est une bourgade construite comme une forteresse (…) **Teijut** est une bourgade (…) **Eit Deuet** est une ville ancienne bâtie par les Africains(…) **Culeihat Elmuridin** c'est une forteresse (…)	تنتهي **حاحا** التي هي أحد أقاليم مملكة **مراكش**(…) **إدَاوْ إزكْ واغن** هي قرية بنيت كحصن (…) **تيِيُّوتْ** قرية صغيرة (…) **آيْتْ داود** مدينة عتيقة بناهاالأفارقة (…) **قليعَة المريدين** هي قلعة صغيرة (…)	**مملكة مراكش** تنتهي **بلاد حاحه،** وهي منطقة من مملكة مراكش، (…) **ايد آوايزوغ غواغن** هي بلدة صغيرة شيّدت لتكون قلعة (…) تيّوت بلدة صغيرة (…) آيت دوّاد مدينة قديمة شيّدها الأفارقة (…) قليعَة المريدين وهي قلعة صغيرة (…)

تحليل:

هذا المثال أصدق صورة عن الموقف الأيديولوجي للمترجم إيبولار إزاء أسماء الأماكن المحلية في إفريقيا عموما، وفي المغرب خاصة: فاللغة الإفريقية، التي نشأت عن اتصال بين البربرية والعربية، هي مزيج من الكلمات السامية والعبرية ذات الأصل الفينيقي أو البونيقي المنسوب إلى العربية (بريكسي، 1996 ، ص. 36).آليا، نرى كيفية مرور أسماء الأعلام عبر الطبقات السابقة من البونيقية إلى الرومانية ثمّ اللاتينية: إذ يختار المترجم إيبولار الشكل اللاتيني " Marrocos[51] " و"

[51] وكلمة " " تنحدر من البربرية أمرّوك"، وهي تصغير لكلمة " أمرّاكش" ، التي أعطت فيما بعد " مراكش" ، من البربرية "آمر ن واكش" التي تعني " أرض / بلاد الله" أو " الأرض المقدّسة".

Hea " وهي أعلام مشـهورة: ينحدر اسـم المكان الأوّل من الإسـبانية، أمّا " Hea " فتمّ تحويرها [52] لـ "حاحا" ، وهي منطقة تحمل اسـم قبيلة حاحا التي بدأ يؤرخ لها المؤرخون منذ القرن الثاني عشـر. ولم نجد تفسيرا تاريخيا لتهجئة " Hea " بهذا الشكل، وهو نفسه الموجود في ترجمة تمبورال (1556، ص. 53)، وعند لويس ماسنيون (1906، ص. 192).

ونسـتغرب أيْما اسـتغراب للضـبابية والارتباك اللذان يعتريان كتابة الأسـماء البربرية داخل النص، خاصة أنّ التهجئة الصحيحة تظهر في ملاحظة المترجم أسفل الصفحة (ت م 1)، وهذا يعني بلا شكّ اسـتمرارية طغيان الفكر اللاتيني على المصـطلح الثقافي المحلّي وحرص الكتاب والمترجمين الفرنسـيين على التمييز بين المحلّي والأجنبي في علاقة تراتبية يكون فيها المحلي أسفل الهرم.

الحالة السادسة

ت 2	ت م 1	ت م 2
PAYS DES NOIRS Les anciens géographes, comme El Bicri et El Meshudi n'ont rien écrit sur la Terre des Noirs, sauf sur El Guechet et sur Gana. De leur temps, en effet, on ne savait rien des autres pays des Nègres. Mais ils ont été découverts après l'année 380 de l'hégire, parce qu'alors les Lumtuna et toute la population de Lybie, se firent **mahométans** grâce à la **propagande d'un prédicateur** qui, au surplus, poussa les Lumtuna à la conquête de toute la Bérbérie. Alors on commença à fréquenter ces pays et à les connaître. Ils sont tous habités par **des hommes qui vivent comme des bêtes**, sans rois, sans seigneurs, sans républiques, sans	**بلاد السودان** لم يكتب الجغرافيون القدماء مثل البكري والمسعودي شيئا عن بلاد السودان باستثناء الواحات وغانا. إذ لم يكن يعرف شيئ عن غيرهما من بلاد الزنوج في ذلك العصر؛ ولكنها اكتشفت بعد سنة 380 هـ، لأنّ لمتونة وجميع سكان ليبيا **أسلموا على يد داعية** حملهم بالإضافة إلى ذلك على فتح بلاد البربر كلّها*. فبدأ الناس منذ ذلك الوقت يختلفون إلى هذه البلاد ويتعرفون عليها. يسـكن هذه البلاد كلها **قوم يعيشـون كـالبهـائم**، لا ملوك لهم ولا أمراء ولا	**بلاد السودان** لم يكتـب الجغرافيون القـدامى، مثـل البكري والمسـعودي، شـيئا عن أرض السودان فيما عدا الواحات وعن غانا*. ففي عصـرهم لم يكن يعرف شـيئ سواهما عن بلاد الزنوج الأخرى. ولكنها اكتشـفت بعد عام ثلاثمائة وثمانين هجريـة*. إذ في ذلـك الوقت **اعتنقت لمتونة وكلّ سكان ليبيا الإسلام بفضل دعوة إمام** قام، بالإضافة إلى ذلك، بدفع لمتونة لفتح كلّ بلاد البربر* وعندئذ بدأ الناس يقصـدون هذه البلاد، وأخذوا في التعرف عليها. وهذه الأقطار، جميعها، مسـكونة **بأناس يعيشون كالبهائم** بدون ملوك، ولا أمراء،

[52] ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى الأصل البونيقي لعدد كبير من أسماء الأماكن، في إفريقيا الشمالية المتوسّطيّة مثلا، قد احتفظ بهم المترجمان الفرنسيان (ت 1، ت م 1) : قرطاج (Utique)، سوس (Hadrumète)، لبدة(Leptis)، شرشال(Iol)، تنس (Cartennae)، مليلة بالإسبانية/ مليلية بالمغربية(Russadir)، طنجة (Tingis)، الدار البيضاء/ Casablanca (Anfa)، الصـويرة (Mogador)، تونس (Thunès) بالفينيقية، سـكيكدة العربية/ راس ايكاد البونيقية / Russicade الرومانية ، بونة/ عنابة العربية/ هيبون الرومانية. وكذلك الحال بالنسـبة لأسـماء الأماكن ذات الأصـل الليبي (البربري) libyque لمدينة سـيرتا التي تحوّلت إلى Constantine في الحقبة الرومانية، إذ تحوّل المرجع إلى مؤسّس جديد يدعى Constantin 1er .

gouvernements, sans coutumes (...)	جمهوريات ولا حكومات ولا عادات، (...)	وبدون جمهوريات ولا حكومات ولا تقاليد[53].

تحليل:

أوّل ملاحظة نشير إليها في هذا المثال هي إضافة إيبولار لكلمة "propagande" في ترجمته، حيث لا نجد لها أثر في النص الأصلي الإيطالي (راموزيو، كما ورد في شايب نبيلة، 2015: 82). هذا مع العلم أنّ هذه الكلمة اللاتينية الأصل (دلالة دينية تعني غرس الأفكار) ولكن هذه الكلمة شهدت تطورا في دلالته بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت مرهونة بمعنى سلبي لا يمكن تجاهله. أمّا (ت م 1) و (ت م 2) فقد لجأتا إلى ترجمة توضّح المعنى الإيجابي للدعوة الإسلامية باستعمالها لعبارتي " **أسلموا على يد داعية**" أو "**اعتنقت ... الإسلام بفضل دعوة إمام** ".

3.3 تحليل القرب الثقافي: من النص إلى المناص

إنّ هدفنا من تحليل القرب الثقافي هو معرفة أسباب إعادة الترجمة في ضوء نظرية النظم المتعددة التي تشير إلى التفاعل بين الأنظمة المختلفة مثل الأدب والسياسة والثقافة. وتكون الترجمة هي إحدى هذه الأنظمة كما أسلفنا. ونظرا لحدود الدراسة الأسلوبية، فإننا وجدنا في توسيع سياق البحث إلى مصاحبات النصوص المترجمة، أي المناص، سبيلا إلى معرفة أسباب إعادة الترجمة والإقرار بالوضعية المحورية للترجمة داخل النظام الأدبي والمجال المعرفي من جهة أخرى.

3.3.1 تحليل المناص في ترجمة إيبولار

زيادة على تحوير النص الذي أشرنا إليه سالفا، ينكشف المشروع الترجمي لإيبولار بكل وضوح في المقدمة.

3.3.1.1 المقدمة

من الجانب المادي، جُعلت المقدمة في ثماني صفحات، ذكر فيها المترجم إيبولار تاريخ أول نشر لكتاب في 1550 باللغة الإيطالية وأولى ترجمتين نشرت له في 1556: الترجمة اللاتينية ليحيى فلوريان والفرنسية ليحيى تمبورال، التي اعتبرت غاية في الجودة آنذاك. كما يبرز إيبولار في مقدمته

[53]وقد قال لنا المؤلف نفس الشيء عن عيوب الزنوج في كتابه الأوّل. وتدلّ بقية هذا الوصف بأنّ الوضع ليس كهذا.

دور الناشـــر راموزيو في إعادة كتابة مخطوط الحســـن الوزان الذي تتعدّى قيمته قيمة كتب التاريخ الجغرافي.

وما تجدر الإشـارة إليه أنّ في هذه المقدمة دلائل واضـحة عن التنازع على سـلطة النص، الذي صُـنّف من بين الدوافع الرئيسـة لإعادة الترجمة. فعنصـر الذاتية يبرز من خلال توقيع المترجم إيبولار (وليس الناشـر راموزيو)، على الصـفحات السـبعة الأولى من المقدمة (v–xi). وهذا دليل ضـمني على وجود إرادة في التنازع على سلطة النص بين إيبولار وراموزيو من جهة، وبين إيبولار وتمبورال من جهة أخرى.

وبعودتنا إلى المقدمة، نقف عند توظيف إيبولار لنوع من التراتبية في ذكر مجموعة الأشـــخاص المنخرطين في عملية الكتابة وإنتاج النص: "لقد ظهر في البندقية، عام 1550 مؤلف ذو قيمة فريدة. فقد عمد عالم واسـع الثقافة يدعى جان باتيسـت راموزيو إلى نشـر عدة قصـص رحلات باللغة الإيطالية لم يسـبق نشـرها تحت عنوان " Delle navigationi e viaggi " (الملاحة والرحلات)، وكانت أكثر هذه الرحلات أهمية "وصف إفريقيا" للحسن ابن الوزان الملقّب في روما بيوحنة ليون، الإفريقي". نلاحظ هنا أنّ المترجم إيبولار يضـع يوحنة باتيسـت راموزيو في المرتبة الأولى علميا، ويذكر الكاتب الأصـلي في نهاية الفقرة، ثمّ يردف قائلا: " وقد كان لكتاب راموزيو النجاح الذي يستحق". وكأنّ إيبولار يريد أن يشـكّك في عمل الحسـن الوزان. في هذه النقطة بالذات، يكون تحذير جيرار جنيت من خطر المناص مبرّرا.

ثمّ ينتقل إيبولار في كلامه التوجيهي للقارئ للحديث عن الترجمة الفرنسية الأولى التي كانت من توقيع تمبورال. وهو يرى أنّها كانت جيّدة للغاية بالنسبة لعصرها غير أنّ لغتها قد اعتراها الشيب وأنّها أصـــبحت مســـتعصـــية على القارئ العادي. أمّا المثقّف الذي يقارنها بنص راموزيو فيعثر فيها على أخطاء كثيرة وتعابير غامضـــة. وهنا يعطي تبريرات موضـــوعية لإعادة ترجمة ما يطلق عليه "كتاب راموزيو" بغرض تصـــحيح ما وقع فيه من أخطاء. ثمّ يعلّق على نص الحســـن الوزان بالتشـــكيك في مصداقية بعض المعطيات الجغرافية والأحداث التاريخية الذي أوردها حيث كان أحيانا ينسب إلى نفسه روايات مزيفة لغيره من الرحالة أو روايات لم يحســـن تأويلها. ولربما كان يســـيء أحيانا أخرى مراجعة ملاحظاته. ونحن نعتقد أنّ العبارة التالية لإيبولار تبرهن على فكرة تعدّي المترجم لدور الوسيط:

> *« Le texte de Léon ne peut être suivi qu'à la lumière d'un commentaire détaillé »* (Epaulard, Introduction, 1956 : X).

وفيما يخص **عمله في الترجمة**، يقول إيبولار أنّه قد لجأ إلى الترجمة الحرفية قدر الإمكان ولئن كان ذلك على حساب اللغة الفرنسية. وأنّ ترجمته فقدت من جمال أسلوب ترجمة تمبورال التي غالبا ما كانت تستعمل أساليب البديع على حساب المعنى. ويضيف أنه توسع في التعليق التاريخي لتمكين القارئ من فهم الوقائع كما تقرّها تلك الحقيقة النسبية التي تسمّى التاريخ. ولن يفوت العلماء المختصون جرد كلّ الأخطاء الواردة في تلك التعاليق. ونحن نعتذر لهم إذ لم يكن هدفنا في هذا المقام هو نشر عمل علمي قد قمنا بتحيينه. وربما كان تعليق المترجم إيبولار على ترجمته الشخصية لهذا الكتاب يخصّ هذا البحث بالدرجة الأولى حيث يبرّر المترجم إعادة ترجمته لهذا العمل قائلا:

> *La traduction latine est sans valeur et sans intérêt. La traduction française est par contre excellente pour l'époque. Sa langue a naturellement vieilli et pris, peut-être de ce chef, un charme particulier tel que, même de nos jours, les érudits préfèrent en général citer des passages entiers de ce texte plutôt que de se référer au texte italien… Pourtant, à l'examiner de près, elle présente certains défauts très nets. Son archaïsme est maintenant une gêne pour le lecteur ordinaire. Le lettré qui la confronte avec le texte de Ramusio ne manque pas d'y relever maintes erreurs et des obscurités. Elle n'est pas un bon instrument de travail. La traduction de l'ouvrage de Ramusio serait tout entière à reprendre. Nous présentons aujourd'hui celle de la* « Description de l'Afrique » par Jean Léon » (Epaulard, Introduction, 1956 : v, vi).

كما يكشف لنا المترجم في مقدمته عن وضعية المخطوط: " منذ 1931 وبعد الحصول على نسخة من المخطوط الأصلي، سجّل مخطوط "وصف إفريقيا " في كتالوج المكتبة الوطنية بروما (تحت رقم 953). وبعد تصحيح هذه النسخة و"نقلها" إلى اللغة الفصيحة (المعيارية) على يد الناشر/المترجم راموزيو، أعطي المخطوط إلى أنجلّة كودازي (Angela Codazzi)، الأخصائية الإيطالية في التاريخ والجغرافيا، كي تعيد كتابته وفق معايير العصر (نحو 1933). ولا تمرّ المقدمة دون ذكر صاحب الكتاب جان ليون الإفريقي (ماسنيون، 1906):

> Notre auteur a beaucoup fréquenté les cours des princes de Berbérie, il a pris part avec eux à plusieurs expéditions de

notre temps. Je dirai de sa vie ce qu'en ont rapporté les personnes dignes de foi qui l'ont connu et fréquenté dans la ville de Rome. Ce fut un More, né à Grenade. Quand le Roi Catholique a conquis ce royaume, il s'est enfui dans la Berbérie avec tous les siens et il a fait dans la ville de Fez des études en arabe. Il a composé dans cette langue plusieurs livres d'histoire qui ne sont pas parvenus jusqu'à présent et aussi un ouvrage de grammaire que Maître Jacob Mantino disait posséder. Il parcourut toute la Berbérie, les pays des Noirs, l'Arabie, la Syrie, notant toujours ce qu'il voyait et entendait. En dernier lieu, sous le pontificat du Pape Léon, il fut pris dans l'île de Djerba, par quelque fuste de corsaires. Amené à Rome, il fut donné à Sa Sainteté. Celle-ci ayant vu et compris qu'il se plaisait aux questions de géographie et qu'il avait déjà écrit un livre qu'il portait avec lui, l'accueillit très aimablement, le complimenta beaucoup et lui accorda de bons appointements pour qu'il ne partît point. Ensuite, il l'exhorta de se faire chrétien, et l'y amena, lui donnant ses deux noms, Jean et Léon. Ainsi Léon habita-t-il longtemps à Rome par la suite. Il y apprit la langue italienne, à la lire et à l'écrire et il traduisit son livre de l'arabe, le mieux qu'il sut le faire (Ramusio traduit par Epaulard, 1956 : xvi).

كان كاتبنا يتردد على بلاطات الأمراء البربر، وقد شارك معهم في العديد من الرحلات الاستكشافية في عصرنا. وسأحكي عن حياته ما رواه أهل الثقة الذين عرفوه وترددوا عليه في مدينة روما. كان من مواليد غرناطة الموريين. عند احتلال الملك الكاثوليكي هذه المملكة، فرّ هاربا إلى بلاد البربر بمعيّة جميع أفراد عائلته، حيث درس العربية في مدينة فاس. قام بتأليف العديد من كتب التاريخ بهذه اللغة التي لم تصل إلينا حتى الآن، وكذلك كتاب في النحو زعم السيد جاكوب مانتينو أنّه في حوزته. طاف بجميع أنحاء بلاد البربر وبلاد السودان وشبه الجزيرة العربية وسوريا، ناقلا لكلّ ما يراه ويسمعه. أخيرًا، وفي عهد البابا ليون، وقع أسيرا في يد بعض القراصنة بجزيرة جربة، الذين أخذوه إلى روما، وقدّموه هدية إلى قداسته. لمّا أدرك هذا الخير اهتمام أسيره بمسائل الجغرافيا وأنّه قد حمل معه كتبا من تأليفه، رحّب به وأثنى عليه كثيرًا ومنحه مناصب عليا حتى لا يغادر. ثم حثه على أن يصبح مسيحيا، وقام بتعميده، وسمّاه باسميه: يوحنا وليون. وهكذا قضى ليون فترة طويلة في روما، تعلّم فيها اللغة الإيطالية حتّى أصبح يتقن قراءتها وكتابتها، ليقوم بعدها بترجمة كتابه من العربية بقدر ما استطاع (ترجمتنا).

وتمكّننا هذه المقدمة من استقاء معلومات جوهرية وهي:

- وجود نسخة عربية أصلية لكتاب "وصف إفريقيا".
- اهتمام المسيحيين في عصر النهضة بتقدم البحث الجغرافي عند المسلمين (خاصة المغاربة) والاستفادة منه عن الطريق الترجمة.
- تحويل بعض المسلمين الأسرى قسريا إلى المسيحية للاستفادة من معارفهم.

هذا وتشكل المقدمة عنصرا جوهريا في **معرفة السياق الثقافي والسياسي** الذي أنجزت فيه الترجمة المعادة لإيبولار. فنشرها في 1956 يصادف فترة حاسمة من تاريخ المغرب وهي فترة تصفية الاستعمار في السودان والجزائر من جهة واستقلال تونس والمغرب من الحماية الفرنسية من جهة أخرى (شايب، 2015، ص. 73).

3.3.1.2 دار النشر

نشرت الترجمة الجديدة لإيبولار في باريس عن مكتبة باريس والشرق" أدريان ميزوناف" (Adrien Maisonneuve) وهي من بين أقدم دور النشر الاستشراقية في فرنسا، تهتمّ بدراسة الثقافات والديانات القديمة بإفريقيا وأمريكا وآسيا وهي تختص في مجالات التاريخ والفلسفة والروحيات والإثنولوجيا واللسانيات.

أمّا أدريان ميزوناف (1897–1968) فكان يترأس دار النشر المذكورة عند نشر ترجمة إيبولار في 1956. تعزى له منشورات كثيرة خاصة بالشرق الأدنى والشرق الأقصى والهند. وكان ابنه الذي خلفه بعد وفاته في 1972، ناشر ترجمة صحيح البخاري إلى الفرنسية. وكانت تلك الترجمة من إنجاز أوكتاف هوداس (Octave Houdas) ووليام مرسيه (William Marçais). جاء ذكر المترجم الأول في قاموس المستشرقيين الناطقين بالفرنسية حيث نقرأ عنه في مقال للمسعودي وشميتز العبارات التالية: " إنّ أوكتاف هوداس من المعرّبين، وقد سبق له ترجمة ونشر كتب هامة عن إفريقيا السوداء. وهو وريث التقليد الاستشراقي الفيلولوجي وهو أوّل من مارس تطبيقه على النصوص التاريخية للإسلام الإفريقي. وهو كذلك صاحب كتاب Ethnographie de l'Algérie. أما وليام مرسيه فتتلمذ على يد أوكتاف هوداس في مدرسة اللغات الشرقية وكان بدوره مستشرقا معربا. عمل بمكتب شؤون الأهالي التابع لوزارة الحرب وأسس بعدها أول حلقة لتدريس العربية المغربية بمدرسة اللغات الشرقية (1920–

1927). وكان صـاحب أعمال هامة على لهجات المغرب المحلية (مرلن، 1957، ص ص. 402-411).

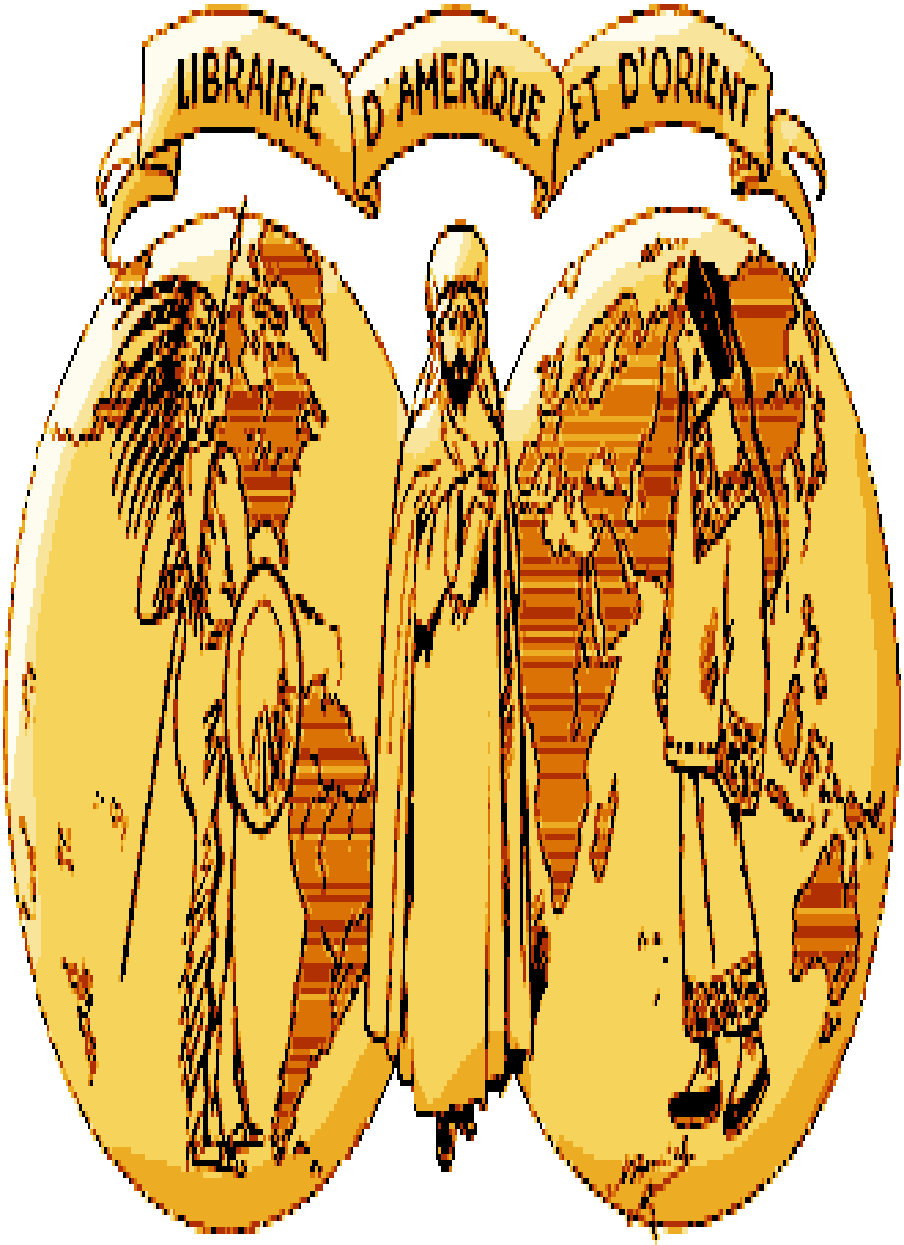

شكل 1 واجهة دار النشر

من وجهة نظر إستيتيقية، نلاحظ أنّ الزخرفة المصاحبة لواجهة دار النشر تعبيرية إلى حدّ كبير وتحيل إلى الإغرابية (exotisme) التي كانت تميّز الخطاب الاستشراقي.

3.3.1.3 الإهداء

من حيث التوزيع الفضـــائي، يعد الاهداء هنا تكملة للمقدمة، ولئن جاء الفصـــل بينهما بإدراج العنوان الفرعي التالي:

A L'EXCELLENT MESSIRE GEROME FRACASTOR JEAN-BAPTISTE RAMUSIO

> Ce fut une coutume des anciens, observée jusqu'à nos jours, que ceux qui désiraient mettre en lumière leurs compositions, soit en prose, soit en vers, les dédiassent à des hommes capables de porter un jugement sur elles, ou bien ceux des amis désireux de les lire, ou bien à ceux qui, grâce à l'éclat de leur nom, leur procureraient un meilleur crédit et plus de renom... » (Epaulard, 1956 : XIII).

وعلى سبيل المقارنة، أدرجنا النص الأصلي لـــــ " تمبورال" الذي خصّصه للإهداء وهو نص مطوّل وقع في أربع صفحات:

A ILLVSTRE SEI-
GNEVR HIEROME FRA-
CASTOR,
Iean Baptiſte Rhamuſio,
Salut.

Touchant la diſpoſition de cet œuure de Iean Leon, imprimé en Italien.

LA coutume à eſté de toute ancienneté, & continuée juſques à preſent, que ceus qui deſirent mettre en lumiere leurs compoſitions ſoit en proſe ou en vers, les ont touſjours dediées à tels perſonnages, qui en peuſſent faire jugement: ou à leurs amis, qui auroyent deſir de les lire, ou bien à ceus, qui par la ſplendeur de leur nom, leurs donnaſſent plus grand credit & reputation. Ce que voulant obſeruer en ce mien petit labeur, que j'ay prins ſelon mon pouuoir de recueillir & mettre enſemble aucuns Auteurs, qui ont eſcrit de l'Afrique & de l'Indie, je ne trouue homme, à qui je le doiue plus conuenablement recommender, & qui me ſatisface dauantage en cette matiere, que vous. Car je ne penſe point qu'vn autre en puiſſe donner meilleur jugement, ou qui deſire auec plus grande affection la li-

re, ou qui auec ſa claire renommée luy puiſſe donner plus grande autorité & longue memoire. Premierement, par ce que vous, qui eſtes autant bien inſtruit en la Geographie, que autre que je cognoiſſe en ce monde, eſperant que ceſte matiere porteroit quelque vtilité aus hommes, m'incitâtes le premier à cette entreprinſe auec vôtre autorité: joint que le manifique Seigneur Conte Remond de la Tour, autrefois par ces ſages propos me l'a conſeillé oyant auec vn ſi grand contentement diſputer tant doctement des mouuemens du ciel, & de la ſituation de la terre. Dauantage, j'ay bien voulu laiſſer à nôtre poſterité ce mien labeur, comme vn teſmoignage de nôtre longue & conſtante amitié, ne pouuant mieus ſatisfaire au deuoir de la reuerẽce que je vous doy, ou à l'affection que vous me portez, eſtant aſſeuré qu'il vous ſera fort agreable, & le lirez, d'vne affection. Mais ſi je veus pour acomplir le deſir, que j'ay que ce mien labeur ſoit immortel entre les hommes, quel meilleur moyen pourrois je trouuer, que de le recommender à vôtre nom excellent, qui demeurera (comme je ſuis aſſeuré) apres la mort du corps, immortel? veu mémement que vous eſtes le premier, qui de nôtre temps auez renouuelé le diuin moyen d'eſcrire des anciens touchant les ſciences, ſans imiter ou changer de liure à liure, & tranſcrire, ou interpreter comme pluſieurs font maintenant les œuures d'autruy: mais plus tôt auec la ſubtilité de vôtre eſprit conſidentra di-

li-

ligemment, auez apporté au monde pluſieurs choſes de nouueau, non point au parauant entendues, ou imaginées par autruy, comme en l'Aſtronomie aucunes choſes nouuelles, auec certains mouuemens des cieus, & la ſubtile raiſon des Omocentrices: en Philoſophie le ſecret moyen, par lequel l'intelligence eſt crée en nous, & le chemin incogneu de chercher les raiſons admirables, qui auoyent eſté par cy deuant cachées, comme du diſcord & accord naturel, que nous voyons eſtre en beaucoup de choſes. En la medecine les cauſes des infirmitez contagieuſes, auec les exquis & ſouuerains remedes d'icelles. Ie ne parle point de la diuine Poeſie de vôtre Siphilide: laquelle nonobſtant que vous la compoſates en vôtre jeuneſſe par maniere de paſſe temps: ſi eſt elle remplie de tant de beaus pointz de Philoſophie & de medecine, eſtant ornée de diuines conceptions, et peinte de ſi belles & diuerſes fleurs poetiques, que les hommes de nôtre temps ne doutent point de les egaler aus poëſies anciennes, & l'auoir au nombre de ceus qui meritent de viure & eſtre leuz à perpetuité. Les Royaumes, les Seigneuries, les richeſſes & autres choſes ſemblables données de nature, ont eſté touſiours eſtimées muables & de petite durée comme elles ſont veritablement, ou le treſor de l'eſprit, & principaleme t le vôtre qui eſt conſtant & raſſis, & qui reſiſte à toute fortune et violence de temps s'éforce maug. luy de ſe faire immortel. Et qu'ainſi ſoit, ſi on veut prendre garde

à la vie de plusieurs grans Princes & Seigneurs de Italie, & autres parties du monde, & quand tout est dit de ceus, qui ont esté bien peu deuant nôtre tẽps, on trouuera, que la méme sepulture qui à couuert le corps, à pareillement obscurcy leur nom. Et neàntmoins la memoire de plusieurs personnages dottes qui sont long temps à decedez, est encore viuant entre les hommes, & continuellement floriſt de plus en plus. Parquoy j'estime par ceste fin, que je doy sur tous desirer d'auoir fort bien choisi, ayant esté neantmoins incité par vn certain instint de naturelle affection, & amitié vers les gens de lettres remplis de science des choses celestes, & naturelles, veu qu'il me semble qu'ils ont je ne scay quoy de diuin, qui les rend par dessus tous autres dignes d'honneur & d'admiration. Mais la principale cause, qui m'a fait volontiers trauailler en ceſt œuure, est, que voyant & considerant les tables de la Geographie de Ptolomée, ou il descrit l'Afrique & l'Indie, estre assez imparfaites au regard de la grande cognoissance qu'on a aujourd-huy des regions, j'ay estimé qu'il sera assez agreable & profitable au monde de recueillir ce, qui a esté escrit de nôtre temps touchant ces parties-là du monde, desquelles on a escrit par le menu: en y adjoustant les cartes marines & principalement les Portugalois, tellement qu'on en pourra faire tant de tables, qui cõtenteroyent grandement ceus, qui prennẽt plaisir à celles matieres, car ils seroyent certains des degrez, des lar-

largeurs, & longueurs, au moins des marines de tout ce pays, auec le nom des lieux, citez, et Seigneuries, qui y habitent pour le present, & les pourroyẽt conferer auec ce, qui en à eſté eſcrit par les anciens. Au reſte, quant à la peine que j'ay prins ſelon mon petit pouuoir, principalement pour la diuerſité des langues, ou elles eſtoyent eſcrites, je n'en veus point maintenant parler, afin qu'il ne ſemble point, que je vueille exalter par paroles mes labeurs & diligences: Mais les bons & gratïeus Lecteurs, en y penſant, le cognoitront en partie comme j'eſpere. Et ſi j'ay failly en pluſieurs lieux, comme je confeſſe franchement, cela n'eſt point aduenu par faute de diligence, mais plus tôt par ce que le pouuoir de mon eſprit n'à peu attaindre l'ardeur du bon vouloir: joint auſſi que les exemplaires qui me ſont tõbez entre les mains, eſtoyent merueilleuſement gâtez & corrompuz: en telle ſorte, qu'ils auroyent eſpouenté tout gentil eſprit, s'il n'eût eſté ſouſtenu de la conſideration du plaiſir que deuroyent prendre les ſtudieus aus matieres de la Geographie, & principalement de ceſte partie d'Afrique eſcrite par Iean Leon, de laquelle il n'à point eſté donnée aucune cognoiſſance par aucun auteur, ou à tout le moins ſi amplement, & auec telle aſſeurance. Mais que dy-je du plaiſir qu'en receuront les gens doctes & ſtudieus? qui eſt celuy, qui pourroit doutér, que pluſieurs Seigneurs & Princes ne prennẽt plaſir en telle lecture? mémement qu'à eux appartient plus q

à nul

à nul autre de ſauoir les ſecretz & particularitez d'icelle partie du monde, & toutes les ſituations des regions, Prouinces & citez d'icelle, auec les dependences que les Seigneurs ont les vns des autres, & le peuple qui y habite. Car combien qu'ils en puiſſent eſtre informez par autres qui ont couru ce pays en oyant & liſant les propos & eſcrits d'iceus, ſi ſuis-je aſſeuré que en liſant ce Liure, & conſiderant le contenu diceluy, ils cognoitront que leurs narrations ſont briefues, imparfaites & de peu de cõſequence au regard de ceſte-cy, par le grand fruit que les Lecteurs en pourront tirer à leur deſir. Cet Auteur hantoit les cours des Princes de Barbarie: & fut auec eus en pluſieurs expeditions de nôtre temps: de la vie duquel je toucheray ce que j'en ay peu tirer de perſonnes dignes de foy, qui lont cogneu & hanté à Rome. Ie dis donq qu'eſtant More natif de Grenade, à la conqueſte qu'en feit le Roy Catholic, il s'en fuit en Barbarie auec tous les ſiens: & s'adonna aus lettres Arabeſques en la cité de Fez: ou il compoſa pluſieurs liures d'hiſtoires en icelle langue: qui ne ſont point encore venus en lumiere. Il compoſa auſſi vn Liure de Grammaire, que maitre Iacob Mantin dit auoir pres de ſoy.

Puis courut toute la Barbarie, les Royaumes des Noirs, Arabie, Surie, eſcriuant touſiours ce qu'il voyoit & entendoit. Finablement, durant le regne de Leon. Il fut prins au deſſus de l'Ile de Zerbi par quelques fuſtes de Courſaires, & de là mené à Rome,

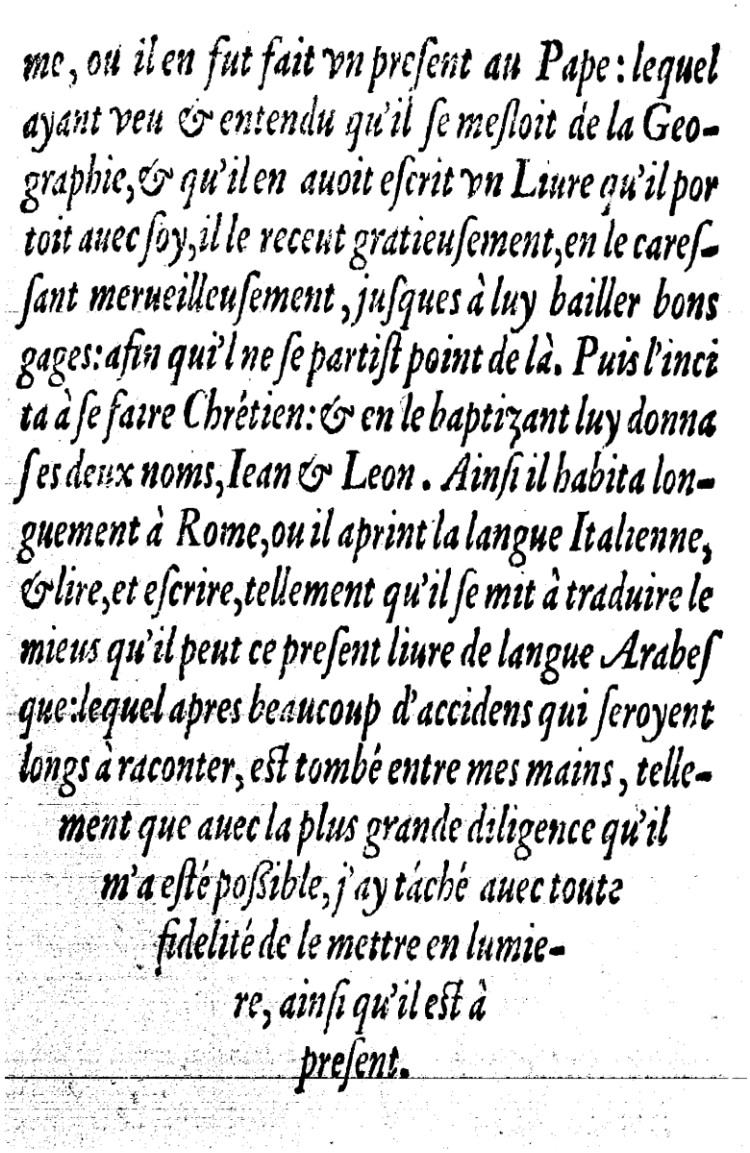

me, ou il en fut fait vn preſent au Pape: lequel ayant veu & entendu qu'il ſe meſloit de la Geographie, & qu'il en auoit eſcrit vn Liure qu'il portoit auec ſoy, il le receut gratieuſement, en le careſſant merueilleuſement, juſques à luy bailler bons gages: afin qu'il ne ſe partiſt point de là. Puis l'incita à ſe faire Chrétien: & en le baptizant luy donna ſes deux noms, Iean & Leon. Ainſi il habita longuement à Rome, ou il aprint la langue Italienne, & lire, et eſcrire, tellement qu'il ſe mit à traduire le mieus qu'il peut ce preſent liure de langue Arabeſque: lequel apres beaucoup d'accidens qui ſeroyent longs à raconter, eſt tombé entre mes mains, tellement que auec la plus grande diligence qu'il m'a eſté poſſible, j'ay táché auec toute fidelité de le mettre en lumiere, ainſi qu'il eſt à preſent.

تحليل:

إنّ الفروق بين النصين واضحة سواء من حيث التنظيم الفضائي الشكلي أو من حيث المضمون. ونستنتج من عدم توقيع إيبولار على هذا الإهداء أنه نقله حرفيا من إهداء المترجم الأول يحي تمبورال، لكنه أعاد كتابته بلغة القرن العشرين. والمقارنة بين النصين تبيّن ذلك بكل وضوح[54]. وهي أربع صفحات يمدح فيها المترجم تمبورال جان باتيست راموزيو، النابغة في علوم الجغرافيا والفلك والطبيعة والفلسفة والطب، الذي حثّه على القيام بهذا العمل.

[54] أنظر ترجمة إيبولار، ص. 13-16.

3.3.2 تحليل المناص في ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر

على غرار ما أوردناه بخصوص المناص الترجمي لكتاب إيبولار، فإنّ النص الموازي الذي وقّع عليه المترجم م.حجّي يميط اللثام عن المشروع الترجمي الجديد. فعلاوة على ممارسة الترجمة " التصالحية" و"الترميمية" لنص إيبولار، يلحّ المترجم حجّي على وجود ترجمة تكاد تكون آنية لترجمته، وأقلّ ما يعاب عليها في نظره هو نقصها العلمي واللغوي الفادح.

3.3.2.1 مقدمة الطبعة الثانية

المقدمة من توقيع محمد حجي، يشير فيها إلى نفاذ الطبعة الأولى واهتمام الناقد الأستاذ محمد بن العربي بعمل المترجمين محمد حجي ومحمد الأخضر وهذا دليل على جودة الترجمة. ثمّ يحاول تعليل عدم إشارته إلى ترجمة سابقة لـ وصف إفريقيا صدرت في المشرق وهي ترجمة عبد الرحمان حميدة. ويزيد المترجم أنّه فوجئ بوجود هذه الأخيرة بمناسبة انعقاد المؤتمر الجغرافي الإسلامي سنة 1979. والغريب أنّ محمد حجي قد اغتنم فرصة حضوره المؤتمر للاطلاع على تلك الترجمة التي لم يقرأ منها سوى بضع صفحات لكن ذلك لم يمنعه من انتقادها انتقادا لاذعا: " وفوجئت في المؤتمر بالكتاب، فأقبلت على قراءته، وتعرفت منذ الصفحات الأولى على حالته المفجعة، بترا وخلطا وقلبا، وعوضا عن البحث الذي هيّئته على الوزان ووزّع على أعضاء المؤتمر خصصت تدخلي في الجلسة العلنية لانتقاد هذه الترجمة انتقادا لاذعا ومهذّبا بحضور الدكتور عبد الرحمان حميدة" (حجي، 1982، ص. 4).

إنّ أهمّ ما نستقيه من هذه المقدمة المقتضبة هو انتاج وصدور الترجمتين في نفس الفترة، وهذا يحملنا إلى **إعادة النظر في دافع إعادة الترجمة بسبب القدم.**

3.3.2.2 مقدمة الطبعة الأولى

تبدأ المقدمة هنا بترجمة جدّ مختصرة لمؤلف الكتاب الأصلي بالإشارة إلى:

– النبوغ المبكّر للحسن الوزان واضطلاعه بمهام سياسية خطيرة في ظرف كان المغرب خلاله يشكو علّة التقسيم إلى مملكتين في الشمال والجنوب، وإمارات مستقلة في الجهات النائية، واحتلال برتغالي–إسباني لعدد من الثغور المغربية على البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي".

– قيام المؤلّف برحلات عديدة في سياق دبلوماسي مكّنته من تدوين مشاهداته في مذكرات شبيهة باليوميات غدت على ما يبدو أساس كتابه الجغرافي (رحلاته إلى المغرب عام 1508–1509، والسودان في 1511، والأطلس الكبير في 1513، وبلاد حاحا في السنة التالية، وسوس في 1515،

والأســـتانة في 1517. وانتقاله في 1520 إلى ليبيا وتونس في طريق الرجوع إلى المغرب الذي أوقعه في أيدي القراصنة.

وبالرجوع إلى خطاب النص ذاته، يقدّم المترجمان حجّي والأخضــر دلائل كثيرة على اســتمرارية إسـلام الحسـن الوزان وثبات عقيدته طوال السـنين الثلاثين التي قضـاها أسـيرا في إيطاليا. وهذا يحملنا إلى الاعتقاد أنّه يردّ ضــمنيا على خطابات معادية لشــخصــية الوزان بســبب "تنصّــره"، ويحاول نزع الشكوك القائمة في أذهان البعض **بتصحيح مسار القراءة.**

وهما يخطوان خطوات المنهج العلمي الموضــوعي، يعرض المترجمان لمحتوى كتاب الوزان مع ذكر مزاياه ومآخذه. وهنا يتبيّن دور المترجم المختص في الإشــارة إلى الأخطاء الواردة في النصــوص الأصـلية ثمّ تصـحيحها بالرجوع إلى منهج المقارنة والاسـتقصـاء. ولم يفتهما البحث في مسـبّبات تلك الهفوات الجغرافية والتاريخية مثل غيبة المصــادر والبعد الزماني والمكاني الذي يفصــل بين صــاحب النص وموضوعات دراسته.

أمّا **العمل في الترجمة،** فخصّـص له المترجمان صـفحتين مسـتقلتين من المقدمة. وأوّل معلومة نقرأها هي اعتماد المترجمان على ترجمة إيبولار مع إشــارة واضــحة إلى **تحوير النص:** " وإذا كنا قد التزمنا بنقل النص الفرنســـي بحذافيره إلى العربية، **فإننا لم نلتزم بترجمة التعليقات لما لنا عليها من ملاحظات... فأهملنا الكثير منها، وأثبتنا بعضــها كاملة أو مختصــرة أو اســتبدلنا بها أخرى متى رأينا ذلك مناسبا، دون أن نشير إلى الاختصار أو الحذف أو الزيادة"** (ص.**21**). ويذكران خاصـة حذفهما للتعليقات على أسـماء المسـاحات والأوزان والمكاييل التي أراد بها المترجم إيبولار تقريب المصـطلحات العربية بالمصطلحات الرومانية. والأهمّ من ذلك إشارتهما إلى:

– تصــحيح الأعلام الجغرافية والتاريخية العربية أو الإفريقية الأصــل التي نقلت نقلا غير سـليم إلى الإيطالية أو اللاتينية أو الفرنســـية، وإثباتها في جســـد النص لا في الهامش (كما هو الحال عند المترجم إيبولار).

– **الاجتهاد في الترجمة** باعتبار الظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية التي ألّف فيها الكتاب: Grenade/ الأندلس؛ Feu / الكانون.

– **الاعتراف بعدم الكمال في الترجمة** وبأنّ النقل عن نقل بعيد عن الأصل جرأة ومخاطرة.

– التأكيد على ضرورة إرجاع الأثر العلمي إلى أصله العربي.

عموما، تسمح كلّ المعلومات الواردة في المقدمة بتقريب القارئ من السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي الذي صدر فيه كتاب الحسن الوزان.

3.3.2.3 ملاحظات الترجمة

نقرأ في مقدمة الطبعة الأولى أنّ المترجمان حجي والأخضـــر لم يلتزما بترجمة تعليقات إيبولار (وثيودور مونو وهانري لوط وهما مســاعدي إيبولار في كتابة وصــف إفريقيا) على نص الوزان أســفل الصفحة:

" وإذا كنا قد التزمنا بنقل النص الفرنســـي بحذافيره إلى العربية، فإننا لم نلتزم بترجمة التعليقات لما لنا عليها من ملاحظات... فأهملنا الكثير منها، وأثبتنا بعضـها كاملة أو مختصـرة أو اسـتبدلنا بها أخرى متى رأينا ذلك مناسبا، دون أن نشير إلى الاختصار أو الحذف أو الزيادة. واجتنبنا التكرار الكثير الموجود في هوامش الترجمة الفرنســـية التي لا تترك كلمة " ميل" تمرّ إلاّ وذكرت يســـاويها من كيلومترات، ولا تاريخا هجريا عند المؤلف إلاّ أوردت موافقه من التاريخ الميلادي " (1978، ص ص. 21 –22). وهذا دليل على اسـتقراء المترجمين لكلّ الأعمال المرجعية الحديثة عن شـخصـية الحسـن الوزان ومؤلفه وصف إفريقيا.

3.3.3 تحليل المناص في ترجمة عبد الرحمان حميدة

3.3.3.1 المقدّمة

ماديا، وقعت هذه المقدّمة في ستّ صفحات ركّز فيها المترجم ع. حميدة على:

- وضـــع الكتاب للمرة الأولى بالعربية (1979) وهذا ينفي في رأينا فكرة وجود نســـخة عربية أصلية من تحرير الحسن بن محمد الوزان الزياتي.
- إعادة توطين الحسـن الوزان في موطنه الأصـلي والتعريف بمؤلفه الرئيس في العالم العربي والإسلامي. وهما الدافعان الرئيسيان لإعادة ترجمة كتاب وصف إفريقيا.
- تاريخ نشر المؤلف الأصلي (1550 م) في البندقية من طرف الناشر راموزيو.
- ظهور الترجمات الأولى (1555 م) واستمرارها إلى غاية القرن التاسع عشر.
- الفرضـيات المتعددة عن المدة التي قضـاها الحسـن الوزان في إيطاليا (من 10 أو 12 سـنة إلى 32 سنة) واحتمال عودته إلى تونس وإلى الدين الإسلامي.
- وفاة الوزان المحتملة في تونس في عهد آخر ملوك بني حفص (1552 م).
- فرضية البعض من الباحثين عن عدم مغادرة الوزان لإيطاليا، وخصوبة حياته العلمية فيها.

- خوضه معارك عديدة في شبابه ضد البرتغاليين مع جيوش بني مرين الوطّاسيين.
- مقته للنصارى المدفوعين بالنزعة الصليبية والأعراب الذين تطوّعوا للحرب في صفوف البرتغاليين ونشروا الفوضى ممّا أدّى لرهن دول المغرب ومهّد السبيل أمام الإسبان والبرتغاليين لانتزاع بقاع عديدة من أقطار المغرب العربي. ولا تزال بعض المواقع مثل مدينتي سبتة ومليلة المغربيتين تحت السيادة الإسبانية إلى يومنا.
- ازدراءه للصوفيين وأصحاب البدع والمشعوذين وآثارهم السلبية على المجتمع.
- **آثار التلاقح الثقافي في كتاب الوزان جعل منه موضوعة للاستقصاء والبحث العلمي.** ما عدا هذه المعلومات التي يطغى عليها الجانب التاريخي، لم نجد في مقدمة ع. حميدة أية إشارة إلى عمله في الترجمة.

3.3.3.2 صورة الغلاف

رسم توضيحي 3

تحليل:

من الجانب الأيقوني، يجمع الغلاف بين شعار يرمز إلى الهيئة المصرية العامة للكتاب، جُعل من الأسفل، نراه بوضوح أكبر في الصورة التوضيحية التالية:

رسم توضيحي 4

كما يضمّ " رسمان تمثيليان" من الأعلى، أوّلهما لمكتبة الأسرة (إلى اليمين)، وثانيهما لسلسلة التراث. أمّا من حيث الرسالة، فالهيئة المصرية العامة للكتاب تعمل تحت وصاية وزارة الثقافة، تهتم بالتأليف والترجمة والنشر. " وتهتم الهيئة اهتماما بالغا بترجمة الأدب العالمي والعلوم والتراث البشري. والغاية من ذلك هي إثراء الفكر العربي، هذا فضلاً عن إصدار الكتب باللغات الأجنبية التي تحمل تعريفاً بمصر وتقدم أروع الترجمات للأدب العربي من خلال سلسة الأدب المعاصر"[55]. وتعدّ سلسلة التراث من ضمن السلاسل العديدة التي تنشرها وهي تعنى بنشر كتب التراث المرتبطة بالتاريخ العربي والإسلامي. ونستنتج من هذا أنّ التوجه التحريري للناشر يكون في الاتجاهين من حيث الترجمة (من وإلى العربية)، وهذا دليل على التفتّح الثقافي.

أمّا الحديث عن الدلالة السيميائية للخط واللون فيحملنا إلى جانب آخر: تقنيا، جاء توظيف خط الثلث العربي بالبنط العريض بالنسبة للعنوان والخط الديواني بالنسبة للسلسلة، مطابقا للمقاييس المعمول بها. إلاّ أنّ هذه العتبة السيمائية ليست مجرد حلية شكلية بل دعامة لمضمون النص وإحالة بصرية لنوعه وهويّته. ورغم قلّة العناصر التشكيلية، فانّ استعمال الخط العربي المتموّج هو إحالة

[55] الموقع الرسمي الإلكتروني لوزارة الثقافة المصرية، والهيئة المصرية العامة للكتاب.

واضحة إلى التراث العربي الإسلامي، وهو يفسّر سبب تصنيف كتاب وصف إفريقيا ضمن سلسلة التراث.

حسّيا، وظّف اللون البنفسجي والأبيض في علاقة تكاملية تناغمية واضحة المعالم. ولئننا نلاحظ هيمنة اللون البنفسجي على الصورة من حيث المساحة المشغولة، فهذا لا يقلّل من أهمية اللون الأبيض الذي كتب به الحرف العربي. ومنه يفتح باب التأويل على مختلف القراءات السيمائية ذات الصلة بمحتوى النصوص، وتتحول الصورة في ذهننا إلى نوع من التكامل الزمني بين العتمة والبياض، والخروج من المجهول إلى المعلوم. وربما كان هذا ما قصده المترجم في مقدمته بإعادة توطين الحسن الوزان ومؤلفه وصف إفريقيا في موطنه الأصلي أي بلاد الإسلام.

3.3.3.3 ملاحظات الترجمة

كان اعتماد المترجم ع.حميدة على ترجمة إيبولار كلّيا، ونقصد أنّه قد استعاد كل تعليقات إيبولار على نص الوزان، وترجمها حرفيا بدون تمييز بين ما هو موضوعي وما هو ذاتي. ونذكر على سبيل المثال تعليقه على ما أورده الوزان بالنسبة لسكان بلاد السودان: " وهذه الأقطار، جميعها، مسكونة بأناس يعيشون كالبهائم بدون ملوك، ولا أمراء، وبدون جمهوريات ولا حكومات ولا تقاليد... بعضهم يعبد الشمس... والأخرون يعبدون النار. وجماعة منهم نصارى على مذهب المصريين". (حميدة، 1979: 533 -534): ونقرأ في تعليق إيبولار أسفل الصفحة:

> « Si cette information a quelque valeur, il aurait existé des Noirs chrétiens monophysites au Soudan oriental » (Epaulard, 1980 : 462).

والتعليق في الترجمة المعادة كما يلي: " إذا كان لهذا الخبر بعض الصحة، فمعنى ذلك أنه كان هناك نصارى زنج من القائلين بطبيعة واحدة للمسيح، في السودان الشرقي. ونتساءل عن سبب استبقاء المترجم حميدة لمثل هذه التعاليق التي تحمل في طياتها معان تضمينية تحيل إلى دونية الزنجي وبربريته، وحتى الملاحظات التي يشكّك فيها إيبولار بعروبة الوزان (1980، ص. 445)، أو بحقيقة انتقاله إلى بعض الأماكن كمدن توقرت وتوزر ونقاوس (1980، ص ص. 363-437). **نستنتج من هذا أنّ المترجم حميدة يمّحي وراء المترجم إيبولار وقلّما نجده يتدخل في حاشية النص للتحقق من صحّة ملاحظاته.**

خلاصة الفصل الثالث

إنّ صدور الترجمتين العربيتين لـــ "وصف إفريقيا" في نفس الفترة تقريبا (1978-1979)، أمر غاية في الأهمية يمكنّنا من إعادة النظر في عنصـــر هام من فرضـــية إعادة الترجمة ألا وهو إعادة الترجمة بسبب قدم الترجمة الأولى. أمّا بالنسبة لمفهوم التمركز العرقي، فنرى أنه وثيق الصلة بالترجمة كممارسة كونية وليس رهين لغة أو أيديولوجية معيّنة.

وربّما كان أهمّ ما توصلنا إليه من خلال الدراسة اللسانية الأسلوبية فهو إضافة ميول جديدة إلى نموذج أنطوان برمان أطلقنا عليها "ميول الترجمة التصحيحية" وهي:

- الاختزال الذي يعود أســاســا إلى ماهية اللغة العربية، وهو تحويل إجباري تفرضــه معايير لغة التلقي. لهذا نكون قد أثبتنا بطلان عنصـــر "التمديد" الذي يعتبره أنطوان برمان ماهية الفعل الترجمي وذلك لاستحالة تعميمه على الترجمة من الفرنسية إلى العربية.
- الإثراء النوعي الدلالي الذي يتجلى من خلال تصحيح الترجمة العكسية للأخطاء التأويلية وأخطاء التهجئة الموجودة في الترجمة المعتمد عليها كأصل.

أمّا تحليل المناص من خلال مقدمة الطبعة الأولى لمحمد حجي ومحمد الأخضـــر فآل بنا إلى إثبات قضايا كثيرة التداول في مجال البحث الترجمي وهي:

- الاعتراف بعدم الكمال والاجتهاد في الترجمة بعد الاستقراء.

- ممارسـة الترجمة التصـحيحية خاصـة بعد التحقيق في الأعلام الجغرافية والتاريخية العربية أو الإفريقية الأصــل التي نقلت نقلا غير سـليم إلى الإيطالية أو اللاتينية أو الفرنسـية، وإثباتها في جسـد النص لا في الهامش.

- الاعتراف بتحوير النص الموازي المتمثل في ملاحظات الترجمة الأولى المعتمدة كأصل.

وبهذا يتبيّن دور المترجم المختص في الإشـارة إلى الأخطاء الواردة في النصـوص الأصـلية ثمّ تصـــحيحها بالرجوع إلى منهج المقارنة والاســتقصـــاء وتبنّي خطوات المنهج العلمي الموضـــوعي في الترجمة.

ويبقى أهمّ ما نسـتقيه من مقدمة الطبعة الثانية، على اقتضـابها، هو صـدور الترجمتين في نفس الفترة تقريبا، وهذا يحملنا إلى إعادة النظر في دافع إعادة الترجمة بسبب القدم.

ونستنتج من الحالات المدروسة أنّ هناك تطور في سياسات النشر تفرضه الظروف التاريخية، وتغير الذوق الأدبي وتطور تكنولوجيات الطباعة المتجددة عبر الزمن. وأنّ التوجه التحريري للناشـــر العربي المعاصـــر يكون في الاتجاهين من حيث الترجمة (من وإلى العربية)، وهذا دليل على التفتّح الثقافي.

خاتمة

نستنتج من مجموع الحالات المدروسة أنّ كلّ ترجمة تقع في حدود المشروع التي جاءت من أجله، وأنّ اختيارات المترجمين تتضح كلّما تمّ تحديد السياق التاريخي الذي أنتجت فيه الترجمات المختلفة. ولا شكّ في أنّ فعل إعادة الترجمة يعكس موقفا انتقاديا بالدرجة الأولى، وأنّ كلّ الترجمات قد اعتمدت إجراء التطويع والتكييف وفق زاوية نظر خاصة وهذا يثبت فكرة ذاتية المترجم ومرئيته.

كما كان استنتاجنا الأولي من التحليل التقابلي للنصوص الأصلية وترجماتها المتعاقبة أنّ نصوص الترجمات المعادة محلّ هذا البحث لا تسري بالضرورة وفق المنهاج الذي افترضه أنطوان برمان، بل أنّها تسري أحيانا عكس فرضية الاكتمال والاقتراب من النص الأصلي بفعل إعادة الترجمة، حيث أنّ طابع "التقليل" فيها يطغى على طابع "التحسين"، وهذا ما استنتجناه خاصة بالنسبة لترجمة بول شارل دومينيك لنص "الرحلة".

كما سبق الوقوف عنده في تحليل مدونتي " الرحلة" و"وصف إفريقيا"، تشكّل العقلنة الميل التحريفي الأكثر شيوعا في الترجمات الفرنسية لـــ «النزهة". تتجسّد العقلنة هنا في التكييف النحوي للنص بإعادة ترتيب الكلمات داخل الجمل وتغيير علامات الوقف. ويترتّب عن هذه الإجراءات الترجمية تحوّلا في الشكل العام للنص العربي.

أمّا الميل إلى التمديد فجاء معتبرا ومتساويا في الترجمتين المتعاقبتين لمخطوط النزهة. وهذا يدلّ على تقارب الخيارات الأسلوبية لدى المترجمين رغم الفارق الزمني الذي يفصلهما. وإذا كان التمديد يترتّب حتما عن الميلين السابقين وهما العقلنة والإيضاح غير الضروري، فيكون أكثر وقعا على الإيقاع الشامل للنص الأصلي ويعكس صورة محرّفة تماما للأسلوب.

أمّا ندرة حالات التنميق في سلسلة الترجمات الفرنسية لمخطوط النزهة فتدلّ على التوازن اللغوي بين اللغتين–الثقافتين في العصر الوسيط حيث لا يظهر منطق تفوّق لغة الترجمة من خلال ما يسميه أنطوان برمان "التمركز العرقي الأوروبي" الذي يفرض سيطرته الفكرية من خلال أنماط معينة من الكتابة يكون التنميق فيها جوهريا.

كما تبيّن لنا من الحالات المدروسة أنّ الإفقار النوعي هو أكثر الميول التحريفية مساسا بالنص الأصلي. فالأخطاء المعجمية والتأويل الخاطئ للمعنى وعدم القدرة على فكّ الرموز الثقافية والتفرقة بين الكلمات المتجانسة، كلّها عوامل من شأنها تفكيك وحدة النص الدلالية التي وحدها تكفل تجاوز صعوبات الترجمة. وما دام إجراء الحذف أو الإغفال معتبرا عند أمديه جويبر، فيمكن اعتباره كلازمة مقصودة أراد منها المترجم تكييف نص الوصول بمعايير الكتابة النثرية الفرنسية.

وكون الميول التحريفية أكثر كثافة في الترجمة الأولى، يحملنا إلى دعم فكرة النقص الفيلولوجي الفادح الذي نسبه المترجمان دوزيه ودي غويج للمترجم الأول لكتاب النزهة أي أمديه جوبير ويكون تبريرا "موضوعيا" لإعادة الترجمة. من جهة أخرى، وخلافا لما لاحظناه في إجراءات الترجمة الأولى لكتاب "الرحلة"، بحوزتنا ما يكفي من الحجج في هذه الحالة لدعم "فرضية إعادة الترجمة" التي تلحّ على النقص الفيلولوجي وهفوات الترجمة الأولى لأيّ عمل أدبي كان. ولجوء الترجمة الثانية إلى مراجعة الترجمة الأولى وتصحيح أخطائها سببا كافيا لتصنيفها ضمن الترجمات المعادة التصحيحية.

لا يمكن اعتبار هدم الإيقاع كميل أساسي في الترجمة، بل نتيجة حتمية لما يسبقه من ميول تحريفية. ومن الواضح أنّ الترجمة التي يكون فيها هدم الإيقاع خاصية ثابتة تراهن كثيرا على الابتعاد عن الأصل. ونعتقد أنّ السبب الرئيسي لإعادة الترجمة في هذه الحالة يكون بدافع الذاتية أي الرغبة في إعادة تشكيل وصياغة المادة الأوّلية، أي تكييف الموضوعة مع تاريخا نية جديدة تأخذ في الاعتبار كلّ المعارف المتراكمة حولها. وهذا النوع من الترجمة لا يحترم وحدة النص (الشكل والمضمون معا) ويفضّل ترجمة المعنى (sens) على ترجمة الدلالية (signifiance). ونستنتج من الحالات المدروسة أنّ هدم الإيقاع من خاصيات ت 3، أي ترجمة محمد حاج صادق، ونتساءل عن دوافع هذا المشروع الترجمي الذي ربما نجد له بعض التفسيرات الموضوعية من خلال تحليل المناص.

أمّا بالنسبة لهدم التنسيقات اللغوية، فيأتي هذا الميل التحريفي نتيجة حتمية للميول السابقة: فالعقلنة والإيضاح والتمديد غير الضروري من شأنها هدم التنسيق اللغوي الذي بني وفقه النص الأصلي. ويظهر هذا الميل من خلال تغيير الطابع الزمني واستبدال الجمل التابعة وتغيير التراكيب النحوية. من هذا المنظور البرماني، نستطيع القول أنّ كلّ الأمثلة المدروسة تندرج في خانة هدم النسق اللغوي الأصلي. وما دام الحال كذلك، لا يمكن اعتبار هذا الميل ميلا أساسيا ويمكن بذلك دمجه ضمن الميول الأولى.

أمّا الميل إلى العقلنة في ترجمة نص "الرحلة"، وهي تبدو جليّا في تحويل التراكيب النحوية العربية سواء بلجوء الترجمة إلى العواطف النسقية أو الروابط المنطقية أو إعادة تقطيع النص بإضافة علامات وقف أخرى (كالنقطة وعلامة التعجب والنقطتان الشارحتان) حيث لا نجد لها أثرا في النص الأصلي، إنمّا أراد بها المترجم إعادة تنسيق الخطاب وتطويعه للمعايير اللغوية والأدبية السائدة في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر. وكأنّ المترجم هنا لم يرد أن يصدم القارئ الفرنسي بـ "صيغ غريبة عنه" من الناحية التركيبية وكأنّه يقرّ عن دون وعي أنّ الجملة العربية في نص ابن بطوطة وابن جزي طويلة جدّا وتفتقد إلى الشكل كما هو مألوف عموما في النثر الفرنسي. والواقع أنّ الكتابة العربية هنا تخضع لميزات الأسلوب الشفاهي: الجمل فيها تسلك مسلك الرواية المسترسلة وتكثر فيها الجمل الاعتراضية الممدودة.

ويتبين من كثرة حالات الإيضاح الذي يستعمل حتى في ترجمة أسماء العلم العربية (الترجمة الأولى)، أنّ اللغة / الثقافة الفرنسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تزل بعيدة عن اللغة العربية وميزاتها الثقافية، وما يدل على ذلك البعد توضيحها بين قوسين لمعاني أسماء العلم الشخصية أو أسماء الأماكن الجغرافية، من مدن وغيرها بلجوئها إلى مكافئات رومانية قديمة.

ونستنتج من الحالات قيد الدراسة أنّ نسب الميل إلى التمديد متفاوتة بين الترجمة الأولى والثانية، مع ميل أكبر إلى الاختزال في ت 2. جاءت الترجمة (خاصة ت 1) أطول من الأصل بكثير بنسبة تفوق الضعف، وهذا راجع للميلين السابقين، فالعقلنة والتوضيح غير الضروري يؤديان حتما إلى تمديد وبسط العناصر التي جاءت مختزلة في النص الأصلي. وكون الترجمة الفرنسية أطول من الأصل العربي يعود سببه كذلك إلى خصوصيات التركيبة النحوية الفرنسية التي لا تملك قدرة اللغة العربية على الاختزال. كما نسجّل هنا ميلا أكبر إلى التمديد ممّا سجّلناه في المدونة الأولى (النزهة).

أمّا ندرة حالات التنميق في الترجمتين الفرنسيتين للرحلة فتحملنا إلى إثبات استمرارية الإشعاع اللغوي والثقافي المتميّز خلال القرن الرابع عشر والاعتراف الصريح لمكانة النثر والشعر في بلاد المغرب رغم بداية أفول نجم الحضارة الإسلامية بعد سقوط دولة الموحدين في شمال إفريقيا وتقلّص ظلّ الإسلام في الأندلس.

من جهته، يكتسي الإفقار الكمي صفة الشمولية في ترجمة بول شارل دومينيك (ت 2): ويشكّل الحذف الميل التحريفي الرئيسي في هذه الترجمة. تمكنت المترجمة في هذه الحالة من حذف معظم العناصر التناصية من شعر وتعقيب على الأحداث وبعض الطرائف والحكايات دون إعادة صياغة باقي النص. وكان هذا ممكنا بسبب بنية نص الرحلة: فتدخلات ابن جزي جاءت منفصلة عن تدخلات ابن بطوطة، الراوي المشارك في الأحداث بعبارة " رجع"، ممّا جعل التلخيص سهلا ولم يستلزم من المقتبسة إعادة الصياغة للحفاظ على انسجام النص.

وهذه العيّنة تثبت أنّ المسار المتّبع في ترجمة نص الرحلة **يتناقض تماما مع فرضية إعادة الترجمة التي تدعم مبدأ " الكمال" بفعل إعادة الترجمة:** فبالرغم من مرور الزمن لم يتحصل القرّاء الجدد سوى على نص محوّر في وظيفته وبنيته الأصلية.

وما دام التصرف يتصدر الكتابة المعادة كإجراء عام، وبما أن برمان لم يتطرق إلى موضوع التصرف في الترجمة والاستراتيجيات الترجمية المترتبة عنه، رأينا أنه يمكن **تعميم صفة الإفقار الكمي على كل ترجمة متصرّف فيها.**

هذا ويترتّب عن هدم النسق اللغوية (الناجم عن إعادة التركيبة النحوية والفصل بين الجمل بتوظيف نظام جديد لعلامات الوقف)، انقطاعا في تسلسل المعنى، وهدما للدينامية التي تربط الجمل

ببعضـها البعض واسـتحداثا لإيقاع جديد يتعدّى حدود النغمية. ويعني هذا أنّ وحدة الترجمة تتعدى في هذه الحالة حدود الجملة وأنّ المعنى لن يكتمل إلاّ بربط التركيبة النحوية بالعناصـــر الأســـلوبية التي تكون فيها علامات الوقف وحدات دلالية قائمة بذاتها.

تشـكّل ترجمة الشـعر في نص الرحلة حالة خاصـة يمكن من خلالها تبيان اسـتحالة الترجمة من الناحية التقنية أو الشـكلية. وبما أنّ تقنية السـجع خاصـية أسـلوبية ثابتة في نص الرحلة، وأنّ الترجمة لم تتمكن من ترجمته، فهذا دليل على كبر المسـافة بين اللغتين–الثقافتين العربية والفرنسـية كما أسـلفناه في عمل سـابق[56]. وما هدم الإيقاع هنا سوى نتيجة حتمية لما تراكمت فيه من ميول تحريفية أساسية: العقلنة والإيضـاح والتمديد واسـتحالة ترجمة السـجع والقافية، وهو يصـبح بذلك خاصـية من خصـائص تغيير الأسلوب وإعادة الكتابة في الترجمة الأولى.

أمّا بخصـوص مدونة "وصـف إفريقيا"، فنعتبر صـدور الترجمتين العربيتين في نفس الفترة تقريبا (1978–1979)، أمرا غاية في الأهمية يمكنّنا من إعادة النظر في عنصـــر هام من فرضـــية إعادة الترجمة ألا وهو إعادة الترجمة بسـبب قدم الترجمة الأولى. أمّا بالنسـبة لمفهوم التمركز العرقي، فنرى أنه وثيق الصلة بالترجمة كممارسة كونية وليس رهين لغة أو أيديولوجية معيّنة.

وربّما كان أهمّ ما توصـلنا إليه من خلال الدراسـة اللسـانية الأسـلوبية لنص " وصـف إفريقيا" هو **إضافة ميول جديدة إلى نموذج أنطوان برمان** أطلقنا عليها "**ميول الترجمة التصحيحية**" وهي:

- **الاختزال** الذي يعود أسـاسـا إلى ماهية اللغة العربية، وهو تحويل إجباري تفرضـه معايير لغة التلقي. لهذا نكون قد أثبتنا بطلان عنصـــر "التمديد" الذي يعتبره أنطوان برمان ماهية الفعل الترجمي وذلك لاستحالة تعميمه على الترجمة من الفرنسية إلى العربية.
- **الإثراء النوعي الدلالي** الذي يتجلى من خلال تصـحيح الترجمة العكسية للأخطاء التأويلية وأخطاء التهجئة الموجودة في الترجمة المعتمد عليها كأصل.

من جهتها، ســـمحت لنا الدراســـة التحليلية للمناص الترجمي في كتاب الرحلة، بتحديد ظروف الكتابة الأولى، أي ظروف إنتاج مخطوط "تحفة النظار في غرائب الأمصـار وعجائب الأسـفار". فأهمّ شـيء استقيناه من النص المحيط النشري هو الإحاطة بالخلفية التاريخية لبلاد الإسـلام في القرن الرابع عشـر، وهو كذلك القرن الذي شـهدت فيه ضـربا من "الحداثة" الاقتصـادية والاجتماعية والتكنولوجية،

[56] ليندا توشـــي– بن منصـــور، الشـــعر الشـــفاهي في الطقوس الاحتفالية : من تماهق إلى العربية والفرنســـية، مذكرة ماجستير، 2007.

رغم بداية أفول النجم على الصعيد السياسي. وهذا العنصر المناصي يحمل القارئ على تصوّر مدى التطور الثقافي الذي وصلت إليه بلاد المغرب في القرن الثامن للهجرة.

أمّا التحوير الذي مسّ العنونة باستحداث نسق ذاتي فيزيد من سعة الفجوة بين النص الأصلي والنص المترجم. لكنه يتوافق تماما مع دفتر شروط دار النشر باعتبارها الآمر الرسمي بالعمل ومنتجه في آن واحد.

أمّا تحليل المناص من خلال مقدمة الطبعة الأولى لمحمد حجي ومحمد الأخضر فآل بنا إلى إثبات قضايا كثيرة التداول في مجال البحث الترجمي وهي:

- الاعتراف بعدم الكمال والاجتهاد في الترجمة بعد الاستقراء.

- ممارسة الترجمة التصحيحية خاصة بعد التحقيق في الأعلام الجغرافية والتاريخية العربية أو الإفريقية الأصل التي نقلت نقلا غير سليم إلى الإيطالية أو اللاتينية أو الفرنسية، وإثباتها في جسد النص لا في الهامش.

- الاعتراف بتحوير النص الموازي المتمثل في ملاحظات الترجمة الأولى المعتمدة كأصل.

وبهذا يتبيّن دور المترجم المختص في الإشارة إلى الأخطاء الواردة في النصوص الأصلية ثمّ تصحيحها بالرجوع إلى منهج المقارنة والاستقصاء وتبنّي خطوات المنهج العلمي الموضوعي في الترجمة.

ويبقى أهمّ ما نستقيه من مقدمة الطبعة الثانية، على اقتضابها، هو صدور الترجمتين في نفس الفترة تقريبا، وهذا يحملنا إلى إعادة النظر في دافع إعادة الترجمة بسبب القدم.

ونستنتج من الحالات المدروسة أنّ هناك تطور في سياسات النشر تفرضه الظروف التاريخية، وتغير الذوق الأدبي وتطور تكنولوجيات الطباعة المتجددة عبر الزمن. وأنّ التوجه التحريري للناشر العربي المعاصر يكون في الاتجاهين من حيث الترجمة (من وإلى العربية)، وهذا دليل على التفتّح الثقافي.

ملخّص :

إنّ ظاهرة إعادة الترجمة من الظواهر المنتشرة من حيث الممارسة، غير أنّ دوافعها تبقى مجهولة نسبيا. ونجد إحدى تبريراتها الهامة في أعمال أنطوان بيرمان الذي يدّعي أنّ الترجمة الأولى لن تكون إلاّ "عشـــواء ومتردّدة" بينما إعادة الترجمة وحدها تضـــمن " انكشـــاف" العمل الأجنبي ذاته (كأجنبي) في الثقافة المتلقية". وهذه الحركية الخطية التي تنطلق من نقص الترجمة الأولى وسعي الترجمات اللاحقة إلى الاكتمال، دعّمتها فرضية إعادة الترجمة التي ترى أنّ " الترجمات اللاحقة تميل إلى الاقتراب من النص الأصـــلي". وتكون الغاية الأساسية من أطروحتنا هي انتقاد هذه الفرضية انطلاقا من دراسة تطبيقية على مدوّنة تشتمل على بعض المصادر العربية الهامّة (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق؛ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار؛ وصف إفريقيا) وترجماتها الفرنسية.

Résumé :

Le phénomène de la retraduction est un phénomène répandu dans la pratique, mais ses motivations restent relativement méconnues. On trouve une de ses justifications importantes dans les travaux d'Antoine Berman qui prétend que la première traduction ne sera que « aléatoire et hésitante », alors que la retraduction seule garantit « l'exposition » de l'œuvre étrangère elle-même (en tant qu'étrangère) dans la culture réceptrice». Ce mouvement linéaire qui découle de la défaillance de la première traduction et la tentative des traductions successives à l'accomplissement, est soutenu par l'hypothèse de la retraduction qui considère que « les traductions ultérieures ont tendance à être plus proches du texte original ». L'objectif premier de cette thèse sera de démontrer le degré de confronter cette hypothèse à trois sources arabes notoires « la Nuzhat d'Idrîsî, la Rihla d'Ibn Battûta, la Description de l'Afrique d-Al Hacen al-Wazzân al-Fâsî » et leurs traductions françaises.

قائمة المراجع

* **العناوين العربية**

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. (1968). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. (سنجويناتي وديفريميري، مترجم). منشورات أنتروبوس. (ط 2).

ابن خلدون، عبد الرحمان. (1886). العبر وديوان المبتدأ والخبر تاريخ ابن خلدون. كتب التراث.

أحمد رمضان، أحمد. (د. ت) الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي.

إدريسي، أبو عبد الله الشريف. (1968). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. (دوزيه وديغويج، مترجم). ليدن ج. بريل (ط 2).

بلعابد، عبد الحق. (2005). قصد رفع قلق المصطلح النقدي. *مجلة علامات في النقد*، مج 58 (عدد 15). 177-200.

بلعابد، عبد الحق. (2007). مكونات المنجز الروائي (تطبيق شبكة القراءة على روايات محمد برادة) [أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2]

تازي، عبد الهادي. (1997). تحقيق في رحلة ابن بطوطة (4 مج). أكاديمية المملكة المغربية.

توشي-بن منصور، ليندا. (2007) الشعر الشفاهي في الطقوس الاحتفالية: من تماهق إلى العربية والفرنسية [مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2.

جيل، دانييل. (2008). مبادئ في علم الترجمة. (محمد أحمد طجو، مترجم). *مجلة الآداب العالمية*، العدد 135، 13-42.

جينيت، جيرار. (2008). عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص). (عبد الحق بلعابد، مترجم). منشورات الاختلاف (الكتاب الأصلي نشر سنة 1987).

حداوي، الطائع. (2010). الخبر والخطاب في رحلة ابن بطوطة. في وقائع المؤتمر الدولي الأول، الدوحة.

حسن، زكي محمد. (1981). الرحالة المسلمون في العصور الوسطى. دار الرائد العربي.

حمداوي، جميل. (2014). شعرية النص الموازي. جامع الكتب الإسلامية.

حميدة، عبد الرحمان. (2008). أعلام الجغرافيين العرب. دار الفكر.

رمضان، أحمد. (1945). الرحلة والرحالة المسلمون في العصور الوسطى. دار الرائد العربي.

روبنسون، دوغلاس. (2009). الترجمة والإمبراطورية: الدراسات ما بعد الكولونيالية، دراسات الترجمة. (ثائر ديب، مترجم). *مجلة نزوى* (العدد 45).

ريكور، بول. (2008). "عن الترجمة". (حسين خمري، مترجم). منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون.

سعيد، إدوار. (1984). الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء. (كمال أبو ديب، مترجم). مؤسسة الأبحاث العربية. (ط 2).

عدواني، معجب. (2003). تشكيل المكان وظلال العتبات. النادي الأدبي الثقافي.

عفيفي، محمد الصادق. (1986). تطور الفكر العلمي عند المسلمين. مكتبة الخانجي.

قاسمي، علي. (2009). في إعادة ترجمة الأعمال الأدبية المترجمة. الفصل الثامن (الترجمة وأدواتها: دراسات في النظرية والتطبيق). مكتبة لبنان ناشرون.

قفصي، فوزية. (2013). شعرية الوصف في أدب الرحلة، رحلة ابن بطوطة أنموذجا. *التواصل في اللغات والآداب*، مج 20 (1)، 155-168.

لدميرال، جان رونيه. (2012). التنظير في الترجمة. (محمد جدير، مترجم). المنظمة العربية للترجمة.

لوفيفر، اندريه. (1992). الترجمة وإعادة الكتابة والتحكم في السمعة الأدبية. (فلاح رحيم، مترجم)، دار الكتاب الجديد.

لولوال، جواكيم. (1832). جغرافيا العصور الوسطى، تحليل وصف إفريقيا.

مرتاض، عبد المالك. (1980). فن المقامات في الأدب العربي. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

مصري، ابن أبي الأصبع. (1963). تحرير التحبير. مطابع الإعلانات الشرفية.

مفتاح، محمد. (1999). المفاهيم معالم (نحو تأويل واقعي). المركز الثقافي العربي.

مؤنس، حسين. (1980). ابن بطوطة ورحلاته. تحقيق ودراسة وتحليل. دار المعارف.

وزان، الحسن بن محمد الفاسي. (1979). وصف إفريقيا. (عبد الرحمان حميدة، مترجم). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وزان، الحسن بن محمد الفاسي. (1983). وصف إفريقيا. (محمد حجي ومحمد الأخضر، مترجم). منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر–دار الغرب الإسلامي. (ط 2)

- **العناوين الفرنسية+**

Africain (L'), J.- L. (1956). *Description de l'Afrique*. (A. Épaulard, traducteur) (Œuvre originale publiée en 1550). Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien-Maisonneuve.

Baduel, P.- R. (1994). *Voyageurs arabes. Ibn Fadlân, Ibn Jubayr, Ibn Battûta et un auteur anonyme*. (Paule Charles-Dominique, traductrice). Dans revue du monde musulman et de la Méditerranée, v.72, (n°1), p.125-128.

Balacescu, I. et Stefanink, B. (2003). Modèles explicatifs de la créativité en traduction ». *Meta*, vol.48 (n°4), 509-525. https://id.erudit.org/iderudit/008723ar

Balacescu, I. et Stefanink, B. (2005). Défense et illustration de l'approche herméneutique en traduction. *Meta*, 50(2), 634–642. https://doi.org/10.7202/011007ar

Ballard, M. (2006). *Qu'est-ce que la traductologie ?* Artois Presses Université.

Ballard, M. (2007). Eléments pour une méthodologie réaliste en traductologie. In *Nikolay Garbovsky* (Ed.), Science of Translation Today (Proceedings of the International Conference, 1-3 Oct. 2007). Moscow University Press. 47-60.

Bassnett, S., Lefevere, A. (1990). Introduction: Proust's Grandmother and the Thousand and One Nights: The « Cultural Turn » in translation Studies ». *Translation, History and Culture*, 12.

Belle, M.A. (2007). Sur la retraduction de Virgile en Angleterre au XIIè siècle : les enjeux politiques et esthétiques de l'Enéide de John Ogilby (1654). *Etudes Epistémè*, n°12, 49- 82.

Benhamou, A.F. (1990). Quel langage pour le théâtre ? A propos de quelques traductions d'Otthelo. *Palimpsestes*, n°4, *Retraduire*, Publications de la Sorbonne nouvelle, 9-31.

Bensimon, P. (1990). Présentation, Retraduire. *Palimpsestes*, 4, Publications de la Sorbonne Nouvelle, 9-13

Berman, A. (1982). La traduction des œuvres latino-américaines. Dans *Lendemains*, 41.

Berman, A. (1985) La traduction comme épreuve de l'étranger. Dans *Texte*, numéro spécial, 72-73.

Berman, A. (1985). La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain. Dans *Les tours de Babel, Mauvezin*, 35-150.

Berman, A. (1986). L'essence platonicienne de la traduction. *Esthétique*, n°12, 63-76.

Berman, A. (1990). La retraduction comme espace de la traduction. *Palimpsestes*, n°4, Publications de la Sorbonne nouvelle. 1-7.

Berque, J. (1949) Ville et université. Aperçu sur l'histoire de l'Ecole de Fès. *Histoire et Droit Français et étranger*, 78.

Boisseau, M. (2005). Présentation. Dans Traduire la figure de style. *Palimpsestes.* http://journals.openedition.org/palimpsestes/776 ; DOI :

Boucharb, A. (2009). La conquête ibérique du littoral marocain d'après la Description. Dans F. Pouillon et al. (Eds). Léon l'Africain. *Khartala*, 67-81.

Bresc, H., Nef., (1999). *Nuzhat al-Muštāq d'al-Idrīsī*, version révisée de celle de Jaubert, 1836-1840. *Flammarion*.

Brisset, A. (1999). Malaise dans la traduction. Pour une éthique de la réciprocité. Texte : L'altérité (Dir. Janet Paterson), n^{os} 23-24, 321-356.

Brownlie, S. (2006). Narrative Theory and Retranslation Theory. *Across Languages and Cultures,* 7(2), 145-170.

Chaib, N. (2015). *La manipulation idéologique dans l'édition et deux traductions de la Description de l'Afrique de Hassan El Wazzan/ Jean Léon l'Africain.* [Mémoire de maîtrise, Université de Montréal]. https://papyrus.bib.umontreal.ca

Charles-Dominique, P. (1995). *Voyageurs arabes, Ibn Fadlan, Ibn Jubayr, Ibn Battuta et un auteur anonyme.* Gallimard.

Chesterman, A. (2000). A causal model for translation studies. In: Maeve Olahan, ed. *Intercultural Faultlines*: *Research Models in Translation Studies I: Textual and Cognitive Aspects*. Manchester: St. Jerome, 15-27.

Chesterman, A. (2004). Hypotheses about translation universals, in Hansen, G., Malmakjaer, K. and Gile, D. (Eds). *Claims, Changes and Challenges in Translation Studies*. Editions Benjamins.

Chevrel, Y. (2010). Introduction. Dans *La Retraduction* (Dir.R.Kahn et C.Seth). Publication des Universités de Rouen et du Havre, 11-16.

Collombat, I. (2003). Traduire ou ne pas traduire : Fleuve profond, sombre rivière de Marguerite Yourcenar. Dans *GRAI*, n° 6, 4/, 60-75.

Collombat, I. (2004). Le XXIe siècle : l'âge de la retraduction ». *Translation Studies in the New Millenium.* Bilkent University, 2004, 2. Hal-01452331

Daoud-Brikci, H. (1996). Présence et absence de la Description de l'Afrique de Léon l'Africain dans sa traduction. *TTR*, 9 (2), 13-46. DOI : 10.7202/037257ar.

Defremery, C., Sanguinetti, B.R. (1968). *Voyages d'Ibn Battûta* (vol.1-4) Editions Anthropos. (Première édition 1854-1868).

Derrida, J. (1967). *De la Grammatologie*. Editions de Minuit.

Derrida, J (1972). *La dissémination*. Editions Du seuil.

Douchet, S. (2004). Les Yles d'Ynde ou le temps des hommes (Marco Polo-Ibn Battûta). Dans *Médiévales* (n°47).

Dozy, R., De Goeje, M.J. (1968). *Description de l'Afrique et de l'Espagne par Edrîsî.* (Texte arabe publié pour la première fois d'après les manuscrits

de Paris et d'Oxford avec une traduction, des notes et un glossaire). Leiden E.J. Brill (œuvre originale publiée en 1592).

Ducène, J.-C. (2010). *L'Afrique dans le Uns al-Mushtağ wa Rawđ al-Furağ d'al Idrīsī*. Edition, traduction et commentaire, Louvain, Peeters.

Duchet, C. (1973). La Fille abandonnée et la Bête humaine, éléments de titrologie romanesque. Dans *Littérature* (nº 12).

Dunour, M. (1995). Retranslation of Children's Books as Evidence of Changes of Norms, in *Target* (vol.7: 2, 327-346)

Foz, C. (2003). (Re) traduction (s), (Re) présentation (s) : Première et dernière sortie du Quijote en français. Online ISSN : 2175-7968

Gadamer, H-G. (1996). *Vérité et méthode*. Paris, Seuil.

Gambier, Y. (1994). La retraduction, retour et détour. *Meta*, XXXIX, 413-417.

Genette, G. (1982), *Palimpsestes, la littérature au second degré*. Editions Du Seuil.

Genette, G. (1987). *Seuils*. Ed. Du Seuil, Paris.

Genette, G. (1987). *Seuils, chapitre II, Le paratexte : escorte et signifiance*. Ed. Du Seuil, p.7.

Gentzler, E. (1993). *Contemporary Translation Theories*. New York, Routleddge.

Gohard-Radenkovic, A. (2004). Altérité et identités dans les littératures de langue française. Le français dans le monde. Recherches et applications, CLE International, 6-13.

Gile, D. (2005). *La traduction. La comprendre, l'apprendre*. PUF, 278 pages.

Goethe, W.von (1992). Translations, in Shulte, R.and Biguenet, J. (eds) *Theories of translation: An anthology of essays from Dryden to Derrida*. University of Chicago Press.

Hadj- Sadok, M. (1983). *Al-idrisi, le Maghrib au 6ème siècle de l'hégire (12ème siècle après J-C)*, texte établi et traduit en français d'après nuzhat al mustaq. Coédition OPU-Publisud.

Hoek, L.H (1981). *La marque du titre : dispositifs sémiotiques d'une pratique textuelle*. De Gruyter Mouton.

https://revistas.pucsp.br/index.php/delta/article/view/38344

Jacquemond, R. (1994). Traductions croisées Egypte-France : un échange inégal. TransLittérature, (n°7), 2-13

Janvier, Y. (1982). *La géographie d'Orose*. Paris, Société d'édition Les Belles Lettres.

Jaubert, A. (1975). *La géographie d'Edrisi*, traduite de l'arabe et accompagnée de notes explicatives et philologiques. Éditions Philo, Amsterdam. (Première édition, Imprimerie Royale, Paris, 1863-40).

Kujamäki, P. (2001). Finish comet in German skies: Translation, retranslation and norms". *Target* 13 (1) : 45–70.

Lane, P. (1992). *La périphérie du texte*. Ed. Nathan, Paris, p.9.

Laplantine, F., Nous, A. (1997). *Le Métissage*. Paris, Flammarion, 85.

Larose, R. (1989). L'erreur en traduction. TTR, vol.2, (n°2), 10.

Lefevere, A; Bassnett, S (1990). Introduction: Proust's Grandmother and the Thousand and One Nights: The « Cultural Turn » in translation Studies », in *Translation, History and Culture*, p.12

Maalof, A. (1998). *Léon l'Africain*, Casbah Editions.

Martin-Baltar, M. (1979). *L'écrit et les écrits, problèmes d'analyse et considérations didactiques,* Ed. Hatier, Paris, 41.

Massignon, J.L (1906). *Le Maroc dans les premières années du XVI^e siècle, Tableau géographique d'après Léon l'Africain*. Mémoires de la Société Historique Algérienne, I.

Mason, I. (2009). Research Training in Translation Studies, The Interpreter and Translator Trainer, vol. 3, (no. 1), 1-12.

Merlin, A. (1957). Notice sur la vie et les travaux de M.William Marçais, membre de l'académie. Comptes rendus des séances de l'académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 101 (4), 402-411.

Micheau, F. (1987). Ibn Baṭṭūta à Constantinople la Grande, in : Médiévales, (N°12), 55-65.

Milton, J. (2018). *Monteiro Lobato and translation. Retraduire* (n°4), Publications de la Sorbonne nouvelle, 45-61.

Nef, A. (2010). *Al-Idrīsī : un complément d'enquête biographique*. Dans *Géographes et voyageurs au Moyen Age (Dir.* H. Bresc et E.Tixier Du Mesnil). Presses universitaires de Nanterre, 53-66.

Neuve-Eglise, A. (2006). Les traductions françaises du Coran, de l'orientalisme à une lecture plus musulmane ». La Revue de Téhéran, n°11, 2006.

Patte, D et A. (1978). *Pour une exégèse structurale*. Paris, Editions du Seuil.

Peslier, J. (2010). Penser la Retraduction. Dans *Acta*, accessible sur www.fabula.org. Consulté le 17/11/2011

Pym, A. (1998). *Method in Translation Theory, Manchester, St Jérôme*, in Enrico Monti and Peter Schnyder. *Autour de la retraduction : Perspectives littéraires européennes.* 82-83.

Ricoeur, P. (2004). *Sur la traduction*, Paris, Bayard.

Rissoan, B. (2013). *Jean Temporal, libraire de la Renaissance lyonnaise (1549 -1571)*. [Mémoire de master, Université de Lyon].

Rodriguez, L. (1990). Sous le signe de Mercure, la retraduction. *Palimpsestes* (n°4), Retraduire, Publications de la Sorbonne nouvelle. 63-80.

Rosenberger, B. (2009). *Une carrière politique au service du sultan de Fès*. Dans F.Pouillon et al. (Eds). Léon l'Africain. Paris, Khartala, pp.31-65.

Susam-Sarajeva, Ş. (2006). *Theories on the Move: Translation's Role in the Travels of Literary Theories.* Amsterdam/New York, 241pp.

Sakkal, A. (2014). La représentation du héros des Maqāmāt d'al-Ḥarīrī dans les trois premiers manuscrits illustrés (XIIIe siècle). 79-102.

https://doi.org/10.4000/anisl.3080
Sardin, P. (2007). De la note du traducteur comme commentaire : entre texte, paratexte et prétexte ». Palimpsestes, (En ligne), 20/2007, mis en ligne le 01 septembre 2009, Consulté le 31/08/2010, accessible sur palimpsestes.revues.org/99, pp.121-136
Schleirmacher, F. (1963). *Des différentes méthodes de traduire*, Paris, Seuil.
Seignobos, R. (2011). L'île de Bilaq dans le Kitab Nuzhat al-Muštāq d'al-Idrīsī (XIIe siècle) », accessible sur http://afriques.revues.org/807
Siraj, A. (1994). L'image de la Tingitane, historiographie arabe médiévale et antiquité maghrébine. Dans Les Cahiers du Centre de Recherches Historiques [En ligne], 13/1994, Enquêtes, Thèses.
Skibińska, E. (2000). La retraduction, manifestation de la subjectivité du traducteur. Doletiana, revista de traducció literatura i arts, http : //webs2002.uab.es/doletiana/Catala/Doletiana1/Doletiana1.html, 12.10.2010, pp.1-10
Steiner, G. (1978) : « Comprendre, c'est traduire » in Après Babel. Une poétique du dire et de la traduction, Paris, Albin Michel.
Tahir Gürçağlar, Ş. (2002). What Texts Don't Tell: The Use of Paratexts in Translation Research. In Crosscultural Transgressions. Research Models in Translation Studies II: Historical and Ideological Issues, Theo Hermans (ed.), 44–60. Manchester : St. Jerome.
Todorov, T. (1981). *Mikhaïl Bakhtine : Le principe dialogique*. *Suivi de : Ecrits du cercle de Bakhtine*, Paris, Seuils, p.89.
Topia A. (1990). Finnegans Wake : la traduction parasitée. *Palimpsestes*, p. 45-61.https://doi.org/10.4000/palimpsestes.602
Touchi-Benmansour, L. (2012). La note du traducteur dans les retraductions du Coran », RIELMA, n°5, p.328-343
Troupeau, G. (sans date). *La géographie d'Edrisi*.
Venuti, L. (1995). *The translator's Invisibility. A History of Translation*. London, Routledge, ch.2, I, p.43-65.
Venuti, L. (2003). *Retranslations: the creation of value*. Bucknell Review, vol.47, p.26-27
Wilhelm, J. E. (2004) Herméneutique et traduction : la question de « l'appropriation » ou le rapport du « propre » à « l'étranger », Méta, vol 49, n° 4, 2004, p. 768-776.URL http://id.erudit.org/iderudit/009780ar
Yérasimos, S. (1982). *Ibn Battûta, Voyages*. Paris, Ed. La Découverte.
Zemon Davis, N. (2007). *Léon l'Africain, Un voyageur entre deux mondes*, traduit de l'anglais États-Unis par Dominique Peters, Payot, 2007, 456 p.
Zhiri, O. (1989). Jean- Léon l'Africain, une œuvre et son lieu. Nouvelle Revue du Seizième Siècle, pp.53-62.
Zhiri, O. (1991). *L'Afrique au miroir de l'Europe : fortunes de Jean-Léon l'Africain à la Renaissance*. Genève, Droz.

Zhiri, O. (1995). *Les sillages de Jean-Léon l'Africain du XVIe au XXe siècle*. Casablanca, Wallada.

Zhiri, O. (2001). *Leo Africanus Translated and Betrayed*. In Renate Blumenfeld-Kosinski: *The Politics of Translation in the Middle Ages and the Renaissance.* University of Ottawa Press.

Zhiri, O. (2003). Léon l'Africain. Actes du Colloque Léon l'Africain, Paris.

Zhiri, O. (2006). *Leo Africanus and the Limits of Translation*. Dans C. DI Biase (ed). *Travel and Translation in the Early Modern Period*. Amsterdam, Rodopi.

Zhiri, O. (2009). Lecteur d'Ibn Khaldoun. Le drame de la décadence. Dans F.Pouillon et al. (Eds). Léon l'Africain. Paris, Khartala. 211-236.

Zhiri, O. (2012). *Voyages d'Orient et d'Occident. Jean- Léon l'Africain et ahmed al-Hadjarî dans la littérature de voyage*. Arborescences : revue d'études françaises.

ملحق الصور

صورة لمخطوط نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي (القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي)

Copyright © King Saud University

Source Gallica/ King Saudi University

صورة غلاف ترجمة ديفريميري وسنجويناتي (1854، ط.1 ج 1)

SOCIÉTÉ ASIATIQUE.

VOYAGES

D'IBN BATOUTAH,

TEXTE ARABE, ACCOMPAGNÉ D'UNE TRADUCTION

PAR

C. DEFRÉMERY ET LE Dr B. R. SANGUINETTI.

TOME PREMIER.

PARIS.

IMPRIMÉ PAR AUTORISATION DE L'EMPEREUR.

A L'IMPRIMERIE IMPÉRIALE.

M DCCC LIII.

Source gallica.bnf.fr

صورة غلاف ترجمة ديفريميري وسنجويناتي (1968، ط. جديدة : ج 1)

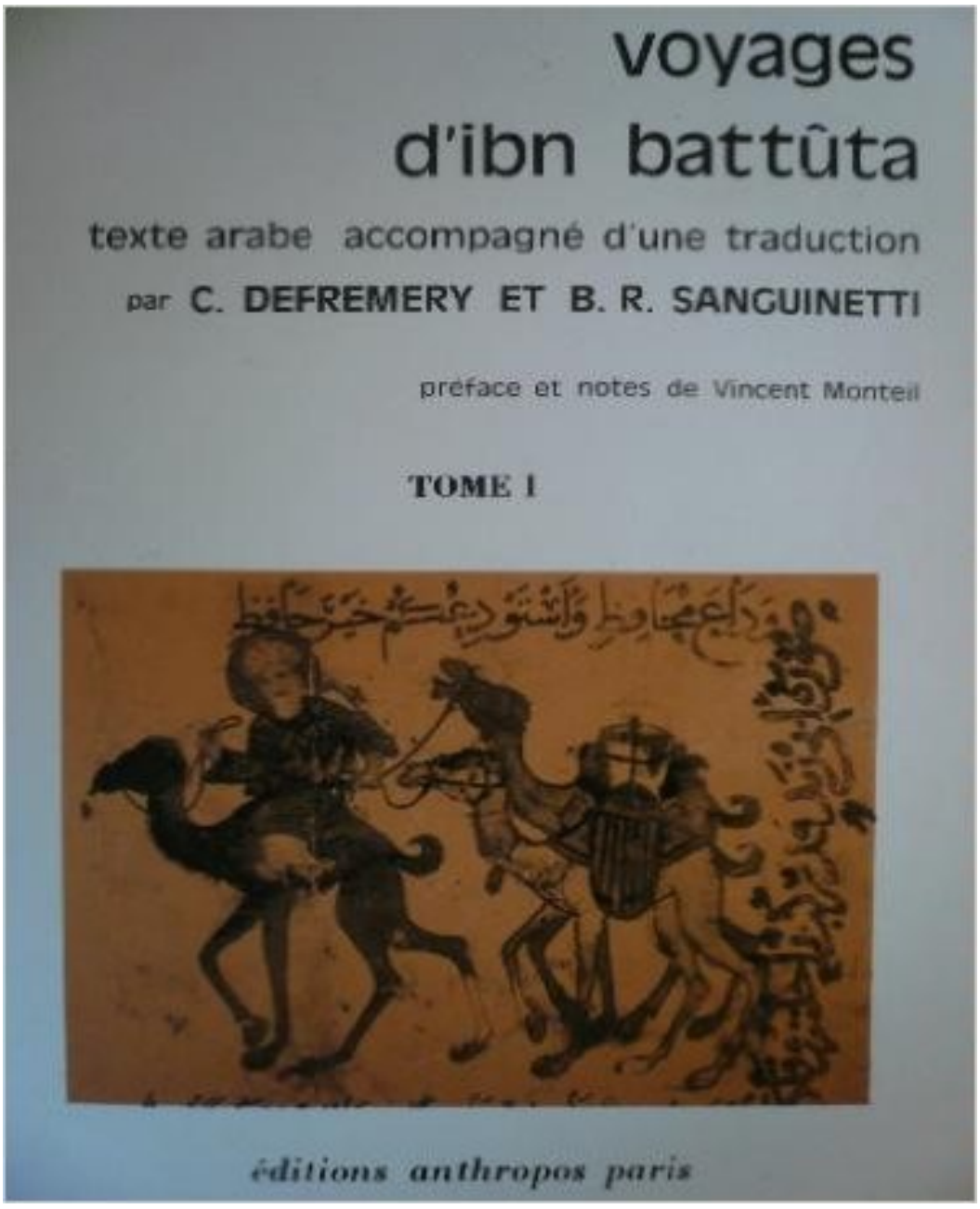

Photo numérisée/ bibliothèque du CRAPE

صورة الصفحة الأولى، ترجمة ديفريميري وسنجويناتي (1968، ط. جديدة: ج 1)

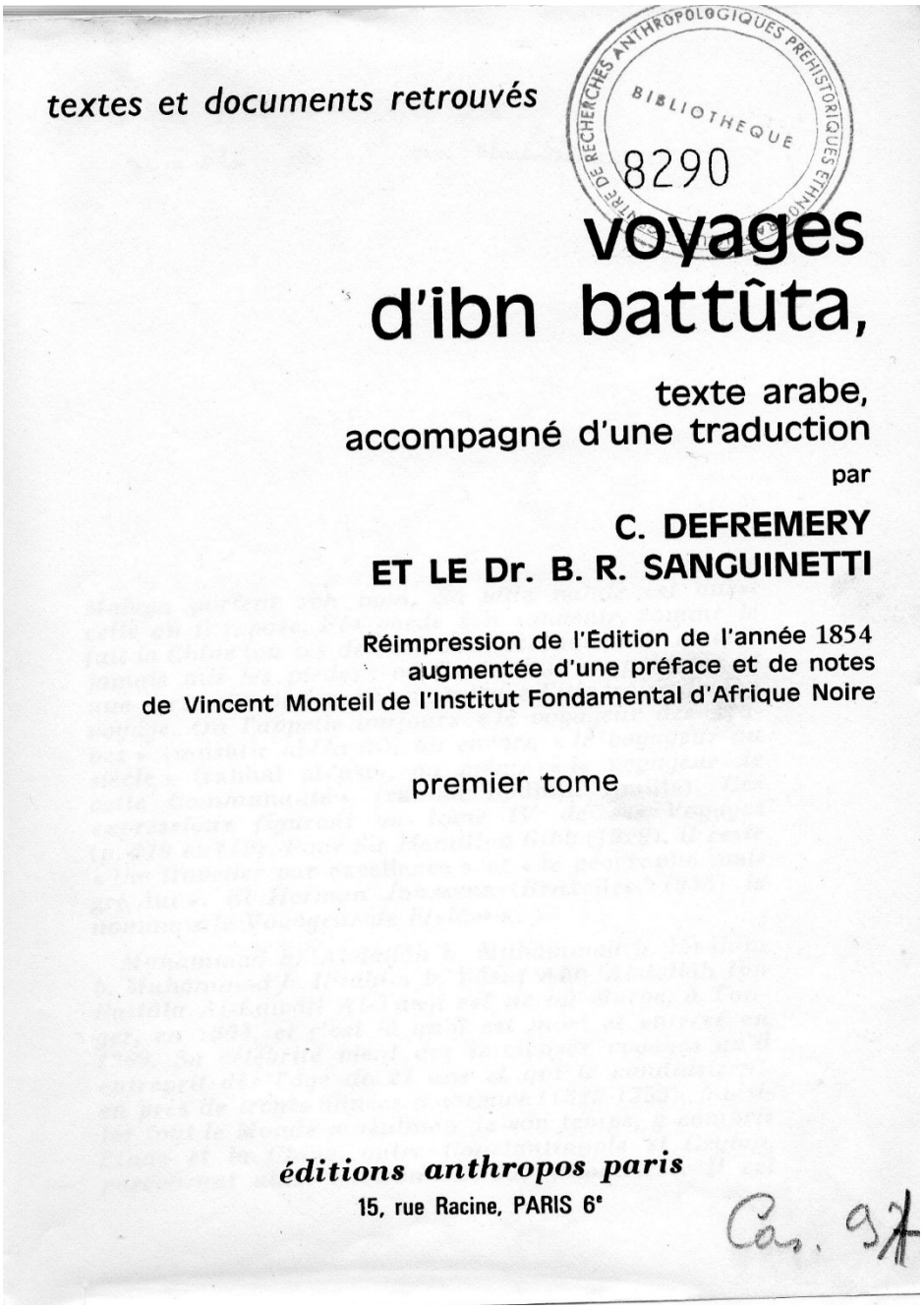

textes et documents retrouvés

CENTRE DE RECHERCHES ANTHROPOLOGIQUES PRÉHISTORIQUES ETHNOGRAPHIQUES
BIBLIOTHEQUE
8290

voyages d'ibn battûta,

texte arabe,
accompagné d'une traduction
par

C. DEFREMERY
ET LE Dr. B. R. SANGUINETTI

Réimpression de l'Edition de l'année 1854
augmentée d'une préface et de notes
de Vincent Monteil de l'Institut Fondamental d'Afrique Noire

premier tome

éditions anthropos paris
15, rue Racine, PARIS 6e

Cab. 97

صورة غلاف ترجمة ديفريميري وسنجويناتي (1968، ط. جديدة: ج 2)

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des manuscrits. Arabe 3929

Folio 156 Verso: maqama 43: Abu Zayd and al-Harith travelling, from Maqamat of al-Hariri BnF manuscript Arabe 3929, 2nd quarter of 13th century

صورة غلاف ترجمة ديفريميري وسنجويناتي (1968، ط. جديدة: ج 3)

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

(مخطوط عربي 6094، مؤرخ في 619 هجري)

صورة غلاف ترجمة ديفريميري وسنجويناتي (1968، ط. جديدة. ج 4)

صورة أبا زيد يركب السفينة

صورة غلاف ترجمة: پول شارل دومينيك (1992)

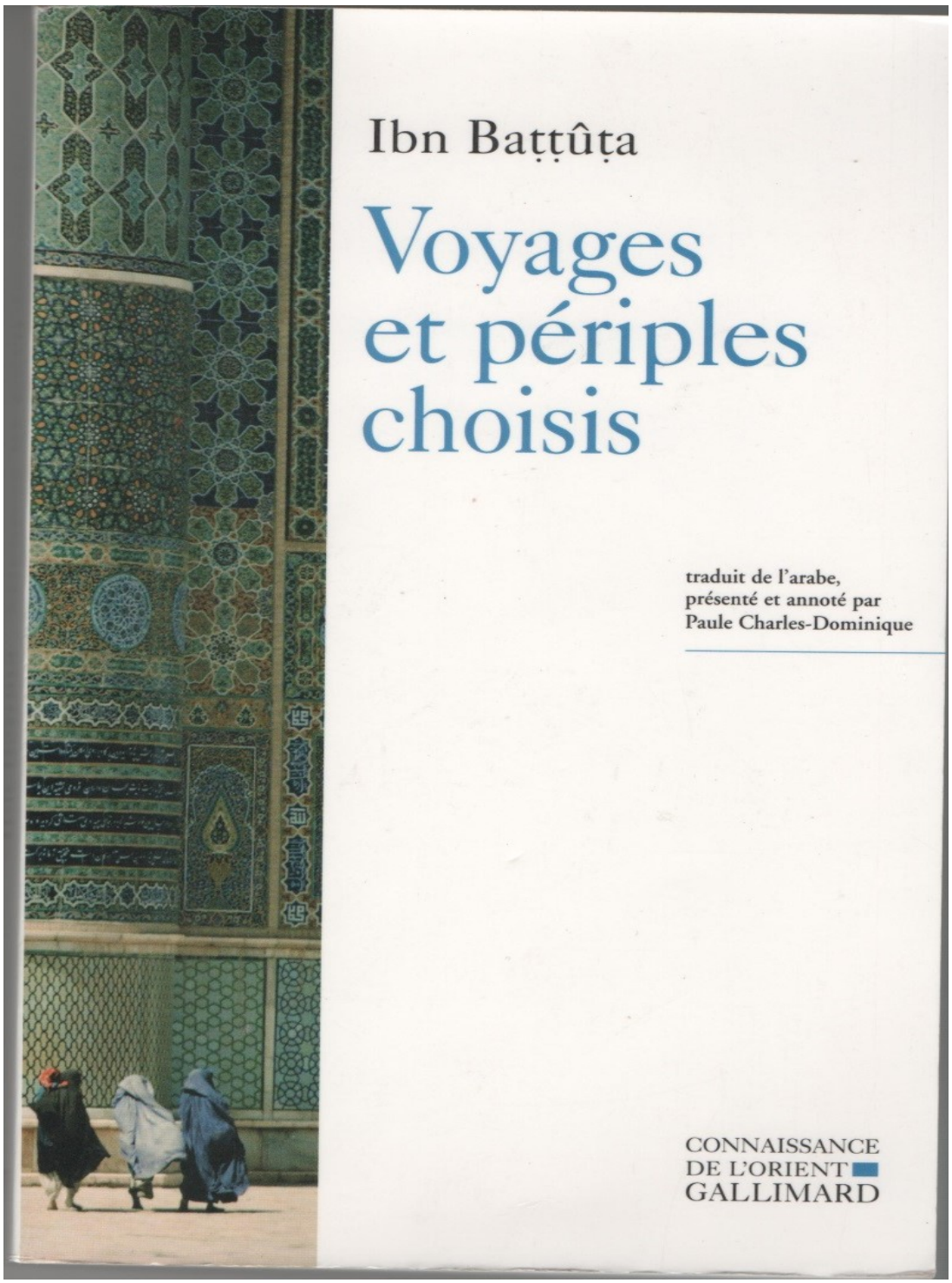

غلاف كتاب النزهة، ترجمة أمديه جوبير: (1836-1840)

كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق
تأليف الشريف الادريسى

GÉOGRAPHIE D'ÉDRISI

TRADUITE DE L'ARABE EN FRANÇAIS

D'APRÈS DEUX MANUSCRITS DE LA BIBLIOTHÈQUE DU ROI

ET ACCOMPAGNÉE DE NOTES

PAR P. AMÉDÉE JAUBERT

CHEVALIER DE LA LÉGION D'HONNEUR, DE L'AIGLE ROUGE DE PRUSSE, DU LION ET DU SOLEIL DE PERSE
CONSEILLER D'ÉTAT EN SERVICE EXTRAORDINAIRE
MEMBRE DE L'INSTITUT (ACADÉMIE ROYALE DES INSCRIPTIONS ET BELLES-LETTRES)
PROFESSEUR DE TURK A L'ÉCOLE ROYALE ET SPÉCIALE DES LANGUES ORIENTALES VIVANTES
ETC. ETC. ETC.

TOME PREMIER

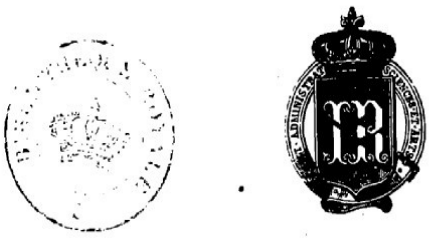

PARIS
IMPRIMÉ PAR AUTORISATION DU ROI
A L'IMPRIMERIE ROYALE

M DCCC XXXVI

Source gallica.bnf.fr

غلاف كتاب نزهة المشتاق للشريف الإدريسي (1592؟)

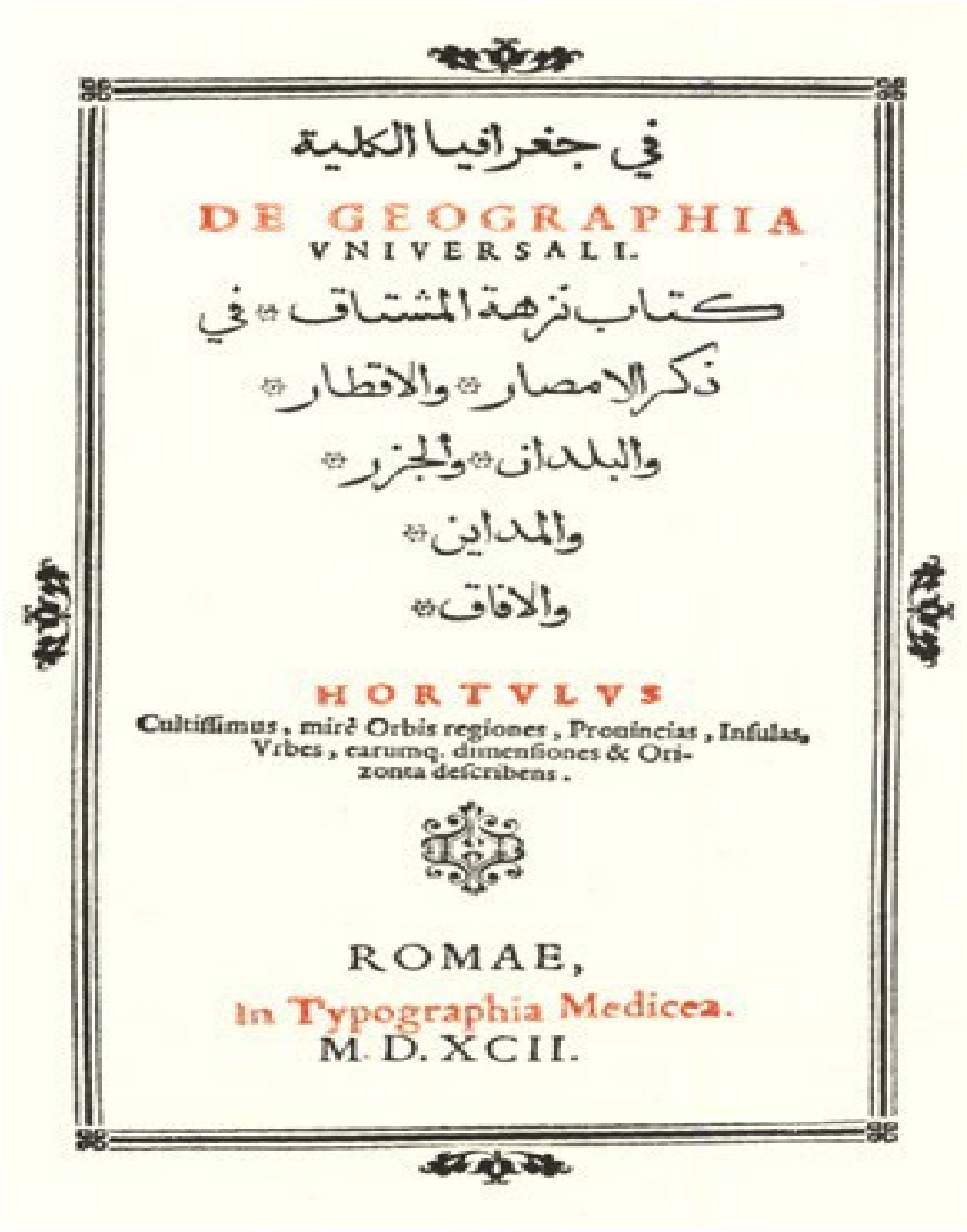

في جغرافيا الكلية

DE GEOGRAPHIA
VNIVERSALI.

كتاب نزهة المشتاق في
ذكر الامصار والاقطار
والبلدان والجزر
والمدائن
والافاق

HORTVLVS
Cultiſſimus, mirè Orbis regiones, Prouincias, Inſulas,
Vrbes, earumq. dimenſiones & Ori-
zonta deſcribens.

ROMAE,
In Typographia Medicea.
M. D. XCII.

Source gallica.bnf.fr

صورة غلاف كتاب النزهة، ترجمة هانري بريسك وأنلييس نيف (1992)

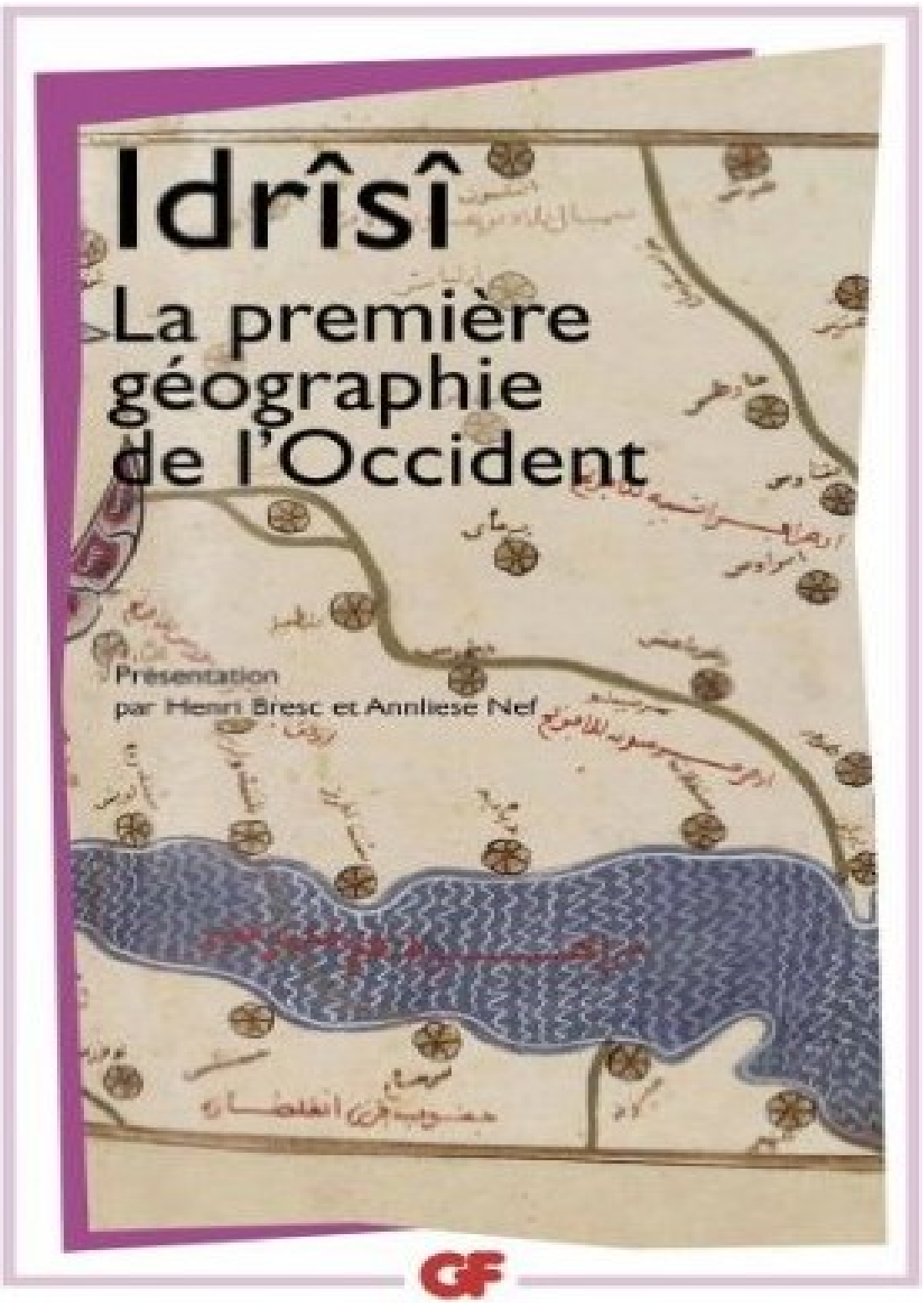

ترجمة تمبورال (1556: 1، حاشية النص)

Source.gallica.bnf.fr/ musée d'ethnographie du Trocadéro

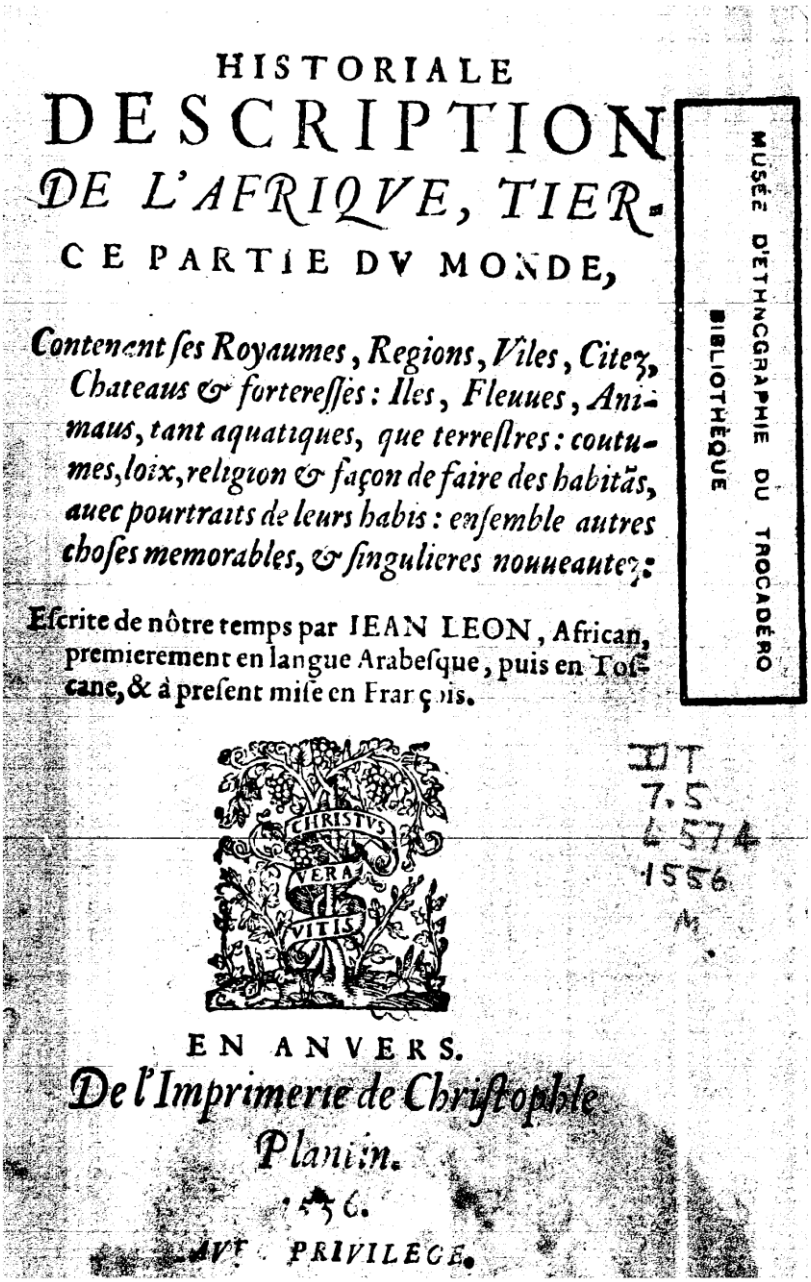

HISTORIALE

DESCRIPTION

DE L'AFRIQVE, TIERCE PARTIE DV MONDE,

Contenant ſes Royaumes, Regions, Viles, Citez, Chateaus & fortereſſes: Iles, Fleuues, Animaus, tant aquatiques, que terreſtres: coutumes, loix, religion & façon de faire des habitãs, auec pourtraits de leurs habis: enſemble autres choſes memorables, & ſingulieres nouueautez:

Eſcrite de nôtre temps par IEAN LEON, African, premierement en langue Arabeſque, puis en Toſcane, & à preſent miſe en Françoys.

CHRISTVS VERA VITIS

EN ANVERS.

De l'Imprimerie de Chriſtophle Plantin.

1556.

AVEC PRIVILEGE.

MUSÉE D'ETHNOGRAPHIE DU TROCADÉRO
BIBLIOTHÈQUE
DT
7.5
L574
1556
M.

ترجمة تمبورال (1556: 2، حاشية النص)

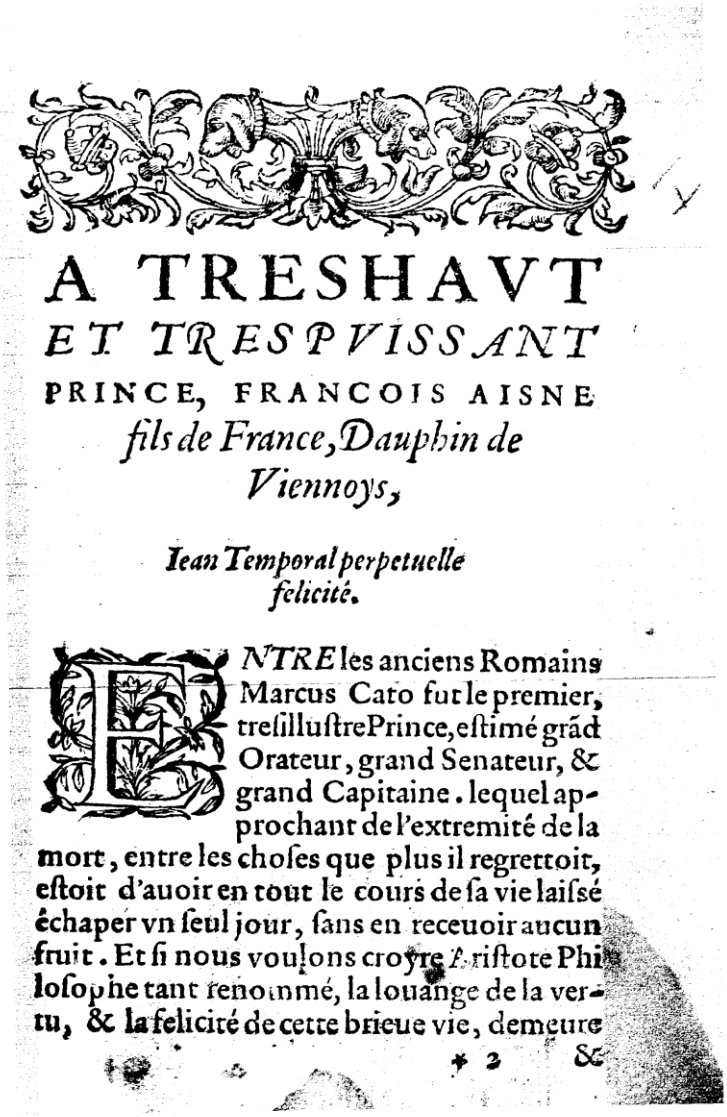

A TRESHAVT
ET TRESPVISSANT
PRINCE, FRANCOIS AISNE
fils de France, Dauphin de
Viennoys,

Iean Temporal perpetuelle
felicité.

ENTRE les anciens Romains Marcus Cato fut le premier, treſsillustre Prince, eſtimé grãd Orateur, grand Senateur, & grand Capitaine. lequel approchant de l'extremité de la mort, entre les choſes que plus il regrettoit, eſtoit d'auoir en tout le cours de ſa vie laiſsé échaper vn ſeul jour, ſans en receuoir aucun fruit. Et ſi nous voulons croyre Ariſtote Philoſophe tant renommé, la louange de la vertu, & la felicité de cette brieue vie, demeure

صورة الصفحة الأولى لوصف إفريقيا، الترجمة المعادة 1 : (1979)

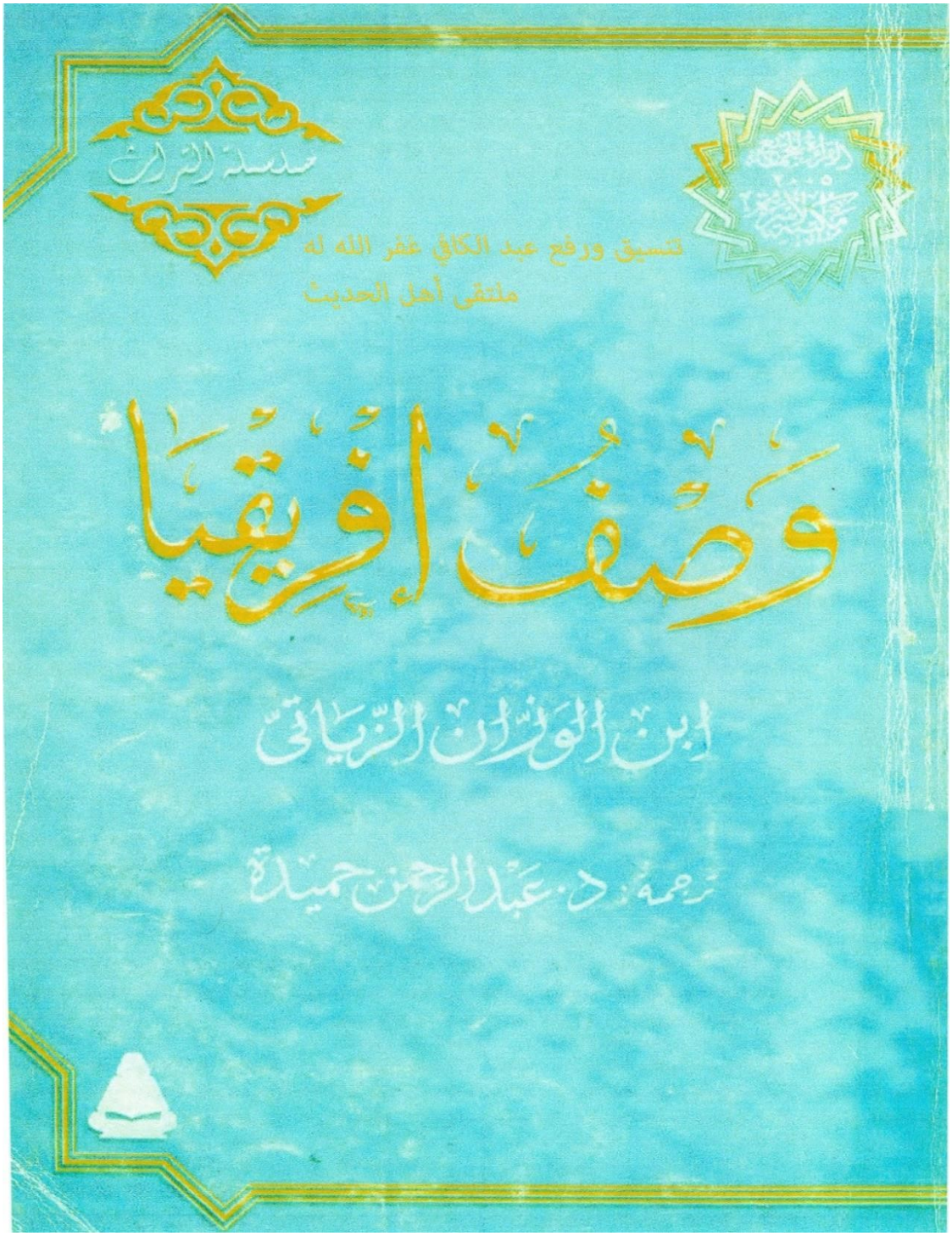

صورة الصفحة الأولى لوصف إفريقيا، الترجمة المعادة 2: (1983)

منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر

وَصْف إفريقيا

للحسن بن محمد الوزان الفاسي

المعروف بليون الإفريقي

الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية
رقم التصنيف
رقم التسجيل

الجزء الأوّل

ترجمه عن الفرنسية

محمد حجي
دكتور دولة من جامعة السربون

محمد الأخضر
دكتور دولة من جامعة السربون

الطبعة الثانية

دار الغرب الإسلامي

مخطوطات تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. كتاب رحلة ابن بطوطة
(في تحقيق عبد الهادي التازي، المملكة المغربية، نسخة إلكترونية)

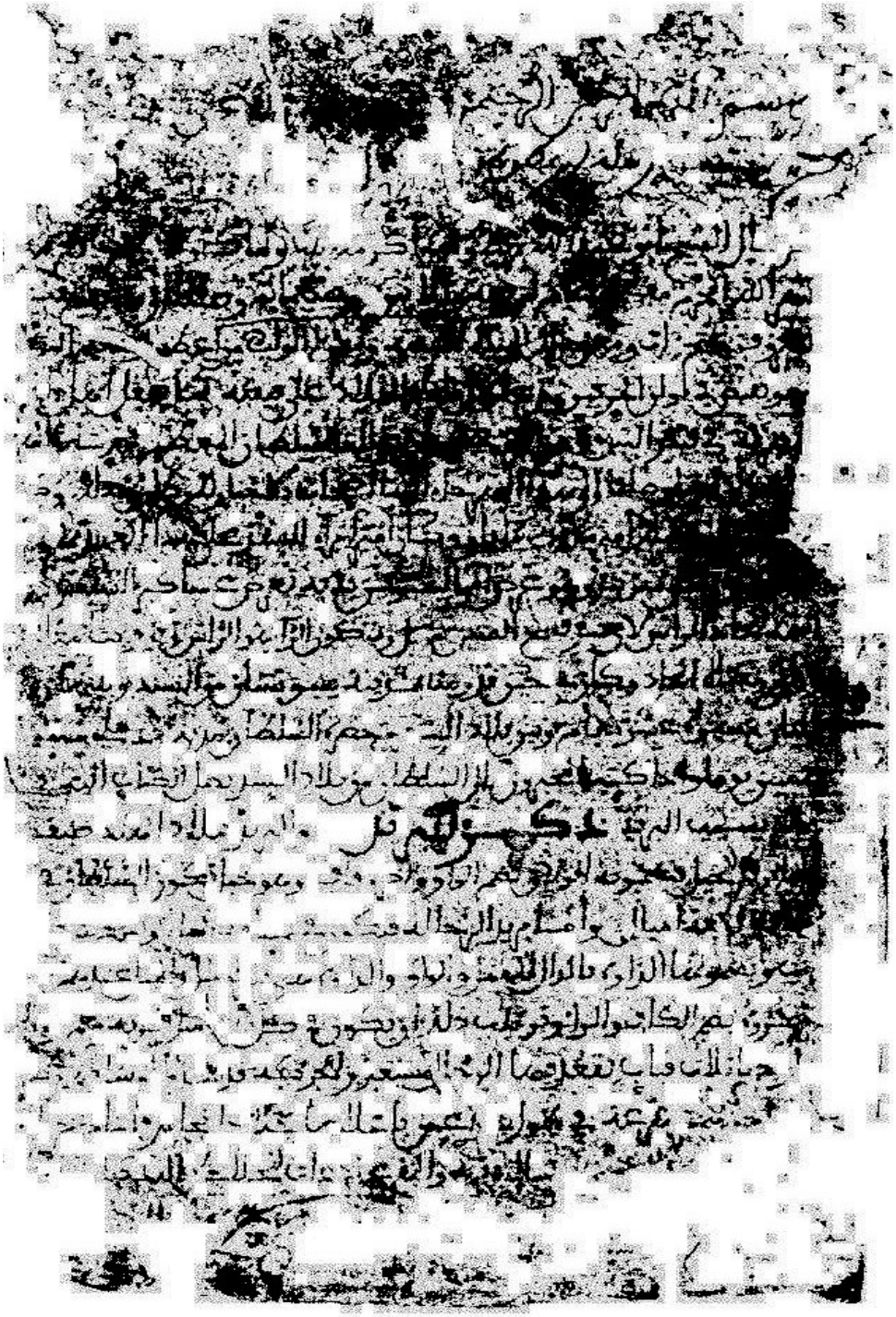

مخطوطة خزانة جامع القرويين رقم [illegible] الورقة الأولى من السفر الثاني

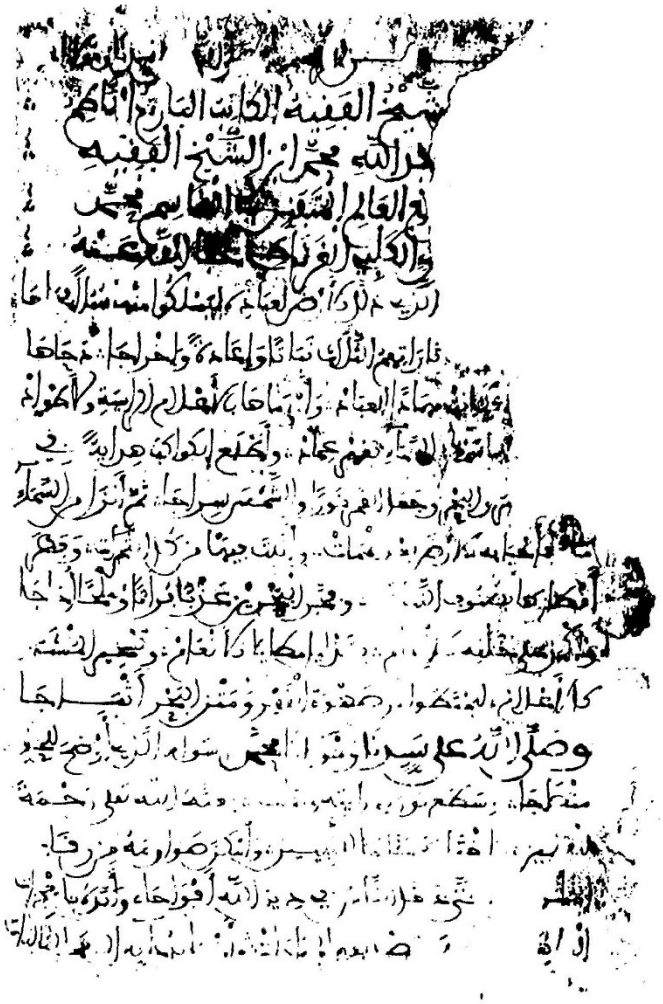

الورقة الأولى من مخطوطة الخزانة الملكية (الخزانة الحسنية) رقم 8488، وتعتبر في صدر النسخ الموثوقة وربما كانت بخط ابن جزي

المخطوطة رقم 3631 من الخزانة الملكية وهي تسمي ابن بطوطة أحمد وتكنيه أبا العباس

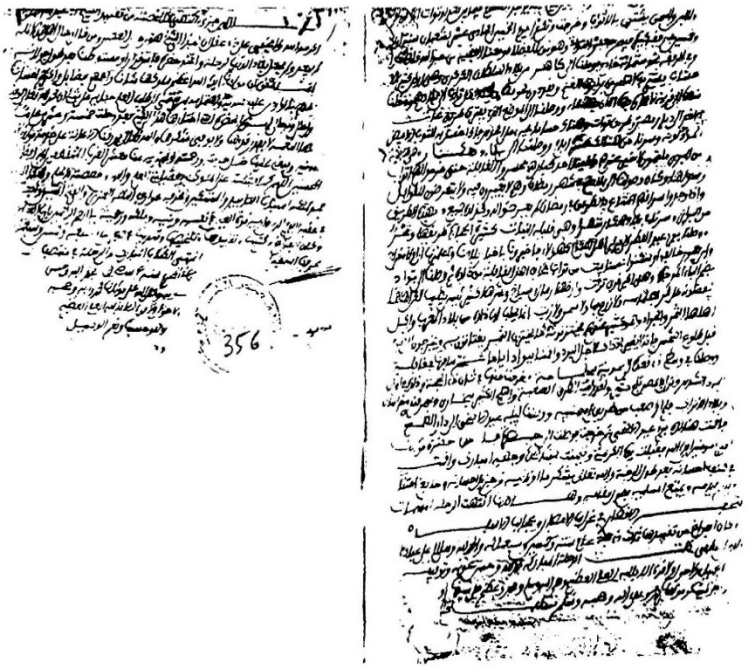

الورقة الأخيرة من المخطوط رقم 356 من الخزانة الملكية حيث يلاحظ التاريخ بالقلم الفاسي أو القلم الرومي، آخر السفر الأول وآخر السفر الثاني.

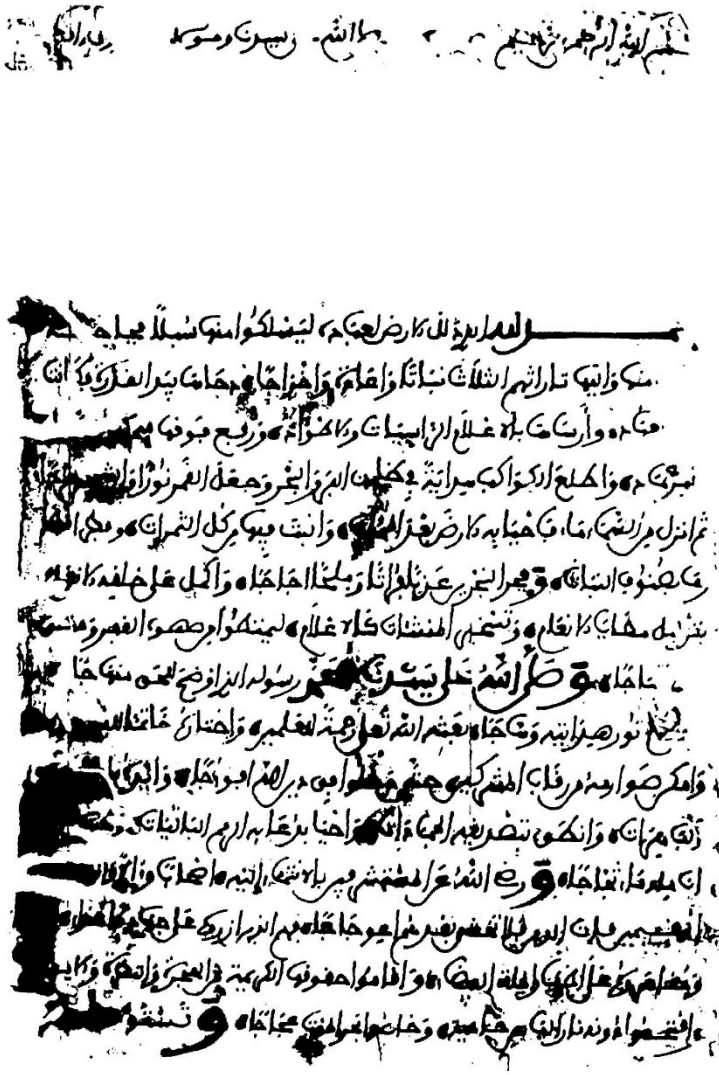

المخطوطة رقم 3030 التي كانت تصحب تحركات السلطان مولاي الحسن وتحتوي على تعليقات بخط الأمير مولاي العباس قائد الجيش المغربي في حرب تطوان. الورقة الأولى من السفر الأول.

مخطوطة الخزانة العامة رقم 2399/ك ، وتقتصر على السفر الثاني، وتعتبر من أوثق النسخ وأقربها إلى عصر المؤلف... مبتور الأول.. والوسط ،الورقة الأولى.

المخطوطة رقم 2541/د وهي تنعت ابن بطوطة بالشريف الغرناطي

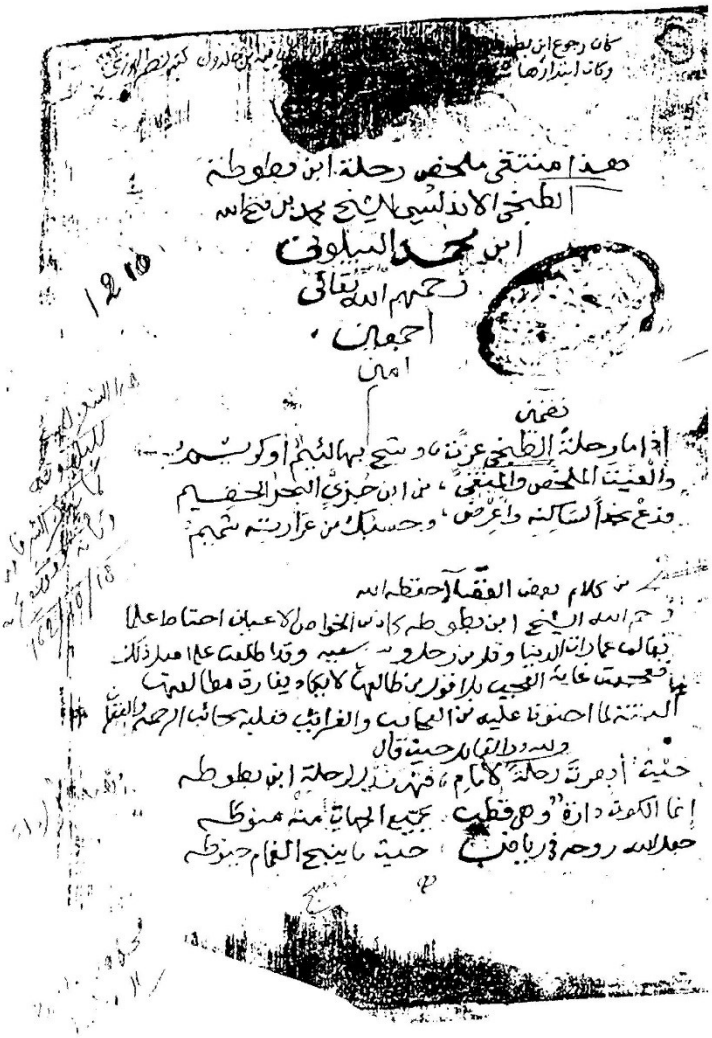

مخطوطة منتقى البيلوني كتبت بتاريخ 17 شعبان 1210 برسم الشيخ سليمان الفيومي، ورقة العنوان تحتوي على معلومات مفيدة عن الرحلة وشهادات حولها

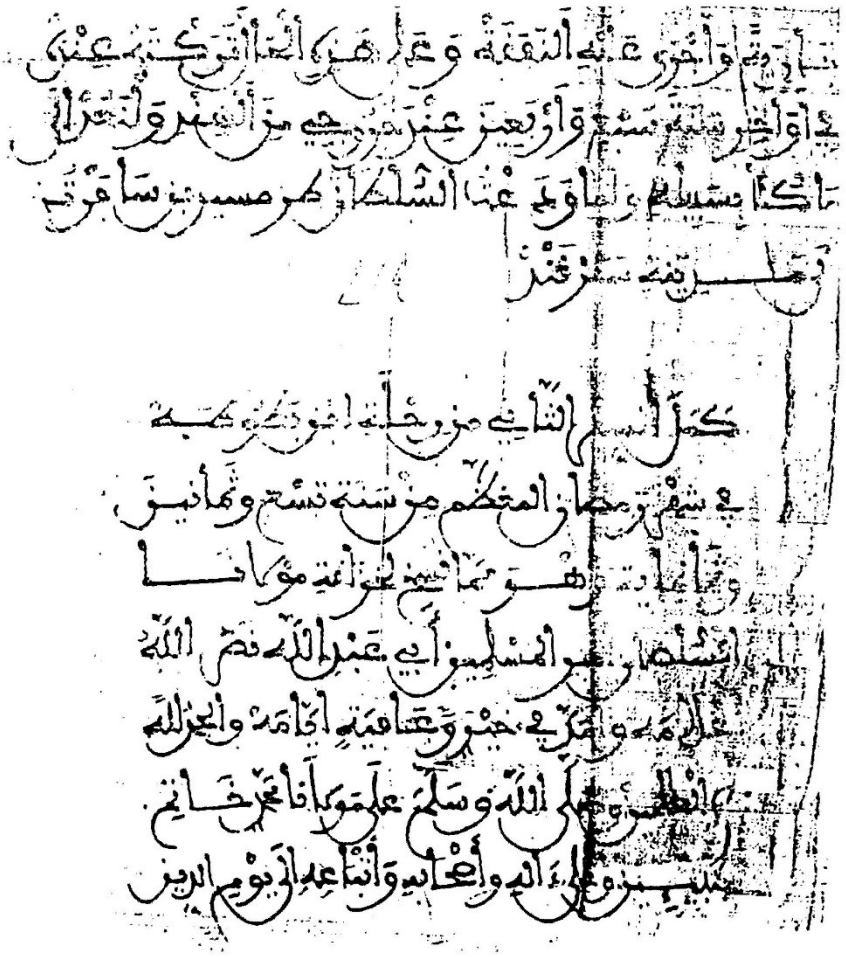

الورقة الأخيرة من المخطوطة رقم 248 ق، السفر الثاني، نسخت برسم السلطان محمد الشيخ من دولة بني وطّاس.

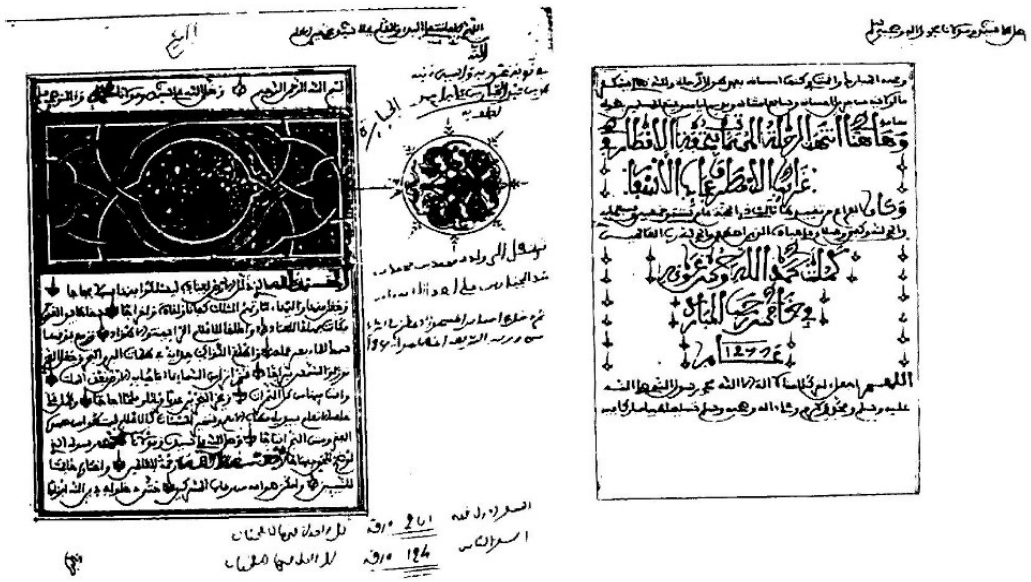

الورقة الأولى والأخيرة من مخطوطة خزانة المسجد الأعظم لمدينة وزان رقم 31 وهي تحتوي على السفرين كاملين، وكانت ملكاً للشريف سيدي محمد بن عبد الجبار بن علي بن أحمد الوزّاني.

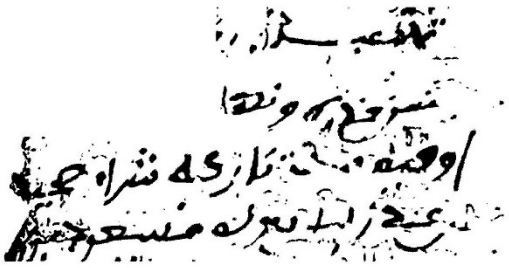

محطوطة ابن بطوطة التي حبسها السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل على جامع سيدي أبي العباس بمراكش وهي بخزانة كلية ابن يوسف رقم 412 الورقة الأولى.

مخطوطة باريز 909/2287 – يلاحظ عدم نسبة المقدمة لابن بطوطة ومعنى هذا أنها لابن جزي... – الورقة الأولى لبداية السفر الأول... –

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

القسم الثاني من كتاب نزهة النواظر ونخبة المسامع والخواطر

قال الشيخ: أبو عبد الله محمد بن بطوطة رحمه الله ولما أكمل تاريخ الغرناطي شرع في التحري إلى بلد الهند المعروف بمنكلور على أربعة وثلاثين يوما بمسافة وطنا إلى واد السند المعروف بسيوي وإلى وسط واد السند الخمسة ومنه الوادي راعي الوادي الذي يسمى السيل الأعظم وهو يفيض في أول الخريف ويزرع أهل تلك البلاد على فيضه كما يفعل أهل النيل بالمصري فيفيض النيل ومنه الوادي سهل من أسهل الأقطار المعروفة محمود الشأن بلاد الهند والسند ولما وطنا هذا النهر جاء إلينا أصحاب الجمال المركلون بذلك وكنا جئنا إلى بلاد أمير مدينة ملتان وكان أمير الوادي السند على عهد السلطان محمد سلطان الهند ويسمى مرتبخ وهو عربي في المعالي وبين مدينة غزنى عساكر السلطان ومعنى اسمه أخذ الرماح بيمينه اسم السلطان محمد شاه الأول وسهل الهند بناء معلوم وبلاد سند وزان ومعناه الخاوي والخاء غير منقوطة مدينة سيوستان من السند وبينها وبين ملتان مسيرة عشرة أيام وبين بلاد السند وبين بلاد السلطان مدينة دهلي مسيرة خمسين يوما وذلك أن الخيول التي للسلطان من بلاد السند يجلب إلى الكنبايت التي منها يجلب البهار ذكر البهار والبهار ببلاد الهند صنفان بلاد مليبار داخل بحر اليمن بينها وبين بلاد اليمن مسيرة أيام بالريح وفي فصل الصيف تكون السلطانية فيها مسافة أربعة أميال وأما بلاد الجاوة فبينها وبين مسافة الميل الواحد ثلاثمائة وبهار الجاوة بالنسبة إلى بهار السلطانية مرتين من ثلاثة أمثال والميل عندهم يسمى فرسخا وهو بالنسبة إلى فراسخنا ثلاثة أمثال وترتيب ذلك أن يكون ثلاثة أميال فرسخا وثلاثة فراسخ مرحلة وثلاث مراحل بريدا فيقدر البريد المسافة المذكورة بثلاثة وعشرين فرسخا وهو عندهم مقدار ما يقطع من المسافة في نحو ساعة من النهار على الخيل المعتادة في السير المعتدل فإذا وصل البريد إلى المدينة أخذ الكتاب بيده اليمنى والمقرعة ذات الجلاجل التي معه بالأخرى وركب فرسه وسار بأقصى شدة وسرعة مقرعة حتى يصل إلى البريد الذي بعده فيأخذ منه الكتاب كذلك حتى يوصل الكتاب إلى حيث يراد منه وسلطان الهند يوسع على البريد الخيل ويرتب لها على كل بريد العلوفة المستكثرة بلاد السند وبها كثير من الخيول يجعلون منها قطعانا ويشتدون حتى تصل إلى السلطان وكذلك يجلب إليها الكثير من دون الحصانات يجعلون الرجل منهم على البريد بعد البريد وسلم ويجيزون به شمالا وكذلك يجلب الماء الشرب للسلطان إذا كان على مرحلة بادية يعلونه من نهر السند الذي تقدم الوعد به وسيرد على مسيرة أربعين يوما سنذكر إذا أتينا بالخبر عن السلطان إن شاء الله تعالى بقية من بلاد السند واستوعب الكتاب والمعتوه ذاك وعرموا نادرة رجل صورته كذا وليس له لقوة ونشيط

مخطوطة باريز 908/2290 – تقتصر هذه المخطوطة على السفر الأول، ويلاحظ أن الديباجة لا تنسب لابن بطوطة! – الورقة الأولى.

مخطوطة باريز 907/2291 – تعرف بمخطوطة (دولابورط) الدبلوماسي الفرنسي الذي حصل عليها من الصّويرة.
- يذكر أنها ربما كانت بخط ابن جزي... –

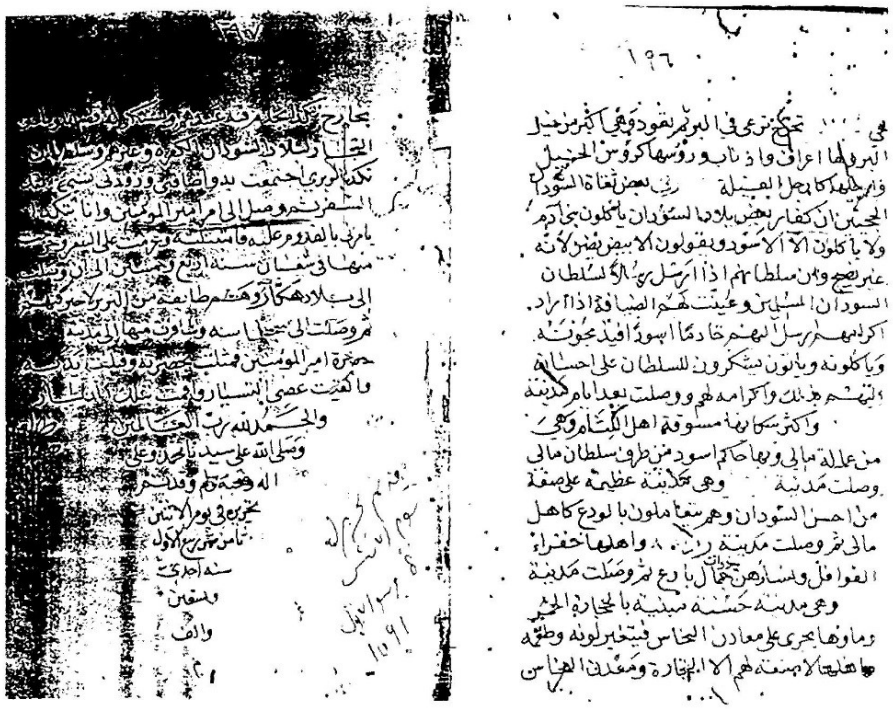

مخطوطة منتقى البيلوني وقف تيمور. دار الكتب المصرية الورقة الأخيرة التي تتحدث عن وصول أمر أمير المؤمنين لابن بطوطة بالعودة إلى المغرب – وهي بتاريخ 8 ربيع الأول 1091.

مخطوطة أخرى من منتقى البيلوني منتسخة يوم 15 شوال 1272... الورقة الأولى من المخطوط الذي حبسه تيمور نسخة (ب).

مخطوطة أخرى من منتقى البيلوني بالفاتيكان رقم 1601ب ، وقد كتبت أوائل رجب 1184. الورقة الأولى من المخطوط وهي هدية من القاصد الرسولي بالرباط مونسينيور جاكين.

منتخب الرحلة لمؤلف مجهول رقم 22741 ، وقع الفراغ منه في 4 ذي القعدة 1102 الورقة الأولى، وهذه النسخة غير اخرى طبعت على الحجر بمصر عام 1861=1278 وتعتبر كذلك في عداد المخطوطات..

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

قال الشيخ الفقيه الكاتب البارع الناظم
أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الفقيه
العالم المتفنن أبي القاسم محمد
ابن جُزَيّ الكلبي الغرناطي عفا الله عنه (1) :

2/1 الحمد لله الذي ذلَّل الأرض لعباده ليسلكوا منها سبلاً فجاجًا، وجعل منها وإليها تاراتهم (2) الثلاث نباتًا وإعادةً وإخراجًا، دحاها بيد القدرة فكانت مهادًا للعباد، وأرساها بالأعلام الراسيات والأطواد، ورفع فوقها سمك السماء بغير عماد، وأطلع الكواكب هداية في ظلمات البر والبحر، وجعل القمر نورًا، والشمس سراجاً، ثم أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد الممات، وأنبت فيها من كل الثمرات، وفطر أقطارها بصنوف النبات، وفجر
3/1 البحرين عذبًا فراتًا، وملحًا أجاجًا، وأكمل على خلقه الإنعام، بتذليل مطايا الأنعام، وتسخير المنشآت كالأعلام، ليمتطوا من صهوة القفر ومتن البحر أثباجًا، وصلى الله على سيدنا

---

(1) هذه هي السُّطور الأربعة (المقدمة) التي وجدناها في مخطوطةٍ لابن بطّوطة نعتقد أنها من أقدم المخطوطات إن لم تكن هي التي كتبها ابن جزي بنفسه في صفر 757 = يبراير 1356 قبل أن يتوفاه الله في شوال من نفس السنة = أكتوبر 1356، ونلاحظ أن هذه المقدمة تختتم بكلمة عفا الله عنه وليس بكلمة رحمه الله، وهي الاشارة التي تزيد في اعتقادنا أن النسخة كتبت بقلم ابن جزّي، ولا بد أن ننبّه هنا إلى أن هذه "المقدمة" توجد في معظم النسخ. وعلى رأسها النسخة الأم، التي اعتمدها الأستاذان المترجمان: ديفريمري وسانكينيتّي عام 1854 على الشكل التالي : قال الشيخ الفقيه العالم الثقة النبيه الناسك الأبر وفد الله المعتمر شرف الدين المعتمد في سياحته على رب العالمين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن بطوطة رحمه الله ورضي عنه بمنه وكرمه آمين آمين.

ومن المعلوم أن هذا خطأ فادح من النساخ ! ومن العجب أن الناشرين للرّحلة، فيما بعد، ساروا على هذا الخطأ بمَن فيهم "اللّذون" قرروا أن يجعلوا كلام ابن جزي في ذيولٍ على حدة، فقد فاتهم أن هذه "المقدمة" هي لابن جزي وليست لابن بطوطة ! وقد تنبه كيب (Gibb) للموضوع فنسب المقدمة لصاحبها ابن جزي.

(2) التارات جمع تارة : ويُعني بها المراحل الثلاث للإنسان : الولادة، والحشر، والنشر، وفي القرآن الكريم : "منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى. وهو مايعني «نباتا وإعادة وإخراجا»...

وقد حُرفت عند بعض الناشرين المغاربة إلى قارات بالقاف عوض التاء وأتى بعدُ ناشر آخر من المشرق ففسر القصد من القارات الثلاث وأنها "آسيا وافريقيا وأروبا وهي التي تشكل العالم القديم أما ما تبقى من قارات فلم تكن قد اكتشفت بعد "كذا !!".

مسرد المصطلحات العلمية عربي فرنسي

عربي	فرنسي
إبستمولوجيا	Epistémologie
إبستيميا	Epistémè
اختزال	Réduction
استشراق	Orientalisme
إسطوغرافيا (التاريخيات)	Historiographie
إعادة الصياغة	Paraphrase
إعادة الكتابة	Réécriture
إعادة الترجمة (مفهوم، فرضية، ظاهرة)	Retraduction (concept, phénomène)
إفراط لغوي	Hyper-correction
إفقار (كمي، كيفي)	Appauvrissement (quantitatif, qualitatif)
أنتروبيا	Entropie
انزياح عن المركز	Décentrement
إيضاح	Clarification
بنية اتركيبية	Structure syntaxique
بنية الدقيقة	Microstructure
بنية الشكلية	Structure formelle
بنية الكلية	Macrostructure
بيذاتي	Intersubjectif
بينية	Transversalité
التأويلية (الهرمنوطيقا أو الهرموسية)	Herméneutique (L')
التجزيئية	Micrologisation
تحليلية الترجمة	Analytique de la traduction
التزامنية/ الآنية	Synchronie
التشاكل الدلالي	Isotopie sémantique
التشويش	Brouillage
التعاقبية الزمنية	Diachronie
التعدد الدلالي	Polysémie
تعليمية	Didactique
التغريب	Exotisation
التفخيم	Ennoblissement
تمازج / تلاقح	Métissage
التمديد	Allongement
التملّك	Appropriation

Intertextualité	التناص (التعالق النصي)
Domestication	توطين (تطويع)
Syncrétisme	التوفيقية
Proposition complétive	جملة صلة الموصول
Modernisme	الحداثة
Littéralisme	الحرفية
Narration	الحكي
Etudes descriptives de la traduction (DTS)	دراسات الترجمة الوصفية
Dogmatisme	الدغمائية
Narrateur (omniscient)	الراوي (العليم)
Transparence	الشفافية
Doute	الشكّ
Formalisme russe	الشكلانية الروسية
Seuils	عتبات (النص)
Inachèvement	عدم الاكتمال
Rationalisation	العقلنة
Verbe de sentiment	الفعل "الشعوري "
Performatif (verbe)	الفعل الإنجازي
Acte traductionnelle	الفعل الترجمي
verbe transitif	الفعل المتعدي
Catégories grammaticales	الفئات النحوية
Proximité (culturelle)	القرب (الثقافي)
Syllogisme	القياس
Opus geographicum	كتاب الأقاليم / المسالك والممالك/ صور الأرض
Universalité du sens	كلّية المعنى
Hétérogénéité	اللاتجانس
Langue de réception	لغة التلقي
Langue-culture (le concept de)	اللغة-الثقافة (مفهوم)
Postmoderne (discours)	الما بعد (خطابات)
Postmodernisme	ما بعد الحداثة
Postcolonialisme	ما بعد الكولونيالية
Postmoderne	ما بعد حداثي
Identité	ماهية (النص)
Collocation	متلازمة لفظية
Homogénéization	المجانسة
Immanence	المحايثة
Axe (paradigmatique)	المحور (الاستبدالي)

Axe (syntagmatique)	المحور التركيبي
Manuscrit	مخطوط
Corpus	المدونة (المتن)
Visibilité du traducteur	مرئية المترجم
Approche	المقاربة
Paratexte	المناص/ النص الموازي
Culturel (tournant)	المنعطف الثقافي
Tendances déformantes	الميول التحريفية
Littéralisme	النزعة الحرفية
Architexte	النص الجامع
Epitexte (éditorial, auctorial)	النص الفوقي (النشري، التأليفي)
Péritexte (éditorial, auctorial)	النص المحيط (النشري، التأليفي)
Polysystème	النظام المتعدد
Destruction des rythmes	هدم الإيقاعات
Destruction des idiotismes	هدم التعابير الاصطلاحية
Destruction des réseaux vernaculaires	هدم أو تغريب الشبكات اللغوية المحلية
Destruction des réseaux signifiants sous-jacents	هدم شبكات الدلالة التحتية
Positivisme logique	الوضعانية المنطقية
Fonctionnalisme	الوظيفية

فهرس الموضوعات

مقدمة:	05
الباب الأول: مدخل نظري ومنهجي.....	14
الفصل الأول: التحولات الإبستمولوجية في علم الترجمة.....	15
1.1 التنظير الترجمي في سياق الحداثة.....	16
1.2 التحوّل الإبستمولوجي والموجهات الجديدة للمعرفة.....	19
1.3 دراسات الترجمة الوصفية.....	22
1.3.1 نظرية النظم المتعددة.....	24
1.3.2 المقاربة الوظيفية	26
1.3.3 الدراسات ما بعد الكولونيالية.....	29
1.3.4 الاستشراق: إدوار سعيد ونظرية ما بعد الكولونيالية.....	31
1.3.5 الاستشراق في دراسة ريشار جاكمون.....	33
1.3.6 المنعطف الثقافي في دراسات الترجمة الوصفية.....	34
الفصل الثاني: ظاهرة إعادة الترجمة في سياق التغير المعرفي	36
2.1 تعاريف إعادة الترجمة.....	37
2.2 فرضية (ات) إعادة الترجمة.....	39
2.3 أسباب إعادة الترجمة.....	41
2.3.1 قدم النص المترجم.....	41
2.3.2 نقص الترجمة الأولى.....	42
2.3.3 إعادة الترجمة بدافع التنازع على سلطة النص والاختلاف.....	42
2.3.4 إعادة الترجمة بسبب تغير المعايير والأيديولوجيات.....	43
الفصل الثالث: قياس القرب، قضايا منهجية.....	50
3.1 تحديد القرب في بعض الحالات الدراسية السابقة.....	51
3.1.1 القرب اللساني: نموذج أنطوان برمان.....	51
3.1.2 القرب الثقافي: العوامل السوسيو–ثقافية المتحكمة في إعادة الترجمة.....	55
3.1.2.1 أهمية تحليل المناص في الدراسات الترجمية.....	56
3.1.2.2 المناص عند جيرار جينيت.....	57
3.1.2.3 تعريف مصطلح المناص.....	59
3.1.2.4 تداولية المصطلح.....	60
3.1.2.5 المناص بعد جيرار جينيت.....	61
3.1.2.6 أنواع المناص.....	63
3.1.2.7 أقسام المناص.....	64
3.1.2.8 العنوانيات.....	69

الباب الثاني: الدراسة التطبيقية على المدونات الأصلية وترجماتها.....	72
الفصل الأول: تحليل مدونة "النزهة" وترجماتها الفرنسية.....	73
1.1 تحديد السياق التاريخي للمدونة الأصلية وترجماتها الفرنسية.....	74
1.1.1 من هو الإدريسي	74
1.1.2 دور الملك روجار في ظهور النزهة.....	75
1.1.3 تصور النزهة والإدريسي في العالم العربي والعالم الغربي.....	76
1.1.4 طباعة كتاب النزهة وترجماته.....	77
1.1.5 مخطوط النزهة.....	78
1.1.6 الترجمات الفرنسية للنزهة.....	79
1.2 قياس القرب اللساني والأسلوبي وفق نموذج أنطوان برمان.....	85
1.2.1 الميل الأول: العقلنة.....	86
1.2.2 الميل الثاني: الإيضاح.....	92
1.2.3 الميل الثالث: التمديد.....	93
1.2.4 الميل الرابع: التنميق.....	96
1.2.5 الميل الخامس: الإفقار النوعي.....	97
1.2.6 الميل السادس: الإفقار الكمي.....	104
1.2.7 الميل السابع: هدم الإيقاعات.....	105
1.2.8 الميل الثامن: هدم شبكات الدلالة التحتية.....	106
1.2.9 الميل التاسع: هدم النسق.....	107
1.2.10 الميل العاشر: هدم شبكات اللهجات المحلية.....	108
1.2.11 الميل الحادي عشر: هدم التعابير الاصطلاحية.....	108
1.2.12 الميل الثاني عشر: محو التراكبات اللغوية.....	108
1.3 قياس القرب الثقافي: تحليل المناص.....	109
1.3.1 مقدّمة دوزيه ودي غويج.....	109
1.3.2 مقدّمة محمد حاج صادق.....	109
1.3.3 مقدمة هانري بريسك وأنلييس نيف.....	111
الفصل الثاني: تحليل مدونة " الرحلة" وترجماتها الفرنسية.....	116
2.1 تحديد السياق التاريخي للمدونة الأصلية وترجماتها الفرنسية.....	116
2.1.1 من هو ابن بطوطة ؟.....	121
2.1.2 السياق التاريخي للمغرب الأقصى والعالم الإسلامي	118
2.1.3 "الرحلة": نشرها وتلقيها.....	118
2.1.3.1 نشرها وتلقّيها في الغرب.....	119
2.1.3.2 نشرها وتلقّيها في المغرب العربي.....	119
2.1.4 أهمية الرحلة بشهادة علماء الغرب.....	121
2.1.3 الترجمات الفرنسية للرحلة.....	122

2.1.5.1 ترجمة سنجويناتي ودفريميري.....	123
2.1.5.2 ترجمة بول شارل دومينيك.....	124
2.2 قياس القرب اللساني والأسلوبي وفق نموذج أنطوان برمان.....	125
2.2.1 الميل الأول: العقلنة.....	127
2.2.2 الميل الثاني: الإيضاح.....	130
2.2.3 الميل الثالث: التمديد.....	135
2.2.4 الميل الرابع: التنميق(التفخيم).....	139
2.2.5 الميل الخامس: الإفقار النوعي.....	140
2.2.6 الميل السادس: الإفقار الكمي.....	141
2.2.7 الميل السابع: محو شبكات اللغة العامية المحلية.....	145
2.2.8 الميل الثامن: هدم شبكات الدلالة التحتية.....	145
2.2.9 الميل التاسع: هدم النسق اللغوية.....	145
2.2.10 الميل العاشر: هدم التعابير الجامدة والاصطلاحية.....	150
2.2.11 الميل الحادي عشر: محو التراكبات اللغوية.....	150
2.2.12 الميل الثاني عشر: هدم الإيقاعات.....	150
2.3 قياس القرب الثقافي وفق نموذج جيرار جينيت.....	153
2.3.1 تحليل المناص في ترجمة سنجويناتي وديفريميري.....	153
2.3.1.1 صورة الغلاف.....	154
2.3.1.2 المقدمة.....	160
2.3.1.3 الملاحق.....	160
2.3.1.4 مقدمة فانسن مونتاي.....	160
2.3.1.5 ملاحظات فانسن مونتاي.....	162
2.3.2 تحليل المناص في الترجمة المعادة لبول شارل دومينيك.....	162
2.3.2.1 صورة الغلاف في الإصدار الأول.....	163
2.3.2.2 دار النشر.....	165
2.3.2.3 العنونة.....	166
2.3.2.4 التنبيه.....	167
الفصل الثالث: تحليل مدونة " وصف إفريقيا" وترجماتها الفرنسية.....	171
3.1 تحديد السياق التاريخي للمدونة الأصلية وترجماتها الفرنسية.....	172
3.1.1 من هو الحسن(ابن) الوزان الفاسي.....	174
3.1.3 كتاب " وصف إفريقيا": نشره وتلقيه.....	175
3.1.3 الترجمات الفرنسية لوصف إفريقيا.....	175
3.2 تحليل القرب اللساني بين الترجمة المعادة لألكسيس إيبولار والترجمتين العربيتين	178
3.2.1 الميل التحريفي الأوّل: العقلنة.....	179

3.2.2 الميل التحريفي الثاني: الإيضاح.....	181
3.2.3 الميل التحريفي الثالث: الإفقار الكمّي.....	181
3.2.4 ميول الترجمة التصحيحية.....	183
3.2.4.1 الميل إلى الاختزال.....	183
3.2.4.2 الإثراء النوعي الدلالي.....	185
3.3 تحليل القرب الثقافي: من النص إلى المناص.....	191
3.3.1 تحليل المناص في ترجمة إيبولار.....	191
3.3.1.1 المقدمة.....	191
3.3.1.2 دار النشر.....	195
3.3.1.3 الإهداء.....	197
3.3.2 تحليل المناص في ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر.....	205
3.3.2.1 مقدمة الطبعة الثانية.....	205
3.3.2.2 مقدمة الطبعة الأولى.....	205
3.3.2.3 ملاحظات الترجمة.....	207
3.3.3 تحليل المناص في ترجمة عبد الرحمان حميدة.....	207
3.3.3.1 المقدّمة.....	207
3.3.3.2 صورة الغلاف.....	208
3.3.3.3 ملاحظات الترجمة.....	210
خاتمة	213
قائمة المراجع	219
ملحق الصور.....	227
مخطوطات تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.....	243
مسرد المصطلحات العلمية	265
فهرس الموضوعات	268